

التعريب



مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للدراسات والبحوث والتأليف والنشر بدمشق

اللاخنة
العربية
هوئتنا
القومية

المنظمة
العربية
للتربية
والثقافة
والعلوم

53

ربيع الأول 1439هـ - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

السنة السابعة والعشرون
العدد الثالث والخمسون

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثالث والخمسون

كانون الأول (ديسمبر) 2017

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور عدنان الحموي

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذة الدكتور زهيدة درويش جبور

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد

الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية.

وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
 - * بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.
 - * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
 - * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
 - * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
 - * الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.
- إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز**
- *يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها***
- *التنضيد والإخراج الفني حسنة تلو***

التعريب: مجلة نصف سنوية مُحَكَّمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق — ص.ب: 3752 — هاتف 3334876 / acatap2@gmail.com - www.acatap.org

ع 2017/12/15

السنة الأولى: 1991 — دمشق

الإشتراك: قيمة الإشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً

خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً

قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 5 دولارات أمريكية أو ما يعادلها

في هذا العدد

- * افتتاحية العدد 9
- * قواعد النشر في المجلة 11
- * بحوث لغوية
- الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة (القسم الأول) 17
د. محمود السيد
- من التّعدي إلى اللّزوم: ظاهرة لغوية تنجم عن
تضعيف عين الأفعال الثلاثيّة المجردة 33
د. سام عمار
- تهجين الأبجدية العربية المعجم الكبير نموذجاً 51
د. ممدوح محمد خسارة
- السيميائية بين إرهاصات الوجود وواقع الامتداد 73
ناسية عادل
- الجوانب الخفية من ثقافة اللغة العربية
ودورها في الحفاظ على الثوابت العلمية 103
د. رحيم علي الفوادي

*** بحوث في الترجمة**

- واقع الترجمة في الوطن العربي 121
د. ميسون زهري
- التاريخ والترجمة 135
أ. حميد العواضي
- تدريس الترجمة أو تكوين المترجمين 159
د. ملكة أبيض
- علم الترجمة في ضوء العلوم العصبية والمعرفية 173
د. عادل داود

*** بحوث في التعليم العالي**

- التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها 195
د. ماهر عيسى حبيب
- المصطلحيات واللسانيات: في علاقة تبادل الخدمات 225
د. يوسف مقران

*** من أعلام الحضارة العربية الإسلامية**

- أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس في الغرب الأوروبي
في العصور الوسطى 263
د. فاضل حنا

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

*** عرض للكتب**

- الفكر الاقتصادي عند ابن أبي الربيع في كتاب
"سلوك المالك في تدبير الممالك" 287
أ. تيسير عبد الله ناعس
- "تعريب العلوم والتقنيات" للدكتور أحمد فؤاد باشا 309
د. علي القاسمي
- * من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2017 321

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الافتتاحية

بقلم: أ. د. زيد إبراهيم العساف

مدير المركز العربي للتعريب

والترجمة والتأليف والنشر

يتفق جميع من يشارك في المؤتمرات على اختلاف مستوياتها على أهمية اللغة العربية، وعلى ضرورة أن تطبق النصوص المتعلقة باللغة العربية الواردة في دساتير الدول العربية جميعها. ولا يقف الموضوع عند حد الاتفاق، بل يتعداه إلى المطالبة بإنفاذ المادة التي تنص على أن لغة الدولة هي اللغة العربية.

ولكن على مبدأ المثل القائل "كلام الليل يمحوه النهار" لم يلمس أي أثر أو مفاعل لمقررات هذه المؤتمرات، وتبقى القرارات حبراً على ورق. فلغة التعليم في معظم الدول العربية لغة أجنبية (الإنكليزية والفرنسية والإيطالية)، والمحلات التجارية من مطاعم ومقاهٍ... تتفنن في التسميات باللغة الأجنبية. وإعلاميون يجلدون سببويه ألف مرة كل يوم، ومشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة يحتضر منذ زمن، وربما فارق الحياة.

ألا يُشعر هذا الواقع المواطن العربي بالإحباط. ألهذا الحد لغتنا العربية عاجزة عن القيام بمجارة معطيات العصر وهي اللغة التي حفظت كلام الله ويؤدي بها الصلاة مليار ونصف المليار مسلم في العالم. المطلوب صحة حقيقية لا صحة الموت، بل إرادة وعمل وقرارات وتوعية جادة وتمكين التشريعات المتعلقة بلغتنا من الإنفاذ؛ وهذا لا يعني التوقع والانغلاق وإنما يتطلب معرفتنا الجيدة باللغات الأخرى للتواصل مع الحضارات المختلفة.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017 م

يحتوي هذا العدد على عدد من الدراسات والبحوث في التعريب والتعليم العالي والترجمة،
نأمل أن نكون قد قدمنا للمهتمين والباحثين ما يفيد.

والله ولي التوفيق

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدّما للنشر في أيّ من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.

2. أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.

3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word، ترسل نسخة إلكترونية على بريد المجلة الإلكتروني إلى عنوان المركز التالي:

acatap2@gmail.com

مع مراعاة مايلي:

أ. ألا يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).

ب. أن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.

ج. ضرورة استعمال علامات الترقيم أصولاً.

د. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة.

4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

5. ترفق المادة المقدمة للنشر متضمنة:

أ. اسمه الثلاثي بالعربية وبالحروف اللاتينية.

ب. نبذة مختصرة من سيرة المؤلف.

ج. الصفة أو المرتبة العلمية، مثال (دكتور، أستاذ دكتور، باحث أكاديمي....الخ)

د. عنوانه البريدي الكامل.

هـ. عنوان بريده الالكتروني.

6. تُسهّل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل

بُتْبِتِ للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور ورقم الصفحة.

7. تُقدّم الرسوم والأشكال، في حال وجودها في مكانها في النص، وترسل أيضاً بملف أو

ملفات منفصلة بحيث تكون واضحة وبدقة صالحة للطباعة أعلى من 200 dpi بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة والحجم المناسب، على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص، مع ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية للشكل.

8. تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث

والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9. تُنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل

الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

– أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.

– أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.

.....قواعد النشر في المجلة

- ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
- أن يصحب العرض معلوماتٌ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.
10. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسليم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على النشر، وذلك قبل صدور العدد الجديد بثلاثين يوماً.
11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.
12. يحق للمجلة – إذا رأت ضرورة لذلك – إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.
13. يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإيداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.
14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزيع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.
15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /100/ دولار أمريكي كحد أقصى، علماً أن (الصفحة الواحدة تعادل 300 كلمة حسب الفقرة (3- أ)).

18. تعتذر هيئة التحرير عن نشر أية مقالة لا تلتزم بالشروط الواردة آنفاً.

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور زيد إبراهيم العساف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق - ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 - 11 - 963+

فاكس: 3330998 - 11 - 963+

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap2@gmail.com



بحوث لغوية

الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

القسم الأول

د. محمود السيد

بقلم: رئيس التحرير

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الأمن اللغوي ودواعي توفيره، وأن نسلط الأضواء على قضية اللغة الواحدة والتعدد اللغوي على الصعيدين العالمي والعربي، وأن نبين بعضاً من إجراءات تعزيز الأمن اللغوي على الصعيد العربي وبعضاً من مستلزمات توفيره.

أولاً: مفهوم الأمن اللغوي

الأمن لغةً مصدر من الفعل أَمِنَ بمعنى اطمأن وسكن قلبه ولم يخف. قال الشاعر:

أَمِنْتُ لَمَّا أَقَمْتُ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ فَنَمْتُ فِيهِمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ هَانِيهَا

فالأمن هو ضدّ الخوف، ويمثّل عنصراً أساسياً من عناصر التنمية البشرية في منظورها الشامل، وهو من الحاجات الأساسية لرفع مستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة، والوقوف ضدّ أي هيمنة أياً كان مصدرها داخلية كانت أو خارجية.

والأمن الثقافي العربي هو مطلب هام للحفاظ على الكيان العربي والهوية والاستمرار والحفاظ على المكتسبات الحضارية. وتعدّ اللغة خط الدفاع الأول للأمن القومي العربي، إذ إن الأمن اللغوي هو المقوم الأساسي والرئيس لتحقيق الأمن الثقافي من خلال الحفاظ على التراث الثقافي من جيل إلى جيل، لأن اللغة وعاء الثقافة والحضارة العربية، وهي القادرة على مواجهة التحديات الخارجية الرامية إلى هدم ثقافة الأمة وذاتيتها، والتصدي لأيّ غزو ثقافي،

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وهي التي تدعم الهوية وتحقق الأمن الثقافي.

والأمن الثقافي العربي يجعل الفرد مشاركاً وإيجابياً وفعالاً وقادراً على مواجهة التغيرات التي تطرأ على المجتمع، ومتابعاً التطورات العلمية والتقنية، وقادراً على التكيف مع مجتمعه وحاجاته وطموحاته، وعلى توظيف معرفته على نحو فعال يؤدي إلى تحقيق أفضل مستويات الأمان لتقدم أمته.

وهكذا نجد أن الأمن اللغوي هو جزء لا يتجزأ من الأمن القومي، ولا يقل أهمية عن الأمن الغذائي والأمن المائي، والأمن البيئي... إلخ لأنه يحافظ على الهوية، هوية الفرد من جهة، وهوية الأمة التي ينتمي إليها من جهة أخرى، ذلك لأن الهوية في مفهومها الشامل ما هي إلا قيمة جوهرية في حياة الإنسان بوصفه كائناً ثقافياً قبل أن يكون كائناً بيولوجياً، وجوهر الهوية الانتماء الذي يفارق الإنسان فيه آدميته الغريزية ويرتفع به إلى آدميته المتسامية، والانتماء مضمون وإبلاغ، فأما المضمون فعقيدة تكفل له الإيمان، وتقيه شر الضياع في الوجود، وأما الإبلاغ فلغة تؤمن له التواصل الإنساني الخلاق، ذلك لأن اللغة هي أحد المكونات الأساسية لهوية المجتمع التي تميزه عن غيره، لا بل هي الهوية، فاللغة والهوية شيء واحد.

ولما كانت اللغة العربية هي وعاء الهوية ولسان المواطنة وحاملة الموروث الثقافي والحضاري وآلة الإنتاج المعرفي والإبداعي كان من أولويات الأمن الحفاظ عليها والنهوض بها والعمل على أن تكون وافية لمطالب العصر ومستجيبة لحاجاته، وذائدة عن تراث الأمة.

ومادامت اللغة هي هوية المرء والأمة في الوقت نفسه كان الحفاظ على حدودها وأمنها من أولى أولويات الأمة الواعية، ذلك لأن انتفاء الأمن اللغوي لا يقل أهمية عن انتفاء الأمن العسكري والاقتصادي والمائي، انطلاقاً من أن الأمن اللغوي عماد محوري من عمد الأمن القومي، مع الأخذ بالحسبان أن تحقيق الأمن اللغوي لا يتعارض مع مسوغات الانفتاح على اللغات الأجنبية لتعرف ثقافات متكلميها، وأن إتقان اللغات الأجنبية مطلب أساسي وهام تستدعيه طبيعة العصر.

ثانياً: دواعي توفير الأمن اللغوي

طالما كررنا في بحوثنا وخطبنا ومقالاتنا أن لغتنا العربية هي أهم مكونات قوميتنا العربية، وأنها الجامع والحافظ لتراثنا العربي ماضياً وحاضراً، وأنها اللسان الموحد والموحد على الصعيد العربي، وأنها ضمنت استمرار الوحدة الثقافية للأمة ووجودها عبر العصور كلها بعد أن واجهت محاولات الاستعمار المتواصلة لتغييب هذه الثقافة واستلابها أهم مقوماتها متمثلاً في لغتها العربية.

وطالما تغنيينا بلغتنا العربية وأشرنا إلى عراقتها وعمقها الحضاري وإسهامها الفعّال في مسيرة الحضارة البشرية.

وطالما افتخرنا بماضيها المجيد وتراثنا العربي العتيق، وتكرر هذا الافتخار حتى أصبح اجتراحاً لا إبداع فيه ولا ابتكار، ولا انعكاس له على واقعنا وشؤون حياتنا المعاصرة، فنأينا عن الإبداع وهويانا الاتباع، ورحم الله شاعرنا الرصافي القائل:

تقدّم أيها العربي شوطاً	فإن أمامك العيش الرغيدا
وأسّس من بنائك كل مجد	طريف واطرّك المجد التليدا
فشرّ العالمين ذوو خمول	إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم	أقام لنفسه حسباً جديدا

إنّ هذه اللغة التي بها نعتزّ، وبمآثرها نفتخر، تواجه تحديات كثيرة إن على المستوى الخارجي أو على المستوى الداخلي، وتزداد هذه التحديات تفاقمًا في ظلال عولمة كونية يدور فيها الصراع بين الثقافات، وتسعى الدول القوية والمهيمنة على الصعيد العالمي إلى فرض لغتها انطلاقاً من إيمانها بأن اللغة هي السلاح الفعّال في الاختراق النفسي، وعليها مدار كل تسلسل فكري. ومن هنا كانت تقاثل على مراكز النفوذ اللغوي بلا هوادة، وتنفق المبالغ الطائلة للعمل على سيرورة لغتها وانتشارها على الصعيد العالمي، وباتت الصراعات على هذا الصعيد في أيامنا المعاصرة تدور حول الهوية الحضارية للمجتمعات وما يميزها عن غيرها،

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وما الهوية إلا الحقيقة المشتعلة على الصفات الجوهرية التي تميز ذاتية هذا المجتمع عن غيره، وهي القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة التي تميز طابع الشخصية القومية عن غيرها من الشخصيات القومية الأخر.¹

وتجدر الإشارة إلى أن الصراع على الأرض والصراع على الثروة وعلى الماء ما هي إلا مطايا للصراع على السيادة والمجد، وكلها صراعات بادية للعيان، إلا أن الصراع الأعمق والأعمق والأبقى وربما الأعنف إنما هو صراع الهويات.

ولقد ظهرت في ظلال العولمة الكونية تهمة «مفادها أن ثمة تزاملاً بين الإسلام والإرهاب، وأن الإسلام هو الإرهاب، وأن الإسلام هو العرب، والعرب هم الإسلام، ومن ثم فإن اللغة التي جاء بها الإسلام وبها نزل نصه المقدس تحمل في كيانها بذور العنف ومنابت البغضاء، فهي بذاتها عدوانية تدعو إلى الكراهية، وتحرّض على الإقصاء والبغضاء».²

وما محاولات وصم اللغة العربية بهذه السمة إلا استمرار للمحاولات التي عرفتها أمتنا في القرن العشرين على أيدي بعض المستشرقين ومن دار في فلكهم، تلك المحاولات التي رمت إلى الدعوة إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية وباللغات العامية بغية تفتيت اللغة القومية، ومن ثم تفتيت الذات والهوية، وتفتيت السيادة والأرض أيضاً.

وطالما انطلقت الصيحات من هنا وهناك تشير إلى أن لغتنا العربية تواجه تحديات كثيرة على الصعيد العربي كله، ففي دول الخليج العربي أشار الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير الثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى إبعاد اللغة العربية عن واقعها في المدارس والجامعات والعمل ووسائل الإعلام، وتنشئة الأجيال الجديدة على لغات أجنبية، وعدم

¹ مصطفى محمد طه، الهوية بين الشكل والمضمون، مجلة التسامح، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد الرابع، عمان سنة 2004 ص 188.

² الدكتور عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دراسة وتوثيق، بيروت 2014 ص 12.

..... الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

استعمالها بقدر كاف في مجالات العلوم الحديثة والترجمة والنشر، والفوضى في أسماء المحلات والملابس ووسائل الاتصال المجتمعي، والحاجة الملحة إلى إعداد المعلمين القادرين على التعامل مع اللغة العربية ووسائل تدريسها.¹

وجاء في التقرير الرابع الصادر عن مؤسسة الفكر العربي عام 2011 حول «أزمة اللغة العربية في الحاضر العربي» وتحت عنوان «اغتراب اللغة أم اغتراب الشباب؟» أن اللغة العربية تعاني من الاغتراب في ديارها، وهو اغتراب تتفاقم حدته لدى الشباب، فالحاصل اليوم أن شبابنا العربي يكاد ينطق بلغة لا يكتبها، ويكتب لغة لا ينطقها، وأصبحت الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية ظاهرتين مقلقتين في الحاضر العربي، فهل نحن إزاء اغتراب اللغة ذاتها أم أن شبابنا هو الذي يعاني الاغتراب؟

وورد في الاستطلاع الذي أجرته المؤسسة في تسع دول عربية أن 53% من الشباب العربي الذي جرى استطلاع رأيه يستعمل اللغة الإنجليزية في التواصل عن طريق الشبكة (الإنترنت)، وفي الهواتف المحمولة، وأن الكتابة أضحت بالحروف اللاتينية والكلمات بالعامية والهجين اللغوي والعربيزي والفرانكو آراب.²

وثمة من يرى أن اللغات الأجنبية لم تعد هي العدو الأول للغة العربية، وإنما العدو الذي في مستطاعه أن يجهز على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين يكتسح المجال الحيوي للفصيحة، ولاسيما حين تغزو قلاع المؤسسات التعليمية، وقد أشار الدكتور طه حسين إلى خطر العامية في العملية التربوية قائلاً: «وكان من المربين من لا يعربون إلا حين يقرؤون في الكتب، فإذا تكلموا غرقوا وأغرقوا طلابهم في اللغة العامية إلى أذقانهم أو إلى

¹ ممدوح عبد الحميد، المجلس الوطني يطالب بقانون لحماية اللغة العربية، أبو ظبي 2014.

² مؤسسة الفكر العربي، أزمة اللغة العربية في الحاضر العربي، بيروت 2011.

آذانهم»¹.

ولقد طغت العاميات على أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، إذ بدأ نصيب الفصحى ينخفض، ولقي التوجيه إلى تعزيز التلهيج دعماً وتعزيزاً من أعداء الأمة نظراً لأن الفصيحة عامل توحيد في حين أن اللهجات العامية عامل تفريق بين أبناء الأمة، وتعزيزها بديلاً عن اللغة القومية الموحدة والموحدة ما هو إلا انتحار جماعي على عتبات قلعة التاريخ على حدّ تعبير الدكتور المسدي.²

وإذا كان ثمة أعداء يكيّدون للعرب ولغتهم وهويتهم، فإن الخطر الأكبر يكمن في أعداء الداخل من مثل أولئك الذين يطالبون باعتماد اللهجات الدارجة في تعليم العربية في المدارس، أو ينادون باستعمال اللغات الأجنبية عوضاً عن العربية في مراحل التدريس الأساسي والجامعي، فهم يَشُبُّون حرباً صامتة أحياناً وعلنية أحياناً أخرى على تطوير اللغة العربية وعلى استعمالها والتواصل بواسطتها في مختلف المواقف العلمية والمعرفية والأكاديمية.³

وطالما سمعنا دعوات علنية إلى تدريس العلوم والطب والهندسة باللغة الكونية لا بالعربية، وشاهدنا تهميش العربية واستبعادها من مؤسسات التعليم العالي لتحل محلها اللغة الإنجليزية في دول الخليج العربي، واللغة الفرنسية في دول المغرب العربي.

تجاه ذلك كله لم يعد ممكناً تجاهل هذا الوضع الذي تجلّى في مظاهر شتى، ولم تعد هذه المظاهر مقلقة فقط للخبراء والتربويين وعلماء اللغة، وإنما تفشت وتفاقت بحيث يمكن رصدها في جميع مناحي الحياة اليومية، وتعددت في السنوات الأخيرة مبادرات فأقيمت مؤتمرات وعقدت ندوات، وأطلقت الصيحات لإيقاف تدهور لغة الضاد، وباتت اللغة العربية

¹ الدكتور طه حسين، نقد وإصلاح، دار العلم للملايين، بيروت 1936 ص 161 نقلاً عن الدكتور عبد السلام المسدي في مرجعه السابق، الهوية العربية والأمن اللغوي ص 262.

² الدكتور عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، مرجع سابق ص 369.

³ الدكتور بسام بركة، نحو أمن لغوي عربي حفاظاً على الهوية، جريدة الحياة، العدد الأربعاء 30 أيلول/سبتمبر 2015.

..... الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

اليوم قضية أمن لغوي.

ومن الملاحظ في واقعنا التنموي أن ثمة اهتماماً بالأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن البيئي والأمن المائي، ولم يكن الأمن اللغوي على ذلك المستوى من الاهتمام، مع أن الاهتمام به يحافظ على هوية الأمة ويحميها من الانسلاخ والذوبان في الآخر.

ومن هنا كنّا وما نزال في أمسّ الحاجة إلى عمل عربي مشترك يقدم تصوراً شاملاً لقضايا اللغة العربية، ويرسم خطة لمعالجة أزمات هذه اللغة، على أن يتجاوز ذلك كله إلى استشراف مستقبل هذه اللغة لتحل مكانة متميزة بين اللغات علماً بأنها من اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، وهذه ميزة لم تحظ بها دول كبرى في عالمنا المعاصر مثل ألمانيا وإيطاليا واليابان.

ولقد كان من المتوقع أن تكون الدول العربية التي حصلت على استقلالها بعد احتلال المستعمرين لها إن في دول المشرق العربي أو في المغرب حريصة على سيادة لغتها الأم (العربية الفصحى) في مجالات الفكر والثقافة والمعارف كافة، وفي جميع ميادين التيسير والتوجيه والإبداع والفنون، إلا أن فتور الوعي اللغوي وهشاشة الانتماء إلى الأمة والاعتزاز بتراثها ومكانتها ومسيرتها في الحضارة البشرية، ذلك كله حال دون أن تتبوأ لغتنا المكانة الجديرة بها.

ومن الملاحظ أن من بيدهم القرار على أعلى المستويات لا يولون المادة اللغوية الأهمية الجديرة بها، مع أن بقاءهم وبقاء رعاياهم متوقفان على بقاء هويتهم، وأن بقاء هويتهم مرهون ببقاء لغتهم القومية الجامعة والموحدة على الصعيدين الوطني والقومي، ولا جامع لشؤون المجتمع في مختلف مجالاته السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية والإعلامية.. الخ إلا بلغة قومية عميقة الجذور في التاريخ البشري، ومواكبة لروح العصر ومتطلباته.

وليت أصحاب القرار يدركون ذلك ويتسابقون إلى اتخاذ الإجراءات الكفيلة بالنهوض بلغتهم والتمكين لها، وليتهم يقررون سياسة لغوية واضحة لدعم لغتهم على الصعيدين الرسمي

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

والشعبي، والتركيز على قطاعات التعليم والإعلام والاقتصاد والتقانة.. الخ.

والواقع لا أمن لغوياً في أمتنا إلا عندما يدرك أبناء الأمة كافة رؤساء ومرؤوسين عن وعي أن لغتهم هي هويتهم، وأن ثمة ارتباطاً عضوياً وتماهياً بين السياسة واللغة والهوية، ذلك لأن السياسة جسر عماده الثقافة، والثقافة نهر تسقي جداوله منابع السياسة، والهوية قلعة حصنها الثقافة وسياجها اللغة.

ولقد أدرك عدوهم هذا التماهي فإذا هو يبعث الحياة في لغته العبرية الميته منذ ألفي عام، ويعيدها إلى الحياة في مختلف مجالاتها وميادينها، فتكون اللغة المستعملة في العملية التعليمية التعلمية بدءاً من رياض الأطفال وانتهاء بالدراسات العليا ومراكز البحث العلمي، في الوقت الذي يدعو فيه نفر من أبناء الأمة إلى استبعاد لغتهم العربية واستعمال اللغة الأجنبية مكانها في المؤسسات التعليمية الجامعية على الأرض العربية.

ثالثاً: اللغة الواحدة والتعدد اللغوي

تناولنا في الفقرات السابقة قضية الأمن اللغوي المتعلق باللغة العربية الفصيحة، إلا أن في أمتنا العربية لغات تتكلمها فئات تعيش على الأرض العربية وليست عربية فصيحة، فما التصرف تجاه ذلك؟ وهل يعد التنوع اللغوي في الأمة من عوامل التنوع الحضاري؟ وإلى أي حد يؤثر هذا التنوع في تماسك المجتمع؟ وهل التنوع اللغوي يهدد الهوية؟

لقد دعت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) إلى التنوع اللغوي وإلى الحفاظ على لغات الشعوب على أنها تعبّر عن الذاتية الثقافية لهذه المجتمعات، وذكرت في الدراسات التي قامت بها حول اللغات العالمية أن عدد اللغات المكتوبة يصل إلى 500 لغة، وأن عدد اللغات التي لها تراث أدبي يبلغ 200 لغة، ومن بينها سبع عشرة لغة ينطق بكل واحدة منها أكثر من 50 مليون نسمة، والعربية واحدة منها، غير أن العدد الأوفر يوجد في أفريقيا حيث يقدر عدد اللهجات بما لا يقل عن 2000 لهجة. وفي البلد الواحد عدد ضخم من

..... الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

اللغات المختلفة، ففي غانا 58 لغة.¹

ودعت اليونسكو إلى الحوار بين الثقافات، وأصدرت ميثاق التنوع الثقافي. ومن أهم مبادئه إقرار حق الدولة في انتهاج السياسات الثقافية التي تحددها لنفسها، وإقرار مبدأ حماية المنتج الثقافي الخاص بكل شعب، وإقرار حق كل شعب في التمسك بلغته القومية بوصفها الرمز الأكبر لهويته الثقافية، فكانت ثمة وثيقة الحقوق اللغوية التي أضيفت إلى ميثاق التنوع الثقافي، وقد جاء في ديباجة وثيقة الحقوق اللغوية «أن اللغة ليست أداة للاتصال واكتساب المعرفة فقط، بل هي أيضاً مظهر أساسي للهوية الثقافية ووسيلة تعزيزها إن للفرد أو للجماعة». وقد تمت التصديق على هذه المعاهدة في 20 تشرين الأول/أكتوبر عام 2005.

وتتجلى سياسات التخطيط اللغوي على الصعيد العالمي في المسارات الثلاثة الآتية:

1. محاولة إزالة كل اللغات باستثناء لغة واحدة تعد اللغة القومية الرسمية.
 2. الاعتراف بالتعددية اللغوية، والمحافظة على اللغات الأساسية في إطار الدولة، وتبني لغة واحدة أو أكثر على أنها لغة رسمية تخدم التواصل بين المقاطعات في داخل الدولة، وهذا المنحى يعترف بالتعددية الثقافية على أنه طابع تنتمي به الدولة.
 3. الاعتراف بلغتين رسميتين تتوافقان مع التركيبة اللغوية، وهذا الاتجاه يحاول تحقيق المساواة بين المجموعتين اللغويتين اللتين تستعملان في الدولة.
- وثمة فائدة في أن نطلع على التعدد اللغوي في بعض الدول لننبين واقع وكيفية معالجته فيها، ومن ثم نقف على هذا الواقع في أمتنا العربية.

1. التنوع اللغوي في كندا: نصت القوانين في كندا على الثنائية اللغوية، إذ إن 80% من سكان منطقة كيبيك من أصل فرنسي، ويعيش ثلث سكان كندا في أونتاريو من أصل بريطاني وإيرلندي. وتجري المعاملات الرسمية باللغتين، وقد أصدرت الحكومة الفيدرالية في تموز عام 1969 قانون اللغات الرسمية الذي أعطى كل منطقة ينكلم سكانها اللغتين نظام مقاطعة ثنائية

¹ مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة، الكويت د.ت ص 184.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

شرطاً ألا يتعدى عدد السكان الذين يتكلمون إحدى اللغتين الرسميتين 10 % من عدد السكان. وثمة تنافس بين الإنجليز والفرنسيين، وللتعداد عامل الحسم، إذ إن الإحصاءات تقيد بتفوق اللغة الإنجليزية على اللغة الفرنسية. ومما ساعد على هذا التفوق اللغوي الانفجار التقني (التكنولوجي) والمعرفي باللغة الإنجليزية، إذ أصبحت لغة العلم والتقانة، إضافة إلى العولمة الثقافية التي تقودها أمريكا بلغتها الإنجليزية. إلا أن السياسة التي اتبعتها الحكومة الكندية سمحت بتهدئة الإنجليز والفرنسيين معاً بفضل اعتماد سياسة الثنائية اللغوية.¹

2. التنوع اللغوي في إسبانيا: تتكون الخريطة اللغوية في إسبانيا من:

- أ. اللغة الإسبانية: وهي اللغة الرسمية في إسبانيا، ولغة أكثر من 300 مليون نسمة في دول أمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل ولغتها الرسمية البرتغالية.
- ب. اللغة الكتالونية: ويتحدثها سبعة ملايين نسمة في إسبانيا في مقاطعة «كاتالونيا».
- ج. اللغة الجالقية: ويتحدثها خمسة ملايين نسمة في عدة مناطق منها «أستوريا» و«ليون».
- د. اللغة الباسكية: وهي لغة رسمية في بلاد الباسك، ويمثل سكانها 2 % من مجموع سكان إسبانيا.

ولقد ازدهرت قضية التعدد اللغوي في عهد الجمهورية الثالثة 1931-1936، وكان ثمة تعايش لغوي، إذ استعملت هذه اللغات في الإدارة والتعليم والثقافة، وذلك في المناطق التي تنتشر فيها إلى جانب اللغة الإسبانية. إلا أنه في أثناء الحرب الأهلية في إسبانيا (1936-1939) كانت سياسة فرانكو تسعى إلى توحيد إسبانيا باعتمادها لغة واحدة، والحوّل دون أي مظهر من مظاهر التنوع اللغوي، وبعد انتهاء الحرب نص الدستور الذي وضع عام 1978 على التنوع اللغوي، مع الأخذ بالحسبان أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية في إسبانيا، ويجب على كل إسباني معرفتها واستعمالها إلى جانب لغات رسمية أخرى في حدود مناطق الحكم

¹ الدكتور ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى 1993 ص 23.

..... الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

الذاتي حفاظاً على التنوع اللغوي في إسبانيا الذي يعد ثراءً ثقافياً.¹

وهكذا اتجه التخطيط اللغوي في إسبانيا إلى تأكيد الطابع الرسمي للغة الإسبانية في جميع المجالات لأنها اللغة الجامعة التي تحافظ على انسجام المجتمع ووحدته من جهة، ومن جهة أخرى الاعتراف بوجود لغات أخرى إلى جانب اللغة الإسبانية على ألا تستعمل إلا في المقاطعات ذات الحكم الذاتي.

ونجح التخطيط اللغوي في المحافظة على الانسجام الاجتماعي، كما نجح في نشر اللغة الإسبانية والثقافة الإسبانية في العالم، إذ إن «المعهد الثقافي سيرفانتس» الذي أنشئ عام 1991 يعمل في 44 دولة في القارات الخمس، ومن الدول التي يعمل فيها: ألمانيا، بلجيكا، أستراليا، أمريكا، الفلبين، فرنسا، إيرلندا، إيطاليا، بولونيا، البرتغال، بريطانيا، روسيا، رومانيا، تونس، سورية، لبنان، مصر، الجزائر، المغرب... الخ، ولا يكتفي المعهد بتعليم اللغة الإسبانية، وإنما يعمل على نشر الثقافة الإسبانية. ومن الأسس التي يقوم عليها التخطيط اللغوي في إسبانيا: أ. تعليم اللغة الإسبانية.

ب. نشر الثقافة الإسبانية - تعزيز الاقتصاد لمواجهة العولمة اللغوية.²

3. التنوع اللغوي في الصين: يتحدث 70% من السكان اللغة الصينية الشمالية، وهي اللغة التي تعلم في المدارس الصينية. إلا أن الأقليات في الصين تستعمل لغتها الخاصة بها في مدارسها إلى جانب اللغة الصينية الرسمية. ومن اللغات التي تتحدث بها الأقليات الكورية والمغولية والبورغورية.

وقامت الحكومة الصينية بإصلاحات لغوية تمثلت في:³

¹ أمانة بوكيل، ملامح التخطيط اللغوي في إسبانيا بين الصراع اللساني وحتمية التعايش، جامعة قسنطينة، الجزائر 2016.

² الدكتور ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، مرجع سابق ص 20.

³ المرجع السابق ص 31.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- أ. تبسيط الرموز الصينية وذلك باختصار عدد الخطوط في الرموز المعقدة.
- ب. نشر اللغة القومية المشتركة القائمة على لهجة بكين في جميع أنحاء الصين الشعبية.
- ج. وضع نظام يهدف إلى تنقيط الحروف الصينية.
- د. تعزيز اللغة المشتركة في الصين.
- هـ. وضع أبجديات خطية للغات الأقليات التي تتكلم لغة غير اللغة الصينية.

4. **التنوع اللغوي في الهند:** تنتشر في الهند لغات عدة، وحاولت الحكومة الهندية اعتماد سياسة ترضي جميع الأطراف في المجتمع. ومنعاً لسيطرة فئة تتكلم لغة معينة على حساب سائر اللغات الأخرى أقرت الحكومة جملة من التدابير منها اختيار اللغة الإنجليزية لغة المعاملات الإدارية والتعليم العالي والأعمال التجارية، واستعمال اللغة الهندية في القوات المسلحة، وفي مجمل الأسواق التجارية في جميع أنحاء البلاد، وفي مناطق واسعة من الشمال. وهكذا أقرّ الدستور الهندي اللغة الهندية إلى جانب الحفاظ على اللغة الإنجليزية، ونص القانون على استعمال اللغتين، وثمة مواد قانونية تفسح في المجال للغات أخرى، إذ يسمح للسلطة التشريعية في كل ولاية اعتماد لغة واحدة. وفي الهند حالياً يوجد إلى جانب اللغات الرسمية أكثر من ألف لغة ولهجة محلية تنتوع من إقليم إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى. ويقوم الاتحاد الفدرالي الهندي توازناً بين مركزية تمثلها الحكومة الوطنية ولا مركزية في المناطق، ويقر الدستور الهندي اللغة الهندية لغة رسمية إلى جانب اللغة الإنجليزية أيضاً، وثمة مواد قانونية تعطي مجالاً للغات أخرى.¹

وهكذا يتبين لنا أنه حتى في الدول التي يسود فيها تنوع لغوي فإن هناك لغة جامعة يتحدثها أغلب أبناء البلاد هي التي تحتل الحيز الأكبر في الدولة، وإن كان ثمة لغة رسمية أخرى إلى جانبها أو يسمح للأقليات في البلاد ممارسة لغتهم الأم إلى جانب اللغة المركزية على النحو الذي ألفيناه في الصين أو الهند أو كندا أو إسبانيا.

¹ المرجع السابق ص 19.

..... الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

وإذا ألقينا نظرة على الواقع اللغوي في أمتنا العربية فإننا نلاحظ أن هناك لغة أم، وهناك اللغة الأم، وأن الفرق بين اللغة الأم ولغة الأم شاسع، فلغة الأم قد تكون إحدى اللغات التي تتكلمها بعض الفئات التي تعيش على الأرض العربية، ومن هذه اللغات الكردية والأمازيغية، وقد تكون إحدى اللهجات العامية. أما اللغة الأم فهي اللغة العربية الفصحى وهي اللغة الجامعة والموحدة والموحدة على الصعيد العربي، وهي لغة القرآن الكريم ولغة التراث.

واستناداً إلى وثيقة الحقوق اللغوية وميثاق التنوع الثقافي في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) من جهة، وإلى ميزات اللغة العربية الفصحى على أنها اللغة الأم من جهة ثانية، فإن اللغة المعول عليها على نطاق الساحة العربية هي اللغة العربية الفصحى، على أن يمارس أصحاب اللغات الأخرى حقوقهم اللغوية في تعليم لغتهم لأبنائهم والحفاظ على تراثهم، وذلك إلى جانب استعمال اللغة الجامعة الموحدة والموحدة. وفي الجزائر والمغرب العربي ثمة اعتراف باللغة الأمازيغية على أنها لغة رسمية إلى جانب اللغة العربية أيضاً، وإن كان بعض أبناء هذه اللغة الأمازيغية يقررون بأن العربية الفصحى تنسم بمزايا وسمات لا تحظى بها الأمازيغية، وأن لها السيادة إذ يقول الأستاذ الدكتور صالح بلعيد في هذا الصدد: في الجزائر أربع لغات، منها الوطنية ومنها الأجنبية، وهذه اللغات هي: اللغة العربية، اللغة الأمازيغية، اللغة الفرنسية، اللغة الإنجليزية.

العربية: هي اللغة الدينية والوطنية والرسمية في البلاد، وهي لغة كتابية منبثقة عنها لهجات محلية وشفاهية.

الأمازيغية: لغة وطنية، محيطها المؤسسات التعليمية والإعلامية، ولكن بشكل محدود وليس موسعاً على الصعيد الوطني، وهي لغة كتابية منبثقة عنها لهجات محلية شفاهية.

لغة فرنسية: لغة أجنبية موروثه عن العهد الاستعماري، محيطها المؤسسات التعليمية وبعض العائلات الفرائكفونية.

لغة إنجليزية: لغة أجنبية فرضتها العولمة، محيطها المؤسسات التعليمية.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ومن البدهي أن اللغة التي يكون حظها في الحياة الاجتماعية ووظيفتها أكبر يكون لها الحظ في اعتلاء منصب اللغة الجامعة. وحتى ننسب أي اللغات وظيفتها أكبر في المجتمع الجزائري نلقي نظرة على الجدول رقم (1) الآتي:¹

الجدول 1: الوظائف التي تؤديها اللغات في الجزائر

اللغات في الجزائر	الرسمية	الوطنية	لغة زمرة	مشتركة	عالمية	مدرسية	دينية	المجموع
العربية	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	7/7
الأمازيغية	✓	✓	✓	-	-	✓	-	7/4
الفرنسية	-	-	✓	-	✓	✓	-	7/3
الإنجليزية	-	-	-	-	✓	✓	-	7/2

ويتضح أن الوظائف التي تشغلها العربية في المجتمع الجزائري هي التي تخولها لأن تكون اللغة الجامعة واللغة الأم الموحدة والموحدة، مع التقدير واحترام اللغات الأخرى واحترام حق أصحابها والمتحدثين بها في ممارستها وتعليمها لأبنائهم على ألا تكون بديلاً عن العربية، وإنما تبقى للعربية سيادتها ومكانتها على أنها اللغة الأم الجامعة.

ولقد دعا أعداء العربية من المتفرنسين والفرنسيين إلى تشجيع المتحدثين باللغة الأمازيغية على كتابتها بالحروف اللاتينية لا بالحروف العربية، إلا أن المنصفين والموضوعيين من أبناء الأمازيغية عارضوا هذا التوجه، وأصروا على الكتابة بالحروف العربية، وردوا ذلك إلى الأسباب الآتية:²

1. صلاحية الحرف العربي، مع وجود إمكانات تحويله في بعض الأصوات.
2. انتماء الأمازيغية إلى وعاء الحضارة الإسلامية، ووجود رصيد معرفي أمازيغي دون بالحرف العربي خلال عهود الدولة الإسلامية في القرون الوسطى.
3. ارتباط الأمازيغية بالإسلام، بحكم انتماء الناطقين بها إلى هذا الدين.

¹ الدكتور صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، دار هومة، الجزائر 1999 ص 175.

² المرجع السابق.

..... الأمن اللغوي ودوره في الحفاظ على هوية الأمة

4. اقتراض الأمازيغية نسبة كبيرة من رصيدها من العربية وخاصة في مجال المفاهيم المجردة.

5. كسر الحواجز النفسية بين المتعلمين واللغة الأمازيغية في حال استعمال الحرف العربي.

6. تجاوز استعمال الحرف العربي لحدود الدول العربية، إذ صار مستعملاً في عدد من الدول الآسيوية الإسلامية منذ القرون الوسطى لكتابة لغاتها.

ولم يكف أعداء الأمة عن محاولاتهم المستمرة حديثاً لإبعاد اللغة العربية الفصيحة، وتشجيع متكلمي اللغات الأخرى على الأرض العربية، وتقديم الدعم لهم تحت شعار حقوق الإنسان، وقد عقد في مدينة (جربة) التونسية المؤتمر السادس لما يسمى «الكونغرس العالمي الأمازيغي - جبهة مكناس» في أوائل تشرين الأول (أكتوبر) عام 2011، وذلك بالتعاون مع الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية التي نشأت بعد الإطاحة بالرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية آنذ، وحضره ممثلون للأمازيغ من جزر الكناري والنيجر ومالي وليبيا وتونس والمغرب والجزائر ومصر والمهجر الأوربي، وانهقد المؤتمر تحت شعار «الشعب الأمازيغي في الطريق إلى الحرية»، وقد حضر منظموه على المشاركين فيه استعمال اللغة العربية بذريعة أنها لغة احتلال واستعباد، وترمز على حدّ زعمهم إلى أربعة عشر قرناً قضاها الأمازيغ تحت تسلط العرق العربي، في حين سمحوا باستعمال اللهجات المحلية لممثلي الدول المشاركة إلى جانب اللغتين الفرنسية والإنجليزية والأمازيغية طبعاً.¹

ومن محاولات الأعداء في استبعاد العربية ما حصل في جنوب السودان بعد انفصاله، إذ اعتمدت حكومة الجنوب اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكانت بحاجة إلى مدرسين لهذه اللغة، فما كان من أمريكا وإسرائيل إلا أن مدّتا حكومة جنوب السودان بآلاف المدرسين سداً لحاجاتها، في الوقت الذي كان فيه أصحاب العربية غافلين عن سيرورة لغتهم وانتشارها

¹ الدكتور محمود أحمد السيد، في رحاب لغتنا العربية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2017 ص 30.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

والتمكين لها على أرضها، فحلت الإنجليزية مكانها.¹

وهكذا نجد أن ثمة محاولات واختراقات للنيل من اللغة العربية وتهديد أمنها وسيادتها والعمل على استبعادها وتهميشها، بيد أن جهوداً مقدرة ومعتبرة بُذلت للحفاظ عليها وحمايتها، وسنتعرف في العدد القادم بعضاً من هذه الجهود إن على المستوى الرسمي الحكومي أو الأهلي.

¹ المرجع السابق ص 31.

من التعديّ إلى اللّزوم: ظاهرة لغوية تنجم عن تضعيف عين الأفعال الثلاثيّة المجردة

د. سام عمار
جامعة دمشق

1. مقدمة

يزاد الفعل الثلاثيّ المجرد بحرف أو بحرفين أو بثلاثة، فزيادة الحرف تكون إما بمباشرة الهمزة إياه في صيغة (أَفْعَلْ)، وإما بدخول الألف عليه ثانيةً بعد الفاء في صيغة (فَاعِلْ)، وإما بتضعيف عينه في صيغة (فَعْلَ). وتكون زيادته بحرفين إما بمباشرة الألف والنون إياه في صيغة (انْفَعَلْ)؛ وإما باحتضان الألف والتاء فاءً في صيغة (افْتَعَلْ)؛ وإما بمباشرة الألف فاءً وتضعيف لامه في صيغة (افْعَلْ)؛ وإما بمباشرة التاء فاءً وتضعيف عينه في صيغة (تَفْعَلْ). أما زيادته بثلاثة أحرف فتكون إما بمباشرة الألف والسين والتاء إياه في صيغة (اسْتَفْعَلْ)؛ وإما بمباشرة الألف فاءً وتضعيف عينه دون إدغام لزيادة واو بين صورتَي الحرف المضعّف في صيغة (افْعَوْعَلْ)؛ وإما بزيادة ألفَيْن أحدهما قبل الفاء وثانيتهما بعد العين، وتضعيف لامه وإدغامها في صيغة (افْعَالْ).

وستكون الصيغة الثالثة من هذه الصيغ، وهي صيغة (فَعْلَ)، موضوع بحثنا هذا، الذي سنستكشف فيه وننقّص أحد جوانب التحول الدلاليّ في الفعل الثلاثيّ المجرد، بتأثير تضعيف عينه، وذلك بمسح دُوبٍ متأنٍّ متكرر لمواد المعجم الوسيط،

ولن نتطرق في هذا البحث إلى المعاني التي تولّدها صيغ الزيادة والتي تسمح لنا بالحديث عن معاجم للمعاني المترادفة. فقد كانت هذه المعاني موضوعاً لبحوث ثلاثة معاصرة نشر

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

اثنتان منها في مجلة التعريب (عمار، 2015؛ عمار، 2016)، ونشر الثالث في كتاب (عمار، 2014). وقد كان سبقنا إلى تناولها جزئياً وباختصار شديد علماء لغة أجبلاء (سيبويه، 1982؛ وابن عصفور، 1972 من القدماء؛ والحملوي، 1965 من المحدثين). وهذه الظاهرة المبدعة الخلاقة قد لا نجد لها في كثير من اللغات الأخرى، إن تواضعنا ولم نحصر الأمر في اللغة العربية وحدها.

2. مشكلة البحث

والموضوع الذي نصرّف إليه همتنا هنا هو جانب آخر من جوانب عبقرية صيغة فعل، لا يقل عن سابقه (معاني الصيغة) أهمية وإمتاعاً، وخلفاً وإبداعاً. وهذا الجانب الذي لم تتناوله قبلنا أقلامُ الكتاب في حدود علمنا وتقصينا عنه في الشائكة، والذي يشكل مشكلة البحث، هو: استقصاء الحالات التي تدلّ على الدور الذي يؤديه تضعيف عين الأفعال الثلاثية المجردة في صيغة فعل، متعدية دائماً كانت، أو لازمةً حيناً ومتعديةً حيناً آخر، في تقليص الحقل الدلالي للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه، الذي كان متعدياً في صيغته المجردة، ليعود لازماً بعد التضعيف، في ظاهرة تناقض كلياً ما يُعرف عن دور تضعيف عين الثلاثي المجرد اللازم، في تحويله باطراد إلى متعدّد.

فإذا كان العامل الأول الذي يحول الفعل الثلاثي المجرد اللازم إلى متعدّد هو مباشرة الهمزة إياه في صيغة: أفعّل، وكان العامل الثاني هو تضعيف عينه في صيغة: فعّل، فإن المذهل في شدة فعل أنها، في بعض نواحي تأثيرها، تفعل نقيض ذلك تماماً، لتلغي هذه السمة كلياً، فتُحيل الفعل المتعدّي في أصله الثلاثي المجرد إلى لازم في صيغة فعل.

وهذا يعني مرة أخرى أن الفعل الثلاثي المجرد: موضوع البحث لم يكن يمتلك هذه الخاصية قبل تضعيف عينه في صيغة فعل.

والغريب ألا تنثير هذه الظاهرة المبدعة الخلاقة في اللغة العربية أقلام المحدثين، والقدماء من قبلهم. ولعلنا نجد لمن سبقنا العذر في أنهم كانوا يُعتون بقضايا أخرى أكثر إلحاحاً، وأن

..... من التعدي إلى اللزوم

هذا النمط من البحث المدقّق جداً، والمضني جداً في تلافيفه التفصيليّة، ربما كان يُنظرُ إليه بوصفه نوعاً من التّرف في البحث اللغويّ، يُخشى من ضالة نتائجه؛ ولذلك عزفوا عنه.

3. سؤال البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤالين الآتيين:

1. إلى أيّ مدى يقلّص تضعيف عين الفعل الثلاثيّ المجرّد في صيغة فعل، متعدّياً دائماً كان، أو لازماً حيناً ومتعدّياً حيناً آخر، حقله الدلاليّ فيحيله إلى لازم؟
2. ما الشواهد المعجمية التي تدلّل على وجود هذه الظاهرة وتؤكدّها؟

4. هدفا البحث

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

1. استكشاف ظاهرة تقليص تضعيف عين الفعل الثلاثيّ المجرّد لحقله الدلاليّ في صيغة فعل، بتحويل أفعاله، المتعدّية دائماً، أو اللازمة حيناً والمتعدّية حيناً آخر، إلى لازمة وحصرها وتصنيفها.
2. توثيقها من خلال إيراد الشواهد المعجمية التي تدلّل على وجودها وتثبتها.

5. حدا البحث

ينحصر حدّا بحثنا هذا فيما يأتي:

1. صيغة فعل وحدها من بين صيغ الزيادة الاثنتي عشرة في الأفعال الثلاثيّة المزيّدة.
2. الحالات التي يتجلّى فيها تقليص الحقل الدلاليّ للفعل الثلاثيّ المزيّد بتضعيف عينه في صيغة فعل، بتحويل أفعاله، المتعدّية دائماً، أو اللازمة حيناً والمتعدّية حيناً آخر، إلى أفعال لازمة.

6. منهج البحث

المنهج المتبع في هذا البحث مسحيّ استقصائيّ، وهو الوحيد الملائم لأهداف البحث والموصل إلى تحقيقها. إنه يقوم على تتبّع الأفعال التي وردت في المعجم، على صيغة (فَعَلَ)، وتجلّى فيها تقلّص تضعيف عين الفعل الثلاثيّ المجرّد لحقله الدلاليّ في صيغة فَعَلَ، بتحويل أفعاله، المتعدّية دائماً، أو اللازمة حيناً والمتعدّية حيناً آخر، إلى أفعال لازمة، وذلك بجرّدها واحداً واحداً وتصنيفها.

7. مصدر التوثيق

لقد عدنا في البحث عن المعاني التي توصّلنا إليها، وفي توثيقها، إلى المعجم الوسيط من دون بقية المعاجم. وقد وجّهتُنا إلى ذلك الاعتبارات الآتية:

1. أنه صادر عن هيئة علمية رسمية عريقة ومشهود لها في المجال اللغوي، وهي مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

2. أنه خلاصة عمل فريق من علماء اللغة العربية والباحثين في شؤونها، وهم جميعاً أعضاء في المجمع. والمعجم هنا يحمل ميزتين،

• أولاهما: أن العمل الجماعي يخفف الضغط الذي كان يمكن أن يعاني منه شخص واحد يتصدى لهذه المهمة الصعبة والمضنية؛

• وثانيتهما: أن الذين تصدّوا للمهمة علماء لغة مشهود لهم في الميدان.

3. أن المعجم الوسيط سعى إلى أن يكون معاصراً، فاعتمد الترتيب الأبجدي للأصول، وأدخل الكثير من الألفاظ المعاصرة والمستحدثة، تعريباً أو ترجمة أو وضعاً، فأغنى ذلك مفرداته وعصرَها، ومنحها حيوية ورشاقة واضحتين. كما أهمل كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافية أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها؛ وأهمل كذلك الألفاظ التي أجمعت المعاجم على شرحها بعبارات تكاد تكون واحدة، شرحاً غامضاً مقتضباً، لا يبيّن حقائقها ولا يقرب معانيها؛ وأغفل، إلى ذلك، بعض المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات؛ وعُني بإثبات

الحَيَّ السهل المأنوس من الكلمات والصيغ، واستعان في شرحه بالألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يُعتمد عليها، وعزَّز ذلك بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأمثال العربية، والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء (تصدير الطبعة الأولى). وهذه الخواص مجتمعة لا نجد لها في أي معجم آخر.

4. وإذا كان هناك بعض من هُتات في المعجم قد يذكرها بعض النقاد فإن العمل الإنساني يبقى غير كامل. وما في المعجم من ميزات يفوق كثيراً هذه الهُتات، ويجعلنا نتمسك به بصفته أنموذجاً عصرياً للمعجم العربي جديراً بالتقدير. ومظاهر النقد هذه التي توجَّه إلى طبيعة تصنيف الأفعال من الأصلين الواوي واليائي لا تتعلق في نهاية المطاف بهدف بحثنا، وهو استقصاء معاني الأفعال الواردة على صيغة (فَعَلَ) في بعض حالاتها. إكان لازماً أم متعدي

8. تحويل الفعل المتعدي دائماً إلى لازم

إذا كان تضعيف عين الفعل الثلاثي المجرد يشكل العامل الثاني (بعد الهمزة المعروفة لدى النحاة بهمزة التَّعديّة)، الذي يحول الثلاثي اللازم إلى متعدٍّ، فإن إحدى الخواص المدهشة لهذا التضعيف أنه يحول الفعل المتعدي دائماً، أو اللازم حيناً والمتعدي حيناً آخر، إلى لازم. ومن الأمثلة الكثيرة لتحويل الفعل المتعدي دائماً إلى لازم:

- الفعل: "أَثَرَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية: (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدِّياً دائماً في مثل: "أَثَرُهُ يَأْثُرُهُ أَثْراً، وَأَثَارُهُ، وَأُثْرُهُ، وَأَثَرِي: تَبَعَ أَثْرُهُ. وَأَثَرَ الْحَدِيثَ: نَقَلَهُ، وَرَوَاهُ عَنْ غَيْرِهِ. وَأَثَرَ السَّيْفَ، وَغَيْرُهُ أَثْراً وَأُثْرَةً: تَرَكَ فِيهِ عِلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا. وَأَثَرَ فُلَانٌ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا: اخْتَارَ فَعْلَهُ" (ص 5).

- فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لازماً وانكَمَشَ حَقْلُهُ الدلالي إلى معنى واحد، ولازَمَ حرف الجر، فنقول: "أَثَرَ فِيهِ: تَرَكَ فِيهِ أَثْراً" (ص 5).

- والفعل: "بَخَسَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدِّياً دائماً في مثل: "بَخَسَ فُلَانٌ الْكَيْلَ أَوْ الْمِيزَانَ يَبْخَسُهُ بَخْساً: نَقَصَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- أشياءهم" (سورة الأعراف، الآية 85). وبخَسَ فلاناً: ظلمه. وبخَسَهُ: عابه. وبخَسَ عينه: ففأها. وبخَسَ فلاناً حقاً: لم يوفِّه إياه. فهو باخِسٌ، وهي باخِسٌ أيضاً، وباخِسةٌ" (ص 41).
- فإذا ضُعِّفَت عينه صارَ لازماً وتقلصَّ حقله الدلالي إلى معنى واحد، فنقول: "بخَسَ مُحٌ العظم: نقصَ من الهزال، ولم يبقَ إلا في السُّلَمَى والعين، وهو آخر ما يبقى" (ص 41).
- والفعل: "بَدَه"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً في مثل: "بَدَه فلانٌ فلاناً يَبْدَهُ بَدَاهُ، وبَدَاهَهُ: فجأه. ويُقال: بَدَهُ بكذا. وبَدَه فلاناً بكذا: بَدَاهُ به" (ص 44). فإذا ضُعِّفَت عينه صارَ لازماً وتقلصَّ حقله الدلالي إلى معنى واحد، فنقول: "بَدَه فلانٌ: أجاد وأحسن القولَ على البديهة" (ص 44).
- والفعل: "بَقَطَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً في مثل: "بَقَطَ فلانٌ متاعه يَبْقِطُهُ بَقْطاً: جمعه وحزمه. وبَقَطَ الرَّجُلُ: أعطاه بستاناً على التَّلتِ أو الرَّبْعِ أو غيرهما" (ص 65).
- فإذا ضُعِّفَت عينه صارَ لازماً، وظلَّ في معنيين، ولازمَ حرف الجر في ثانيهما، فنقول: "بَقَطَ فلانٌ: أسرع. وبَقَطَ فلانٌ في الجبل: صعد" (ص 65).
- والفعل: "بَلَع"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً في مثل: "بَلَعَ الماءَ والرَّيْقَ يَبْلَعُهُ بَلْعاً: جَرَعَهُ. فهو بالِعٌ وبَلُوعٌ" (ص 69).
- فإذا ضُعِّفَت عينه صارَ لازماً وحافظ على معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، ولازمَ حرف الجر، فنقول: "بَلَعَ الشَّيْبُ في رأسه: بدا وظهر" (ص 69).
- والفعل: "عاقَ" الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً في مثل: "عاقَ فلاناً يَعْيقُهُ عَيْقاً: منعه وصرفه وشغله" (ص 640).
- فإذا ضُعِّفَت عينه صارَ لازماً وحافظ على معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، ولازمَ حرف الجر، فنقول: "عَيَّقَ فلانٌ في صوته: صوَّتَ" (ص 640).
- والفعل: "غالَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً في مثل: "غالتِ الأمُّ ولدها تَغِيلُهُ غَيْلاً: أرضعته الغيل. وغالَ الشَّيءُ يَغِيلُهُ غَيْالاً، وغَيْالَةً، وغَوْولاً: سرقه. وغالَ

..... من التعدي إلى اللزوم

- فلاناً كذا وكذا: إذا وصلَ إليه منه شرٌّ" (ص 696).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً وتقلَّصَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد، فنقول: "غَيَّلَ فلانٌ: دخلَ في الغَيَّلِ (الوادي فيه ماءٌ، وموضعُ الأسد، والشجر الكثيفُ الملتفُّ الذي يُستترُّ فيه)" (ص 669).
- والفعلُ: "فَرَزَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فعلَ يفعلُ) متعدّياً دائماً في مثل: "فَرَزَ الشَّيْءَ والنَّصيبَ يفرِزه فرزاً: مَيَّزَهُ ونَحَّاهُ. وفرزَتِ مَسَامُ الجسدِ العرقَ، والغَدَةُ اللَّعَابُ: رَشَحَتْهُ وأَخْرَجَتْهُ. يُقالُ: فرزه منه، وفرزه عنه. وفرزَ القطنَ ونحوه: فصلَ رديئَهُ عن جيِّده" (ص 680).
 - فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً وتقلَّصَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد، ولازمَ حرف الجر مكرراً، فنقول: "فَرَزَ عليه برأيه تفريزاً وتفرزة: قطعَ عليه به" (ص 680).
 - والفعلُ: "قَنَّ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فعلَ يفعلُ) متعدّياً دائماً، وملازماً معنى واحداً، مثل: "قَنَّ فلانٌ الشَّيْءَ يَقْنُهُ قَنّاً: تَقَدَّه بالبصرِ" (ص 763).
 - فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً، وبقي على معنى واحد، فنقول: "قَنَّ فلانٌ: وضعَ القوانين" (ص 763).
 - والفعلُ: "مَزَجَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فعلَ يفعلُ) متعدّياً دائماً، مثل: "مَزَجَ فلانٌ الشَّرَابَ ونحوه يمزجُهُ مزجاً: خلطَهُ بغيره. ومزجَ فلاناً على صاحبه: حرَّشَهُ عليه" (ص 866).
 - فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً وتقلَّصَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد، فنقول: "مَزَجَ السُّنْبُلُ: انتقلَ من خُضرة إلى صُفرة" (ص 866).
 - والفعلُ: "مَشَّنَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فعلَ يفعلُ) متعدّياً دائماً، مثل: "مَشَّنَ فلاناً بالسَّوْطِ: ضربَهُ به. وسوطٌ ماشنٌ. جمعه مَشَنٌّ. ويُقالُ: مَشَّنَهُ بالسَّيْفِ: ضربَهُ به ففُشِرَ جلده ولم يَبِضْ منه دمٌ. ومَشَّنَ الشَّيْءُ فلاناً: سَحَجَهُ وخذشَهُ. ومَشَّنَ يَدَهُ: مسحَها بشيء خَسَن. ومَشَّنَ ما في ضَرعِ النَّاقَةِ: حلبَهُ. ويُقالُ: امتَشَّنَ منه ما مَشَّنَ لك: خذْ ما وجَدْتَ" (ص 872).

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لازماً وانكَمْشَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ إِلَى معنى واحد، فنقول: "مَشَنْتِ النَّاقَةُ ونحوها: دَرَّتْ كَارِهَةً" (ص 872).
- والفعل: "مَكَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً، مثل: "مَكَ فلانٌ العظمَ يَمْكُهُ مَكًّا: مَصَّ جميعاً ما فيه. ومَكَ غريمَهُ: أَلَحَّ عليه في الاقتضاء. ومَكَ الشَّيْءَ: نقصَهُ أو أهْلَكَهُ" (ص 881).
- فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لازماً وانكَمْشَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ إِلَى معنى واحد، وردَ في المجرد، ولازِمَ حرف الجر، فنقول: "مَكَكَ على غريمه: مَكَّهُ" (ص 881).
- والفعل: "هَرَقَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً، مثل: "هَرَقَ فلانٌ الماءَ ونحوهُ يَهْرُقُهُ هَرَقًا: صَبَّهُ" (ص 982).
- فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لازماً وحافظ على معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، ولازِمَ حرف الجر، فنقول: "هَرَقَ على جمرِكَ: أَي تَنَبَّتَ" (ص 640).
- والفعل: "وَسَمَ"، الذي يكون في صورته الثلاثية (فَعَلَ يَفْعُلُ) متعدياً دائماً، مثل: "وَسَمَ فلانٌ الشَّيْءَ يَسِمُهُ وَسَمًا، وَسِمَةً: كواه فأنثَرَ فيه بعلامة. ويُقال: وَسَمَهُ بالهَجاء، وهو موسومٌ بالخير والشرِّ. ووَسَمَ فلانًا: غَلَبَهُ في المُوَاسَمَةِ. ووَسَمَ الوَسْمِيُّ الأرضَ: أَصَابَهَا. ووَسَمَ فلانًا بوسام: مَيَّزَهُ بِهِ" (ص 1032).
- فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لازماً وحافظ على معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، فنقول: "وَسَمَ فلانٌ: شَهِدَ الموسِمَ. ويُقال: وَسَمَ الحاجُّ" (ص 1032).

9. تحويل الفعل المتعدي حيناً واللازم حيناً آخر، إلى لازم

- وهذه الحالة أوسع انتشاراً من سابقتها، وأمثلة كثيرة جداً، منها:
- الفعل: "جَلَبَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "جَلَبَ فلانٌ يَجْلُبُ جَلْبًا وجَلْبًا: أَحْدَثَ جَلْبَةً. وجَلَبَ الجُرْحُ: عَلَنَتِ الْجُلْبَةُ (القشرة عند البُرء). وجَلَبَ الدَّمُ يَبْسُ. وجَلَبَ عليه: جَنَى. وجَلَبَ لأهله: كَسَبَ ... وجَلَبَ على الفرس: استخَفَّهُ للعدو" (ص 128)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً،

مثل: "جَلَبَ الشَّيْءَ: ساقَهُ من موضعٍ إلى آخر. فهو جَالِبٌ، وجَلَّابٌ. وفي المثل: (رَبُّ أُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّةً). وجَلَبَ فلاناً: تَوَعَّدَهُ بِشَرٍّ وجمع الجمع عليه" (ص 128).
فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وانكَمَشَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ إلى معنيين، وردَ ثانيهما في المجرّد، ولازم فيه حرف الجر، فنقول: "جَلَبَ القَوْمُ والرَّعْدُ والغَيْثُ: صَوَّتَ. وجَلَبَ فلانٌ على الفرس: جَلَبَ" (ص 128).

• والفعلُ: "دَعَا"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "دعا بالشَّيْءِ يدْعُو دَعْواً، ودَعْوَةً، ودُعَاءً، ودَعْوَى: طلبَ إحْضارَهُ. يُقالُ: دعا بالكتاب. ودعا الشَّيْءُ إلى كذا: احتاجَ إليه. ويُقالُ: دَعَتْ ثِيَابُهُ: أخلَقَتْ واحتاجَ إلى أن يلبسَ غيرها... ودعا لفلانٍ: طلبَ له الخيرَ. ودعا على فلانٍ: طلبَ له الشرَّ" (286)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "دعا الطَّيِّبُ أَنْفَهُ: وجدَّ رِيحَهُ فطَلَبَهُ. ودعا فلاناً: صاحَ به وناداه. ويُقالُ: دعا المَيِّتَ: ندَبَهُ. ودعا فلاناً: استعانَ به. ودعا: رغبَ إليه وابتهلَ. ويُقالُ: دعا اللهَ: رجا منه الخيرَ... ودعا فلاناً بزيدٍ، وزيداً: سَمَّاهُ به. ودعا شيئاً لفلانٍ: نسبَهُ إليه. ودعا فلاناً إلى الشَّيْءِ: حثَّهُ على قَصْدِهِ. يقالُ: دعا إلى القتالِ، ودعا إلى الصَّلَاةِ، ودعا إلى الدِّينِ، وإلى المذهبِ: حثَّهُ على اعتقاده. ودعا إلى الشَّيْءِ: ساقَهُ إليه. يُقالُ: دعا إلى الأميرِ. ويُقالُ: ما دعا إلى أن يفعلَ كذا؟؛ ما اضطرَّهُ ودفعَهُ؟ ودعا القومَ دُعَاءً، ودَعْوَةً، ومَدْعَاءً: طلبَهُم لِيَأْكُلُوا عنده" (ص 286).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وتقلَّصَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ إلى معنى واحد، مقترن بحرف الجر، فنقول: "دَعَى فلانٌ في الضَّرْعِ: أَبْقَى فيه داعية اللبِن" (ص 286).
• والفعلُ: "ذَقَن"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "ذَقَنْتِ الدَّابَّةُ تَذْقُنُ ذَقْنًا: أُرَخَّتْ ذَقْنَهَا في السَّيْرِ. فهي ذاقَنَةٌ وذَقُونٌ. وذَقَنَ فلانٌ على يده أو على عصاه: وضعَ ذَقْنَهُ عليها واتَّكأَ" (ص 313)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "ذَقَنَ فلاناً يَذْقُنُهُ ذَقْنًا: ضربَ ذَقْنَهُ" (ص 313).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وانكَمَشَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ إلى معنى واحد، وردَ في المجرّد، وبقي ملازماً فيه حرف الجر، فنقول: "ذَقَنَ على يده، أو على عصاه: ذَقَنَ" (ص 313).
• والفعلُ: "رَسَّ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "رَسَّتِ الجُرادةُ تَرُسُّ رَسًّا ورَسِيْسًا: أَدخَلَتْ

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ذنبها في الأرض لتبيض. ورسَّ الشيء في الشيء: دخل وثبت. يُقال: رسَّ الغرام في قلبه، ورسَّ السقم في جسده. ورسَّ بين القوم رساً: أصلح" (ص 343)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "رسَّ الشيء يرُسُّه رساً: نسيه لتقادم عهده. ورسَّ البئر: حفرها. ورسَّ خير القوم: لقيهم وتعرفَ أمورهم. ورسَّ له الخبر: ذكره له. ورسَّ الميت: دفنه. ورسَّ الشيء: دسَّه. ورسَّ الحديث في نفسه: حدَّثها به ليثبت. وفي حديث النخعي أنه قال: (إني لأسمع الحديث فأحدِّثُ به الخادم أرسُّه في نفسي)" (ص 343).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُه صارَ لازماً وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، فنقول: "رسَّ البعير: تمكَّن من النهوض" (343).

- والفعل: "رَفَضَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "رفض الوادي يرفضُ ويرفضُ رَفْضاً ورُفُوضاً: اتَّسع. ورفض النخل: انتشر عِذْقُه وسقط غِلافُه. ورفضت الماشية: تفرقت وانتشرت في المرعى، ترعى وحدها حيث شاءت" (ص 360)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "رفض فلان الشيء يرفضه رَفْضاً: تركه وجانبه. ورفضه: رماه وطرده. ورفض الماشية: يرفضها رَفْضاً: تركها ترعى كيف شاءت. ورفض الشيء: كسره. فهو مرفوض، ورفض" (ص 360).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُه صارَ لازماً وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، واقترن بحرف الجر، فنقول: "رَفَضَ في القرية، ونحوها: أبقى فيها رَفْضاً من الماء" (360).

- والفعل: "زَحَرَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "زَحَرَ فلانٌ يزحُرُ زَحيراً، وزحاراً، وزحارة: أخرج صوته أو نفسه بأنين من عمل أو شدة. ويُقال: زَحَرَ بالولد: ولدته. وزحَرَ البخيل: سئل فاستنقل السؤال" (ص 390)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "زَحَرَ فلاناً بالرمح يزحُرُه زَحْراً: شجَّه به" (ص 390).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُه صارَ لازماً وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، وردَّ بعينه في المجرد، فنقول: "زَحَرَ فلانٌ: أخرج صوته أو نفسه بأنين من عمل أو شدة" (390).

- والفعل: "زَقَبَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "زَقَبَ الجرذُ في جُحره يزقبُ زَقْباً: دخل

(395)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "زَقَبَ فلانٌ الجُرَذَ في جُحره: أدخله" (ص 395).
فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وبقي على معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، فنقول: زَقَبَ المَكاءُ:
صاح" (390).

• والفعلُ: "زَكَمَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "زَكَمَتْ به أُمُّه: تَرَكُمُهُ زَكَمًا: ولَدَتْهُ" (ص 396)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "زَكَمَ اللهُ فلانًا: أَصابَهُ بالزكام. وزَكَمَ فلانٌ القَريَّةَ: ملاها" (ص 396).

فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وانكَمَشَ حَقْلُهُ الدلاليَّ إلى معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، فنقول:
"زَكَمَ فلانٌ عليهم: شَبَّهَ وَلَبَسَ" (ص 396).

• والفعلُ: "سَرَأَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "سَرَأَ فلانٌ يسرُّ سَرَوًا، وسَرَاوَةً: شَرُفَ. وسَرَأَ فلانٌ: سَخَا في مروءة" (ص 428)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "سَرَأَ الشَّيْءُ عنه سَرَوًا: نزعَهُ وألقاه. يُقالُ: سَرَأَ عنه ثوبُهُ ودرعُهُ. وسَرَأَ الهَمُّ عن فؤادِهِ: كَشَفَهُ. وسَرَأَ السَّيْفُ: سلَّهُ" (ص 428).

فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وانكَمَشَ حَقْلُهُ الدلاليَّ إلى معنى واحد، وردَ بعينه في المجرَّد، فنقول: "سَرَّى الشَّيْءَ عنه: سَرَاهُ. ويُقالُ: سَرَّيْتُ عن فلانٍ: زالَ ما به من هَمٍّ" (ص 428).

• والفعلُ: "شَبَّ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "شَبَّ الغُلامُ يَشِبُّ شَبَابًا: أدركَ طَورَ الشَّباب. وشَبَّتِ النارُ تَشِبُّ شُبُوبًا: توقَدَتْ. وشَبَّ الفرسُ يَشِبُّ شَبَابًا وشُبُوبًا: نشِطَ ورفعَ يديه" (ص 470)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "شَبَّ النارُ: يَشِبُّها شَبًّا: أوقَدَها. وشَبَّ الخِمارُ والشَّعْرُ لونَ المرأةِ يَشِبُّها شَبًّا: أظهرَ جمالَها" (ص 470).

فإذا ضُعِّفَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً وانكَمَشَ حَقْلُهُ الدلاليَّ إلى معنيين لم يردا في اللزوم، واقتَرَنَ ثانيهما بحرف الجر، فنقول: "شَبَّبَ الشاعرُ: ذَكَرَ أَيَّامَ اللُهو والشَّباب. وشَبَّبَ بفلانةٍ: تغزَلَ بها ووصفَ حُسْنَها" (ص 470).

• والفعلُ: "شَنَّ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "شَنَّ الشَّيْءُ يَشْنُ شَنًَّا: بَيَسَ، وأَخْلَقَ. يُقالُ: شَنَّتِ القَريَّةُ، وشَنََّ الجَمَلُ من العطش ونحوه. وشَنََّ الماءُ شَنِينًا، وتَشَنَّأنا: تقاطرَ" (ص 496)؛

ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "شَنَّ السائل يشنُّ شناً: صبَّهُ متفرِّقاً. يُقال: شَنَّ الماء على الشراب، وشنَّت العينُ الدَّمْعَ. وشَنَّ الغارة على عدوه: أغارَ عليه من كل ناحية" (ص 496). فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، وردَ بعينه في المجرد، فنقول: "شَنَّ السَّقاء أو الماء: شَنَّ" (ص 496).

• والفعل: "صدَّ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "صدَّ عنه يصدُّ صدّاً، وصدوداً: أعرض. وصدَّ منه يصدُّ صدّاً: ضجَّ وأعرض. وفي التنزيل العزيز: "ولمَّا ضربَ ابنُ مريم مثلاً إذا قومكُ منه يصدُّون" (سورة الزخرف، الآية: 57)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: صدَّ فلاناً عن كذا: يصدُّه صدّاً: منعه وصرفه. وفي التنزيل العزيز: "فصدَّهُم عن السَّبِيلِ" (سورة النمل، الآية 42). فهو صادٌّ من قومٍ صدَّادٍ" (ص 509).

فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، وتغيَّر معناه، فنقول: "صدَّدَ الجُرْحُ: تقيَّح" (ص 509).

• والفعل: "جَخَا"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "جَخَا الرجلُ برجله يجخو جَخْواً: نسفَ بها الترابَ" (ص 109)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "جَخَا فلانٌ الكوزَ: كبَّه" (ص 109). فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً، وتعددت معانيه وتنوَّعتْ، وهذا قليل في معاني هذه الصيغة: مثل: "جَخَى الشَّيْخُ: انحنى. وجَخَى الرَّجُلُ في سجوده: فتحَ عَضُدِيه. وجَخَى فلانٌ على المَجْمَرِ: تبحَّر. وجَخَى فلانٌ: مالَ عن الاستقامة. وجَخَى الليلُ: أدبَر. وجَخَّتِ النُّجُومُ: مالتَ للمغيب. وجَخَى الكوزُ: مالَ" (ص 109).

• والفعل: "رَحِمَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "رَحِمَتِ المرأةُ تَرْحِمُ رَحْماً: اشتكتَ رَحِمَها. فهي رَحْماءُ. ورَحِمَ السَّقاءُ: لم يُدهنْ ففسدَ" (ص 335)؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "رَحِمَ فلانٌ فلاناً: رَقَّ له وعطفَ عليه. وفي التنزيل العزيز: "فأردنا أن يُبدِّلَهُما رُبُّهُما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحْماً" (سورة الكهف؛ الآية: 81). ورَحِمَهُ: غفَر له" (ص 335).

* هذا المعنى (غَفَرَ له) أورده المعجم الوسيط فقط، في طبعته الثانية، وحذفه في الطبعة الثالثة، لأن معنى (غفر له = ستره وعفا عنه) وهو مُغايرٌ لمعنى (رَحِمَهُ = رَقَّ له وعطفَ عليه)! وقد ورد الفعل (رَحِمَ) معطوفاً على

..... من التعدي إلى اللزوم

فإذا ضُعِّقَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً مقترناً بالجار والمجرور، وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، مثل: "رَحَّمَ عَلَيْهِ: دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ" (ص 335).

- والفعل: "ظَلَفَ، ظَلَفَ" الذي يأتي متعدياً في صيغة: "ظَلَفَ يَظْلِفُ"، مثل: "ظَلَفَ فُلَانٌ فُلَاناً" عن الأمر يَظْلِفُهُ ظَلْفًا: مَنَعَهُ. يُقَالُ: "ظَلَفَ نَفْسَهُ عَمَّا لَا يَجْمَلُ بِهِ. وَظَلَفَ الصَّيْدَ: أَصَابَ ظَلْفُهُ. وَظَلَفَ الْأَثَرَ: أَخْفَاهُ لئَلَّا يُتَّبَعَ. وَظَلَفَ الْقَوْمَ تَبَعَ أَثَرَهُمْ" (ص 576)؛ ويأتي لازماً في صيغة: "ظَلَفَ يَظْلِفُ"، مثل: "ظَلَفَتِ الْأَرْضُ تُظَلِّفُ ظَلْفًا: غُلِظَتْ وَخَشِنَتْ. وَيُقَالُ: ظَلِفَتْ مَعِيشَتُهُ. وَظَلِفَتْ نَفْسُهُ عَنِ الشَّيْءِ: كَفَّتْ. وَيُقَالُ: هُوَ ظَلَفَ نَفْسَهُ: مَتَرَفَعَ عَنِ الدُّنْيَا" (ص 576).

فإذا ضُعِّقَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً مقترناً بالجار والمجرور، وانكمش حقله الدلالي إلى معنى واحد، مثل: "ظَلَفَ عَلَى كَذَا: زَادَ" (ص 576).

- والفعل: "غَضَّ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "غَضَّتِ الْمَرْأَةُ تَغْضُ غَضَاضَةً، وَغُضُوضَةً: رَقَّ جِلْدُهَا وَظَهَرَ دُمُهَا. وَغَضَّ النَّبَاتُ وَغَيْرُهُ يَغْضُ: صارَ طَرِيّاً نَاضِراً. فَهُوَ غَضٌّ، وَغَضِيضٌ، وَهِيَ غَضَّةٌ" (ص 654)؛ ويأتي أحياناً كثيرة متعدياً، مثل: "غَضَّ فُلَانٌ بَصَرَهُ وَصَوْتَهُ وَغَيْرَهُمَا يَغْضُهُ غَضًّا، وَغِضَاضًا، وَغَضَاضَةً: كَفَّهُ وَخَفَضَهُ. وَيُقَالُ أَيْضًا: غَضَّ مِنْ بَصَرِهِ وَمِنْ صَوْتِهِ (لازم). وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: "وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ" (سورة لقمان، الآية: 19). فَهُوَ غَاضٌ. وَيُقَالُ: غَضَّ الطَّرْفُ: خَفَضَهُ اسْتِحْيَاءً وَخِزْيًا. وَغَضَّ طَرْفَهُ عَنْ فُلَانٍ: احْتَمَلَ الْمَكْرُوهَ مِنْهُ وَلَمْ يَأْخُذْهُ بِفَعْلِهِ. وَغَضَّ الْغَصْنَ: كَسَرَهُ فَلَمْ يَفْصِلْهُ. وَغَضَّ فُلَانًا: نَقَصَهُ وَحَطَّ مِنْ قَدْرِهِ. وَيُقَالُ أَيْضًا: لَا أُغْضُكَ دَرَهْمًا: لَا أَنْقُصُكَ دَرَهْمًا" (ص 654).
- فإذا ضُعِّقَتْ عَيْنُهُ صارَ لازماً، وتقلص قليلاً حقله الدلالي، مثل: "غَضَضَ فُلَانٌ: أَكَلَ الْغَضَّ. وَغَضَضَ: أَصَابَتْهُ الْغَضَاضَةُ (الدَّلَّةُ وَالْمَنْقُصَةُ؛ وَالْعَيْبُ). وَغَضَّ الشَّيْءُ: صارَ غَضًّا" (ص 654).

الفعل (عَفَرَ) فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا: (وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا) [البقرة: 286]، (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) [المؤمنون: 118]. [المجلة]

- والفعلُ: "فَلَحَ"، الذي يأتي أحياناً لازماً، مثل: "فَلَحَ يَفْلَحُ فلاحاً: ظَفِرَ بما يريدُ. وفَلَحَ بالقومِ فلاحَةً: زَيَّنَ البيعَ والشراءَ للبائع والمشتري. وفَلَحَ في البيع: زادَ في ثمن السلعة ليخدعَ المشتري؛ ويأتي حيناً متعدياً، مثل: "فَلَحَ الشيءَ يَفْلَحُهُ فلاحاً: شَقَّه. يُقَالُ: فَلَحَ الأرضَ للزراعة. أما في صيغة: "فَلَحَ يَفْلَحُ فلا يأتي إلا لازماً، مثل: "فَلَحَ فلانٌ فلاحاً: انشَقَّتْ شَفْتُهُ. ويقالُ: فَلَحَتْ شَفْتُهُ. فهو أَفْلَحُ، وهي فَلَحاءُ. والجمعُ فُلَحٌ. وقد يُقالُ: رَجُلٌ فَلَحاءُ، كان عنترة العبيسي يلقبُ: الفَلَحاءَ. قال: وعنترةُ الفَلَحاءُ جاءَ مُلأماً*" (ص ص 699-700).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً، وانكمشَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد، مثل: "فَلَحَ به: مَكَرَ واستهزأَ به" (ص 700).
- والفعلُ: "قَمَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "قَمَتِ الشاةُ ونحوها تَقُمُ قَمّاً: تناولتَ بشفتيها ما وجدتَ على وجه الأرض لتأكُلَهُ" (ص 760)؛ ويأتي حيناً متعدياً، مثل: "قم البيتَ ونحوه: كَنَسَهُ. وقَمَ ما على الخوان: أَكلَهُ ولم يدعَ منه شيئاً" (ص 760).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً، وبقي حقلُهُ الدلاليّ على معنيين، مثل: "قَمَمَ النَجْمُ: توسَّطَ السماءَ، فتراه على قِمَّةِ الرأسِ. وقَمَتِ الشاةُ: أَكلَتْ من المِقَمَّةِ (المَكْنَسَةِ)" (ص 760).
- والفعلُ: "لاصَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "لاصَ عن الأمرِ يُلُوصُ لَوَصاً: حادَ. ولاصَ بالشيءِ لِيِصاً: استدارَ به" (846)؛ ويأتي حيناً متعدياً، مثل: "لاصَ الشيءَ بعينه: طالعهُ من خَلَلٍ أو سِتْرٍ ولمحه" (ص 846).
- فإذا ضُعِّفَتْ عينُهُ صارَ لازماً، وانكمشَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد، مثل: "لوَصَ فلانٌ: أَكلَ اللّوَصَ (العسل الصّافي؛ والفالودج)" (ص 846).
- والفعلُ: "نَجَعَ"، الذي يأتي حيناً لازماً، مثل: "نَجَعَ الشيءُ يَنْجَعُ نَجوعاً: نفعَ وظهَرَ أثرُهُ. يُقالُ نَجَعَ الدَّواءُ في العليل، ونَجَعَ العَلَفُ في الدَّابة. ويُقالُ: نَجَعَ القولُ في سامعه، والعقابُ في الدَّابة؛ ويأتي حيناً آخر متعدياً، مثل: "نَجَعَ فلانٌ الكَلأَ نَجْعاً، ونُجوعاً: طلبَهُ في مواضعه. ونَجَعَ المكانَ: أَتاه ونزلَ به. ويُقالُ: نَجَعَ فلانٌ الصَّبِيَّ اللينَ: سقاه إِيَّاه وغدَّاه به. وهذا طعامٌ يُنَجَّعُ به، وعنه: يُسْتَمَرُّ ويُسمَنُ عنه" (ص 903).

فإذا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لازماً، وانكَمْشَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، هُوَ مَعْنَى أَصْلِهِ اللّازِمِ، مِثْلُ: "تَجَعَ الشَّيْءُ: نَجَعَ" (ص 903).

- والفعلُ: "نَاسَ"، الَّذِي يَأْتِي حِيناً لَازِماً، مِثْلُ: "نَاسَ الشَّيْءُ يَنُوسُ نَوْساً وَنَوَسَاناً: تَحَرَّكَ وَتَنَذَبَذَ. يُقَالُ: نَاسَتِ الدُّوَابَّةُ، وَنَاسَ الْغَصْنُ الدَّقِيقُ، وَالْقِرْطُ يَنُوسُ فِي الْأُذُنِ. وَنَاسَ لُعَابُهُ: سَالَ وَاضْطَرَبَ" (ص 962)؛ وَيَأْتِي حِيناً آخَرَ مُتَعَدِّياً، مِثْلُ: "نَاسَ الْإِبِلَ: سَاقَهَا" (ص 962). فَإِذَا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لَازِماً، وَبَقِيَ عَلَى مَعْنَيَيْنِ كَحَالِهِ فِي اللّازِمِ، مِثْلُ: "نَوَسَ التَّمْرُ: اسْوَدَّ طَرَفُهُ. فَهُوَ مَنُوسٌ. وَنَوَسَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ" (ص 962).

1.9 ويتفرع عن هذه الحالة حالة يكون فيها الفعل معاً لازماً ومتعدّياً حيناً، ولزماً حيناً آخر، أو متعدّياً حيناً ثالثاً. وأمثلة ذلك:

- الفعلُ: "شَالَ"، الَّذِي يَأْتِي فِي صَوْرَتِهِ الثَّلَاثِيَّةِ (فَعَلَ يَفْعُلُ) حِيناً مُتَعَدِّياً وَلَازِماً مَعاً، وَهَذَا قَلِيلٌ فِي أَفْعَالِ هَذِهِ الصِّيغَةِ، مِثْلُ: "شَالَ الشَّيْءُ"، وَبِهِ (لَازِمٌ): رَفَعَهُ. يُقَالُ: شَالَ الرَّجُلُ يَدِيهِ (مُتَعَدِّياً). وَشَالَتِ النَّاقَةُ بِذَنْبِهَا (لَازِمٌ) (ص 501)؛ وَيَأْتِي أحياناً لَازِماً أحياناً، مِثْلُ: "شَالَ الشَّيْءُ يَشْوُلُ شَوْلًا، وَشَوْلَانًا: ارْتَفَعَ. وَشَالَ الْمِيزَانُ: ارْتَفَعَتْ إِحْدَى كِفَتَيْهِ. وَيُقَالُ: شَالَ مِيزَانُ فُلَانٍ: غُلِبَ فِي الْمَفَاخِرَةِ وَنَحْوِهَا. وَشَالَتِ نَعَامَةُ فُلَانٍ: أَسْرَعَ إِلَى الْغَضَبِ ثُمَّ هَدَأَ. وَشَالَ فُلَانٌ: مَاتَ. وَشَالَتِ نَعَامَةُ الْقَوْمِ: تَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ" (ص 501). فَإِذَا ضُعِفَتْ عَيْنُهُ صَارَ لَازِماً، وَبَقِيَ حَقْلُهُ الدَّلَالِيَّ وَاسِعاً. وَهَذَا قَلِيلٌ فِي مَعَانِي هَذِهِ الصِّيغَةِ. نَقُولُ: "شَوَّلَ السَّائِلُ: قَلَّ. يُقَالُ: شَوَّلَ لَبَنُ النَّاقَةِ، وَشَوَّلَ مَاءُ الْمَزَادَةِ. وَيُقَالُ: شَوَّلَتِ النَّاقَةُ، وَشَوَّلَتِ الْمَزَادَةُ. وَشَوَّلَتِ الدُّوَابُّ وَنَحْوُهَا: لَحَقَتْ بِطَوْنِهَا بظُهورِهَا مِنَ الْجُوعِ وَالْهَزَالِ. وَشَوَّلَ فِي الْمَزَادَةِ: أَبْقَى فِيهَا بَقِيَّةً مِنَ الْمَاءِ" (ص 501).

- والفعلُ: "عَزَمَ"، الَّذِي يَأْتِي فِي صَوْرَتِهِ الثَّلَاثِيَّةِ (فَعَلَ يَفْعُلُ) حِيناً مُتَعَدِّياً وَلَازِماً مَعاً، وَهَذَا قَلِيلٌ فِي أَفْعَالِ هَذِهِ الصِّيغَةِ، مِثْلُ: "عَزَمَ فُلَانٌ الْأَمْرَ، وَعَلَيْهِ (لَازِمٌ) يَعْزِمُ عَزْماً، وَعَزِيماً، وَعَزِيْمَةً، وَعَزْمَةً، وَمَعَزْماً: أَرَادَ فَعْلَهُ وَعَقَدَ عَلَيْهِ نِيَّتَهُ"، وَيَأْتِي أحياناً أُخْرَى لَازِماً، مِثْلُ: "عَزَمَ فُلَانٌ: جَدَّ. وَعَزَمَ: صَبَرَ. يُقَالُ: مَا لِي عَنْكَ عَزْمٌ. وَعَزَمَ الْأَمْرُ: جَدَّ وَلَزِمَ. وَفِي

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

التنزيل العزيز: "فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ" (سورة محمد، الآية: 21). وعزمَ الله لي: خلقَ لي قوَّةً وصبراً. وعزمَ على فلان: أمره وشدَّدَ عليه. وعزمَ: أفسَمَ. ويُقال: عزمَ الراقي: قرأ العزائمَ" (ص 599)؛ (ص 599). فإذا ضُعِّفَت عينُهُ صارَ لازماً، وانكمشَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد ورد بعينه في المجرد، مثل: "عَزَمَ الراقي: عَزَمَ" (ص 599).

• والفعل: "نَكَتَ"، الذي يأتي في صورته الثلاثية (فعلَ يفعلُ) متعدياً ولزماً معاً حيناً، وهذا قليل في أفعال هذه الصيغة، مثل: "نَكَتَ الأرضَ، وفيها (لازم)، ينكُتُ نَكْتًا: أثرَ فيها بعود أو نحوه" (ص 950)؛ ويأتي لازماً حيناً آخر. "يُقال: أُتِيَتْهُ وهو ينكُتُ (لازم): يفكرُ كأنما يحدثُ نفسه. ومَرَّ الفرسُ وهو ينكُتُ (لازم): يثبُ" (ص 950)؛ ويأتي متعدياً حيناً ثالثاً، مثل: "نَكَتَ الشَّيءَ: رماهُ إلى الأرض. ويُقال: نَكَتَ فلاناً: ألقاه على رأسه. ونَكَتَ الشَّيءَ: نثرَ ما فيه أو أخرجَهُ. يُقال: نَكَتَ كِنَانَتُهُ: نثرَ ما فيها. ونَكَتَ العظمَ: أخرجَ مَخَّهُ" (ص 950). فإذا ضُعِّفَت عينُهُ صارَ لازماً وانكمشَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنيين، ولزَمَ ثانيهما حرفُ الجر، فنقول: "نَكَتَ الرُّطْبُ: بدا فيه الإِرطابُ. ونَكَتَ في قوله: أتى فيه بِطُرفٍ ولَطائفٍ" (ص 950).

• والفعل: "مَكَرَ"، الذي يأتي في صورته الثلاثية (فعلَ يفعلُ) متعدياً ولزماً معاً حيناً، مثل: "مَكَرَ فلانٌ فلاناً، وبه (لازم): يَمْكُرُهُ مَكْرًا: خَدَعَهُ. فهو ماکِرٌ، ومكَّارٌ، ومكُورٌ. ومَكَرَ اللهُ العاصيَ، وبه (لازم): جازاه على المكر، أو أمهلَهُ ومكَّنَهُ من الدِّنيا" (ص 881)؛ ويأتي لازماً حيناً آخر، كقوله تعالى في التنزيل العزيز: "ومَكْرُوا اللهُ" (سورة آل عمران، الآية: 54). ويأتي حيناً ثالثاً متعدياً، مثل: "مَكَرَ الثَّوبُ: صبغَهُ بالمكر: المَعْرَةِ: (الطينُ الأحمرُ يُصبغُ به). فهو ممكُورٌ. ومَكَرَ الأرضَ: سقاها. ويُقال: مررتُ بزرعٍ ممكُورٍ" (ص 881)؛ فإذا ضُعِّفَت عينُهُ صارَ لازماً وانكمشَ حقلُهُ الدلاليّ إلى معنى واحد، وتغيَّرَ معناه، فنقول: "مَكَرَ فلانٌ: احتكرَ الحبوبَ في البيوت" (ص 881).

والملاحظ على أفعال هذه الحالة أن ثلاثة منها من الباب الأول (فَتَحُ ضَمٌّ: شالَ ونَكَتَ

ومكر)، في حين أن الرابع من الباب الثاني (فَتْحُ كَسْرٍ: عزم).

10. خاتمة

هذه الرحلة الممتعة جداً، والدقيقة جداً، والمضنية جداً، في آن معاً، التي مسحنا خلالها المعجم الوسيط بجزأيه مرات ومرات، بحثاً عن شواهد تُجيب عن سؤالي البحث، وتُحقّق هدفه، أوصلتنا إلى نتيجة ساطعة، وحصاد مبدع ومدهش: إن تضعيف عين الفعل الثلاثي المجرد في صيغة فَعَلْ يقلّص أفق الدلالة للفعل المتعدي دائماً، أو المتعدي حيناً واللازم حيناً آخر في المعجم العربي؛ فيُحيلُه إلى لازم، بعد أن كان متعدياً؛ ويضيّق معانيه المتعددة في حالات كثيرة، لتتكّمش وتقتصر في الأعم الأغلب على معنى واحد وحيد، في ظاهرة تناقض كلياً ما يُعرَفُ عن دور تضعيف عين الثلاثي المجرد اللازم، في تحويله باطراد إلى متعدّد.

وهذا الذي توصلنا إليه عمل جديد كلياً على ساحة البحث المعجمي في اللغة العربية. فلعله يكون حافزاً للمهتمين إلى تطوير البحث اللغوي، وللمُنغمسين فيه، والمعنيين بهوممه، بُغية مزيد من التنقيب عن كل ما هو جميل ومبدع وعبقري في تراثنا اللغوي.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن عصفور (1970). الممتع في التصريف. الجزء الأول. الدار العربية للكتاب. تحقيق فخر الدين قباوه.
- أنيس، إبراهيم؛ منتصر، عبد الحليم؛ الصوالحي عطية؛ أحمد، محمد خلف الله (2005): المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. الطبعة الثانية.
- الحملاوي، أحمد (1965). **شذا العرف في فن الصرف**، الطبعة السادسة عشرة، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1982). الكتاب، الجزء الرابع، تحقيق وشرح عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية.
- عمار، سام (2016)، من أسرار صيغة فَعَلْ: توسيعُ الحقل الدلالي للثلاثي المزيد بتضعيف عينه، ليليلغ الظرف أو الجار والمجرور، لازماً كان أو متّعدياً، أو لازماً حيناً ومتّعدياً حيناً آخر، مجلة التعريب، العدد 51، ديسمبر 2016، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.
- عمار، سام (2015). "صيغة استفعل في اللغة العربية: بحث في المعاني التي تنجم عن تضعيف عين الأفعال الثلاثية المجردة"، مجلة التعريب، العدد 49، ديسمبر 2015، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.
- عمار، سام (1014)، معجم أفعال في اللغة العربية: بحث في التحولات الدلالية التي تنجم عن دخول الهمزة على الأفعال الثلاثية المجردة، بيروت: مكتبة لبنان - ناشرون.

تهجين الأبجدية العربية المعجم الكبير نموذجاً

د. ممدوح محمد خسارة

المقدمة

لمجمع اللغة العربية في القاهرة القُدَح المَعْلَى والفضل الأوفى في حماية اللغة العربية والمحافظة عليها وتطويرها، لتواكب متطلبات العصر التعبيرية ومستجداته في الألفاظ والأساليب والعبارات المحدثّة، والمصطلحات العلمية، ثمّ في إصدار إنجازاته في معاجم لغوية ومتخصّصة.

ولعلّ العمل المعجمي اللغوي لمجمع القاهرة أظهرُ أعماله وأنفعُها - وكلها ظاهرٌ ونافع - إذ دخلتْ معاجمه اللغوية كل مؤسسة لغوية وتعليمية، ولا يكاد يستغني عنها باحثٌ ولا طالبٌ ولا بيتٌ، ذلك أنها صُنِّفَتْ على ثلاثة مستويات: وجيزٌ، ووسيطٌ، وكبيرٌ، حيث يجد الناظر فيها طَلَبَتَهُ أيّاً كانت فَنَّتُهُ العمرية أو مرحلته التعليمية. ومما زاد في مكانتها أنها صدرت عن مؤسسة لغوية هي أكثر المؤسسات اللغوية العربية فعّالية ونشاطاً، فصارت تلك المعاجم المرجعية اللغوية العربية الأولى، يُحتَكَم إليها - دائماً - عند الخلاف، ويُرتَضَى بمادّتها العلمية غالباً، لما اكتسبته من موثوقيّة تُغْبِطُ عليها وتقدّر.

ونهوض مجمع القاهرة الكبير بهذه المسؤولية الخطيرة يُلقِي عليه تبعات حماية اللغة العربية من أي شبهة، وصونها من أي أخطاء أو هنات، وذلك بالتقصّي الشديد والتحريّ العميق، وهو حقيق بهما، ولكنه يُلقِي على العرب عامّة - مؤسسات وأفراداً - مسؤولية متابعة

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

إنجازاته ومطبوعاته وإيداء الملاحظات أو التنبيه على ما قد يكون وقع فيها من أغلاط أو خلل، ليتجنبها في قابل طبعاتها، وصولاً إلى الأكمل، لأن معاجمه صارت - إلى حد بعيد - صورة اللغة العربية السليمة المعاصرة، التي هي لغة العرب جميعاً وإرثهم، ومن واجبهم وحقهم أن يسهموا في أن تخلو تلك المعاجم مما قد يشين محاسنها الكثيرة، وإذا كانت معاجم مجمع القاهرة بغنية عن ثناء هي أهل له، فإنها بحاجة - بلا شك - إلى سماع كل رأي أو اجتهد، قد يكون فيهما تقويم بعض ما اندأ من عملها، وهو قليل، ولكن هذا القليل قد يكون له نتائج خطيرة على العربية عامة.

والخطر الذي أود أن أنبه عليه في بحثي هذا هو إدخال أحرف أجنبية إلى الهجاء العربي في بعض الكلمات والمواضع من المعجم الكبير، عند تعريب بعض الكلمات الأجنبية، مما يفضي إلى تهجين النظام الصوتي العربي، ويجرُّ عليه مخاطر لا يجوز الاستهانة بها.

سوف نعرض لتلك الكلمات في مواضعها من المعجم الكبير، ونُعَبِّ عليها، ثم سنعرض لمرجعية ذلك المنهج الذي أخذ به مصنفو المعجم، ونقارنها بمنهجية العرب في تعريب الكلم الأعجمي، ثم نقف بالمخاطر التي يمكن أن تؤدي إليها هذه الظاهرة من بلبلة في الهجاء العربي الأصل الذي استقرَّ عليه النظام الصوتي للغتنا، وبالبدايل المقترحة لما أخذ به المجمع.

أولاً: الأحرف الأجنبية الدخيلة في معرّبات المعجم الكبير

وننبّه بداءة على أمرين:

أولهما: أن بحثنا كان فيما وصل إلينا من أجزاء المعجم الكبير، وهي حتى الجزء الثامن (حرف الذال).

ثانيهما: أن المعجم لم يلتزم دائماً إدخال تلك الأحرف الأجنبية في معرّباته، وهو أمر يقوّي لدينا الشعور والتفاؤل بأن ذلك لم يكن منهجية عامة، بل حالات عرضية طارئة، حتى إن بعض الكلمات المعربة كتبت بحرفين: أصيل ودخيل، وفي الصفحة نفسها، فهي بذلك ممّا يمكن العدول عنه إذا أراد مُصنّف المعجم رفع عملهم العظيم إلى درجة أعلى

تهجين الأبجدية العربية

من الكمال.

لقد تبين لنا أن المعجم الكبير أدخل أحرفاً أربعة هي:

- الباء المهموسة (پ) بثلاث نقط تحتية، ويسمى بعضها البعض الفارسية، ليقابل به الحرف اللاتيني (P).
- الجيم غير المعطشة (چ) بثلاث نقط، لتقابل الحرف الأجنبي (g)، أو الصوت الذي بين الجيم والشين.
- الفاء المجهورة (ف) بثلاث نقط، تقابل الحرف الأجنبي (v).
- الكاف المجهورة، ويرمز لها (ك أو كـ) بثلاث نقط أو بخط فوقها لتقابل الكاف الفارسية المجهورة في اللغة الفارسية وأمثالها (گ).

ثانياً: المرجعية التي استند إليها مصنفو المعجم الكبير في كتابة المعربات

- يمكن تلمس مرجعية هذا الذي كتبت به بعض المعربات بأحرف دخيلة على العربية، فيما أصدره مجمع القاهرة من قرارات حول كتابة الأعلام الأجنبية بأحرف عربية، وهي:
1. قرار المجمع ذو الرقم (9) في دورته الرابعة سنة (1937) الذي قبل دخول الأحرف: (پ) ليقابل به الحرف (P) و(چ) ليقابل الحرف المركب (ch) وينطق تش، و(ژ) ليقابل الحرف (j) و(ك) بثلاث نقط فقط وينطق (جاف) ليقابل به الحرف (g)، وكلها بثلاث نقط، ليُشار بها إلى الأصوات غير الموجودة في العربية.
 2. قرار المجمع ذو الرقم (10) في دورته الرابعة سنة (1937)، ونصّه: «قبِلَت اللجنة [ولعل الصواب: المجمع] أن يُكتَبَ الحرف (v: ف) فاء بثلاث نقط».¹
 3. قرار المجمع في الدورة الخامسة سنة (1938)، بتعديل بعض ما جاء في قرارات الدورة الرابعة السابقة كما يلي: عُدل عن كتابة الحرف (چ) لمقابلة الحرف (ch)، ليصبح تاء

¹ مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مجلة المجمع ج 4: 19.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وشيناً (نش) في الأسماء الأوربية، ويبقى الحرف (چ) بثلاث نقط في أسماء البلاد الإسلامية التي تستعمل هذا الحرف.¹ ولعله عُدل عن الحرف (ژ)، إذ لم يذكر.

وعلى أي حال، فالواضح أن المجمع قبل دخول أربعة أحرف جديدة إلى الأبجدية العربية هي (پ، چ، ف، ك بثلاث نقط أو گـ).

ومما يجدر التعقيب عليه والتنبُّه إليه في هذه القرارات أشياء:
أولاً: إن معاودة المجمع النظر في هذه القرارات وتعديلها على مدى نحو ثلاثين عاماً (1963-1937)، دليل على أن المسألة مما يصعب البت فيها، لأنها تدخل في صميم النظام الصوتي العربي.

فمن التعديلات التي أدخلت عليها:

- العدول عن كتابة الحرف (ژ)، لمقابلة الحرف (j)، وأن يكتب هذا الحرف جيماً عربية². وذلك في الدورة الخامسة سنة 1938.
- «يرسم حرف الـ (G) اللاتيني في الكلمات التي يعربها المجمع جيماً وغيماً»³، ومثّل لها بكلمة (جليسرين، وجليسرين)، وذلك سنة 1956.
- ويفهم من هذا أن المجمع عدل عن حرفي (ژ) و(چ أو گـ). ولكن إذا كان المعجم لم يستعمل الحرف (ژ)، فإنه استعمل الحرفين الأخيرين.

ومن إعادة النظر فيها والبرم بها، ما جاء في الجزء السادس عشر من المجلة في باب آراء ومقترحات من قوله: «عَرَضَ المجمع لكتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية من قبل، وفي أكثر من دورة، ونُشرت قراراته في المجلة وخاصة في العددين الرابع والخامس، ولكنه فيما يظهر -عَوَّلَ بوجه خاص على الأعلام المأخوذة من الإغريقية واللاتينية، وتأثّر بطرق

¹ المصدر السابق: الحاشية 1.

² مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مجلة المجمع 19:4 الحاشية (1).

³ المصدر السابق 19:4 الحاشية (2).

..... تهجين الأبجدية العربية

تعريبها القديمة، وهي لا تخضع لمبادئ ثابتة، فضلاً عن أنها تخبّرت أصواتاً قد لا تستساغ اليوم كثيراً... وخرج المجمع من هذا بنحو ثلاثٍ وعشرين قاعدة لتصوير حروف هاتين اللغتين برموز عربية، فجاءت كثيرة ومعقّدة لم يسهل على الدارسين الانتفاع بها... وتتلخص القواعد التي تقترحها اللجنة لكتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية فيما يلي:

« في الأصوات والرموز العربية ما يواجه ضرورة التعبير عن الحروف الساكنة الأجنبية، ولا داعي لرموز جديدة إلا في حروف ساكنة ثلاثة هي:

(G) الشديدة الخالية من التعطيش، وتقترح اللجنة أن يرمز لها بكاف فوقها شرطة (گ)، على نحو ما حدث في الفارسية من قديم. (P)، ويرمز لها بباء تحتها ثلاث نقط (پ). (V)، ويرمز لها بفاء فوقها ثلاث نقط (ف)».¹

ويلحظ أن اللجنة المقترحة أسقطت الحرف (چ) بثلاث نقط لمقابلة الحرف اللاتيني (G)، ولم يتبيّن لي مَنْ صاحب هذه المقترحات، وهل قرّرت أم لا؟

ثانياً: إن تلك القرارات جاءت بتأثير مقررات مؤتمر (كوبنهاجن) سنة 1925، بوضع نظام دولي لرسم الأصوات ونقلها، ذلك الذي أوصى بصيغة غير مباشرة بتطبيق المقترحات الداعية إلى اعتماد الحروف اللاتينية ابتداء من (24 يوليو 1929) حروفاً دولية، بتأييد خاص من المعهد الدولي للتعاون الفكري المنبثق عن جمعية الأمم المتحدة²، وكان وراء ذلك المستشرق (نلينو).

ثالثاً: إن تلك القرارات لم تكن موضع رضی ولا قبول كثير من اللغويين والمجمعين، وممن عارضها:

- الأستاذ المجعي حامد عبد القادر الذي قال حول إدخال حركات وحروف أجنبية إلى العربية: «أمن الضروري أن نمثلها في لغتنا تمثيلاً حقيقياً مطابقاً للواقع، ولم لا نخضعها - رغم أنفها- كما أخضعها أسلافنا لحركات اللغة العربية، وكما أخضعوا الأصوات

¹ مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مجلة المجمع 83:16-84.

² د. محمد رشاد الحمزاوي - أعمال مجمع القاهرة: 199.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الأجنبية للأصوات العربية؟... وهل اعتدَّ الأجانب بالحروف والحركات العربية فنقلوها إلى لغاتهم في أمانة ودقَّة؟ إنهم يقولون lemon لا لَيْمُون، و cotton لا قُطْن، و Alhambra لا الحمراء، و chèque لا صكَّ، و tarif لا تعريفة» وختم بقوله: «فكونوا على يقين من أن الأبجدية العربية باقية ما بقيت اللغة العربية»¹.

• الأستاذ اللغوي الكبير أحمد محمد شاكر الذي قال في مقدمته لكتاب (المعرب على حروف المعجم) للجواليقي: «فالقارئ لقرارات كتابة الأعلام التي أقرها المجمع يرى أن فيها معنى واحداً يجمعها، وروحاً واحداً يسيطر عليها: الحرص على أن ينطق أبناء العربية بالأعلام التي ينقلون إلى لغتهم بالحروف التي ينطقها أهلها، وقَسَرَ اللسان العربي على ارتضاخ كل لكنة أعجمية لا مثال لها في حروف العرب، وتسجيل هذه الغرائب من الحروف برموز اصطلاحية تُدخل على الرسم العربي تزيُّداً في الحروف وتكثرأ»².

• المجمعى الأمير مصطفى الشهابي الذي ضاق ذرعاً بأولئك الذين لا ينطقون بالأسماء العلميَّة المعربة إلا كما تتطَّق بها في اللغات الأوربية، ويتساءلُ منكرأ: «فما الذي يجبرهم على التعاجم؟ لماذا لا ينطقون بالحرف (O) واوآ، وبالحرف (E) ياء؟» ثمَّ يعلِّل استنكاره قائلاً: «وعندما يقتبس الأوربيون من العربية كلماتٍ فيها أحرفٌ خلتْ منها لغاتهم، لا يضيفون إلى تلك اللغات أحرفاً جديدة، فالفرنسيُّون مثلاً عندما فرنسوا كلمة (قُبَّة)، قالوا: (كُبَّه = koubba) بالكاف، ولم يضيفوا حرف القاف إلى لسانهم»³.

• المجمعى الدكتور محمد هيثم الخياط، الذي أشرف على وَضْع أكبر معجم طبي حديث هو (المعجم الطبي الموحد)، والذي يرى «عدمَ ضرورة إدخال بعض الأحرف على الحروف العربية، فالأهم الأخرى لا تخترع حروفاً جديدة لرسم ما تقتضيه من لغات

¹ حامد عبد القادر، دفاع عن الأبجدية والحركات العربية، مجلة مجمع القاهرة 98:12-99.

² الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح أحمد محمد شاكر المقدمة: 18.

³ مصطفى الشهابي، ملاحظات لغوية اصطلاحية، مجلة مجمع دمشق 37:10-11.

..... تهجين الأبجدية العربية

أخرى، وإنما تكتب الحرف بأقرب حرف إليه من لغتها، مثلاً: تنقل الذال (دلتا)، والباء (فيفا)، ولا تبتكر أيَّ حرف جديد، ومثل ذلك في سائر اللغات»¹.

• المجمعى الشيخ أحمد الإسكندري الذي كان لسان حال كثيرٍ من لغويي مجمع القاهرة الذين لم ترق لهم تلك القرارات والأحرف الدخيلة، والذي صرَّح إذ ذاك «بأن على المجمع تأييد طرق القدماء، مع اتخاذ طرق جديدة بالنسبة للألفاظ وأسماء العصور الحديثة، باستعمال الحروف العربية دون التلّفظ بالحروف الأجنبية، فلا يمكن مثلاً أن نعتمد صورة الحرف (V)، للنطق بفكتوريا»².

• د. مصطفى جواد الذي يقول في هذه المسألة: «إن العالم باللغات الغربية لا يحتاج إلى تعريب المصطلح، لأنه يقرؤه بلفظه في مظانّه، فإذا كان الدارس مبتدئاً في تعلّم اللغات متقدّماً في العلوم - وهذا نادر جداً - فقد قلنا: إن الكتب التي يدرسها هذا وأمثاله توضع فيها أسماء العلوم والفنون باللغة الغربية إلى جانب أسمائها بالعربية، وقد قلنا: إن معرفتهم للاسم الأجنبي بصورته اللفظية لا تقدّم ولا تؤخّر في دراسة العلم، إلا أنها حربٌ للغة العربية ما دام الاسم الأجنبي هو المستعمل في كتب العلم والترجمة والكلام»³.

• الغالبية العظمى من المعرّبين والمترجمين العرب، إذ تجنّبوا إدخال أحرف أجنبية إلى العربية. فمن مجموع مئة كلمة أجنبية مقترضة جُمعت عشوائياً من معاجم متخصصة وردت كلمتان فقط بحرفين أجنيين هما (فيلا) و(إديوگرام)، أي بنسبة 2% فقط، مما يفهم منه عزوف المعرّبين والمترجمين عن تهجين الأبجدية العربية.⁴

¹ د. محمد هيثم الخياط، المصطلحات العلمية ونظرية الضرورة العلمية، الموسم الثقافي الأردني السابع: 38.

² د. محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع القاهرة: 201.

³ د. مصطفى جواد، المصطلحات العلمية والفنية، مجلة المجمع العلمي العراقي 211:2.

⁴ لمزيد من التفصيل ينظر: د. ممدوح خسارة، منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: 110-103.

ثالثاً: مواضع إدخال الأحرف الأجنبية في المعجم الكبير

سوف نحصي الكلمات التي أُدخلت فيها الأحرف الأجنبية الأربعة ونشير إلى مواضعها في المعجم، والكلمات التي التزّم فيها الحرف العربي دون الأجنبي، ثم نبين نسبة التزام الحرف العربي فيها من عدمه، ونقفي بالتعقيب على هذه الظاهرة ونسبتها.

1. الحرف الأجنبي (پ) بثلاث نقط لمقابلة الحرف اللاتيني (P):

أ. أدخل المعجم الكبير هذا الحرف في سبعة مواضع، وهذه الكلمات هي:

ج 1 ص 21	Hipporchos	(اسم علم)	إِپْرُحُسْ
38 : 1	uparkia	الأبرشية	أُپَرْخِيَا:
605 : 1	Europe		أورِپَا
24 : 2	Pasteur	(اسم علم)	پاستِير
165 : 2		(ب ذ ر - في العبرية pāzar)	پَزَر
384 : 2	(*)	بطريك	پَترِرخِيس:
591 : 2	Panama (في الخريطة)	(اسم دولة)	پنما:

ب. التزّم المعجم الحرف العربي (ب) لمقابلة الحرف اللاتيني (P) في 41 منها:

39 : 1	april	نيسان	أبريل
47 : 1	Épectetus	(اسم علم)	إِپْكيتُوس
8 : 2	Papa	(رأس الكنيسة الكاثوليكية)	بابا
22 : 2	Paris		باريس
27 : 2	Pakistan		باكستان
53 : 2	Petroleum	النفط	بترول
185 : 2	Portugal		البرتغال
102 : 3	télescope		تلسكوب

2. الحرف الأجنبي (ف) بثلاث نقط لمقابلة الحرف اللاتيني (V):

أ: أدخل المعجم الحرف (ف) في ثمانية عشر موضعاً، والكلمات هي:

605 : 1	اسم نهر	الفولجا:

* لم نكتب الأصل الأجنبي ما لم يكتب في المعجم. وإذا وضع بين حاصرتين فهذا يعني أنه من إضافة الكاتب.

..... تهجين الأبجدية العربية

692 :2	Polanda (في الخريطة)	اسم دولة	- بولندا:
694 :2	Bolivia	اسم دولة	- بوليفيا:
74 :3	trouver	الشاعر المتجول	- التروفر:
78 :3		اسم دولة، (في الخريطة)	- تشيكوسلوفاكيا:
357 :3	شاف (في العبرية Šāb شاف)	ث و ب	- شاف:
357 :3	ث و ب (في الآرامية Tāb ثاف)	ث و ب	- تاف:
8 :4		اسم مدينة	- برازافيل:
8 :4	Liberville	اسم مدينة	- ليبرفيل:
31 :4	جبر (وفي السريانية gabar جفر)	جبر	- جفر:
49 :4	(أصلها guḇen، أي نقل الباء إلى ث)		- جافن:
265 :4	(اسم علم جغرافي)		- فستولا:
11 :7	da vinci	(اسم علم)	- دافنشي:
12 :7	Salvador	(اسم علم)	- سلفادور:
190 :7	(في السريانية dārḇ)		- دارف:
675 :7	dover	اسم مدينة	- دوفر:
239 :8	(في السريانية dōḇ)		- دوف:
239 :8	(في العبرية zōḇ)		- زوف:

ب. التزم الحرف العربي (ف) في أحد عشر موضعاً، والكلمات هي:

281 :2	Provençal		- بروفنسال:
14 :3	Tananarive		- تاناناريف:
78 :3	اسم دولة		- تشيكوسلوفاكيا:
108 :3	télévision		- تلفزيون:
8 :4 (في الخريطة)	اسم مدينة		- ليبرفيل:
172 :4	gravit		- غرافيت:
466 :4	galvanometre (مقياس شدة كهرباء)		- جلفانومتر:
468 :4	عَطَى بطبقة زنك (معرب)		- جَلْفَن:
468 :4	galvinanstion		- الجلفنة:
691 :4	guajava		- الجوافة:
590 :7	[Scandinavia]		- الاسكانديناوية

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

3. الحرف الأجنبي (ج) بثلاث نقط، لمقابلة الحرف اللاتيني (g) أو (ch):

أ. أدخل المعجم هذا الحرف في ثمانية مواضع، والكلمات هي:

- تكنولوجيا: technology 3: 98 (مع أن هذا الحرف ينطق جيماً عربية في لغته)
- السَّجَّك: آلة طرب من الفارسية جَنَّكَ 4: 601
- السَّجَّكِي: الذي يضرب بالسَّجَّك 4: 601

ويلحظ أنه استعملها في المدخل بجيم أجنبية وفي الشرح بجيم عربية

- چهارگاه: المقام الرابع في الموسيقى 4: 618
- السَّجَّكَندار: صاحب الصَّوْلُجان 4: 695
- السَّجَّكَغان: الصَّوْلُجان 4: 695
- السَّجَّكَولوجيا: علم الأرض 7: 122
- السَّجَّكَولوجيا: علم الأرض 7: 274

ب. والتزم الحرف العربي (ج) لمقابلة الحرف (g) في أربعة عشر موضعاً، والكلمات

هي:

- جرينتش: (اسم علم) greenich 4: 285
- زاجروس: (اسم جبال) [zagros] 4: 301
- الجَزْمة: (الحذاء المعروف)، من التركية كَزْمة 4: 319
- جليسرين: (مادة كيميائية) glycerine 4: 456
- جلفانومتر: galvanometre 4: 466
- جَلْفَن: غَطَّى بطبقة زنك 4: 468
- الجَلْفَنَة: galvanisation 4: 468
- جلوکوما: glucoma 4: 499
- جندوانا: gondoana 4: 592
- الجَوَافة: ثمر كالتين guajava 4: 691
- جولدسهر: (اسم علم) goldseher 4: 704
- الجيولوجيا: (علم الأرض) 7: 538
- الديماجوجيا: (الخطابة المثيرة للعامة) 7: 722
- الديموجرافيا: (علم السكان) demography 7: 722

..... تهجين الأبجدية العربية

4. الحرف (گ) المعلوطة بخط وتسمى الكاف الفارسية المجهورة، وهي تنطق كالجيم غير المُعْطَشَة، وكان اقتراح لها (ك) بثلاث نقط أفقية.

أ. أدخل الحرف الأجنبي (گ) في موضعين، والكلمتان هما:

- السجودان: الصولجان 4: 695

- چوگاندار: صاحب الصولجان 4: 695

ويلحظ أنه أدخل في كل كلمة منهما حرفين أجنبيين.

ب. التزم الحرف العربي (ك) في كلمة واحدة هي:

الجنك: آلة الطرب في الفارسية: جنكك 4: 601

وبذلك يكون مجموع المواضع التي وردت فيها أحرف أجنبية هي مئة موضع وموضعين استعمل الحرف العربي في 67 موضعاً فيها، والحرف الدخيل في 35 موضعاً، فتكون النسبة هي نحو 66% لالتزام الحرف العربي ونحو 34% لاستعمال الحرف الدخيل أعلاها استعمال الحرف الأجنبي (ف)، ثم (چ)، ثم (پ) وأخيراً (گ).

تعقيب واستنتاجات:

إن النظرة المتفحّصة إلى هذه الحصيلة تبيّن أشياء:

1. إن قرارات قبول إدخال أحرف أجنبية إلى الهجاء العربي كان بغرض كتابة الأعلام الأجنبية عند تعريبها، وليس لكتابة ما سواها من الكَلِم، إلا أن المعجم لم يتقيد بها في كتابة الأعلام فحسب، بل كتب بها ما ليس علماً، مثل: التروثير: الشاعر المتجول¹، وتكنولوجيا: التقانة²، والسچوگاندار: صاحب الصولجان³.

2. لم يكن للمعجم طريقة واحدة في نقل الأحرف الأجنبية، إذ رأينا أن 34% من الكلمات المعربة لم يلتزم فيها الحرف العربي، في حين التزم هذا الحرف في نحو 66% منها، أي

¹ مجمع القاهرة، المعجم الكبير 3: 74.

² المصدر السابق 3: 98.

³ المصدر السابق 4: 615.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- نحو ثلثي الكلمات المعرّبة، ويفضي هذا إلى أن إدخال الأحرف الأجنبية إلى الهجاء العربي لم يكن منهجية مقصودة تماماً، ولم يكن أصلاً من الأصول التي انطلق منها المعجم، إذ كان الغالب هو التزام الحرف العربي وهذا يشير خير.
3. لوحظ الاضطراب الشديد في نقل الحرف الأجنبي في المعرّبات، إذ نُقل الحرف الأجنبي الواحد بصورة أو أكثر، مثل حرف (g) في كلمة (géologie علم الأرض)، حيث:
- نقله مرّة بحرف عربي، فكتبه (جيولوجيا) في (538:7).
 - ونقله مرّة بحرفين عربي وأجنبي، فكتبه (جيولوجيا) في (122:7).
 - ونقله مرّة بحرفين أجنبيين، فكتبه (جيولوجيا) في (238:7).
4. إن المعجم لم يراع نطق الكلمة الأجنبية في لغتها الأصلية أحياناً، ذلك أنه كتب كلمة (technologie: التقانة) تكنولوجيا في بعض المواضع¹، مع أن هذا الحرف ينطق في لغته الأصلية بالجم اللاتينية المطابقة للجم العربية، ولا ينطق بالجم غير المعطّشة، ولو كتبت بجم عربية لطابق ذلك نطق أهل لغته، دون خروج على الهجاء العربي، ومثلها كلمة (جيولوجيا) التي ذكرناها، والتي تنطق في لغتها الأصلية بجم مطابقة للجم العربية، ولكنه نقلها بحرف (ج) الذي ينطق جيماً غير معطّشة، وفي هذا خروج على اللغتين الأجنبية والعربية معاً.
5. وردت بعض الأحرف العربية في شرح الكلمة العربية، بردها إلى الآرامية أو العبرية التي كتبت برموز الأحرف العالمية لنقل الحروف الجزيرية (السامية) إلى العربية، مثل: «ث وب، في العبرية Šāb شاف، وفي الآرامية Tāb تاف²» فما الحاجة إلى كتابتها مرة ثانية بحرف دخيل، ما دامت الكلمات قد كتبت بالرموز الصوتية العالمية التي يُكرّرها المعجم في أول كل جزء من أجزائه، ومثلها كثير، وذلك يمكّن من نطقها كما في لغتها الأصلية.

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير 98:3.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير 357:3.

..... تهجين الأبجدية العربية

وقل مثل ذلك في كثير من الكلمات التي كتبت باللغة الأجنبية إلى جانب العربية ليُعرف نطقها في لغتها الأصل نحو: (پاستير: ¹pasteur)، و(أورپا: ²Europe). فما المسوِّغ بعد هذا لنقل الحرف (P) إلى الحرف (پ) ما دام القارئ عرف نطق الكلمة في لغتها الأصلية؟ بل إن الحرف الأجنبي الواحد نُقل في كلمة واحدة وفي صفحة واحدة بصورتين، مثل كلمة (Panama) التي كتبت مرة (بنما) بباء عربية مجهورة، ومرة (بنما) بباء فارسية مهموسة في خريطة تلك الدولة³، ومثلها كلمة (brasaville) التي كتبت في المتن (برازافيل)، بفاء مجهورة، وفي الخريطة (برازافيل) بفاء عربية مهموسة.

رابعاً: مخاطر تهجين الهجاء العربي

ما كنا لنعطي هذه الظاهرة المبتدعة هذا الاهتمام الكبير لولا ما تحمله من مخاطر على لغتنا هي أبعد أثراً مما قد يقدّره بعضنا، ومن أظهر هذه المخاطر:

1. زعزعة النظام الصوتي العربي وتخريبه

من المعلوم أن النظام الصوتي في أي لغة هو أهمُّ أنظمتها، ولا سيما في العربية، لأنه مرتبط بتراث ديني وأدبي وعلمي، ولذلك وجدنا العلماء اللغويين يخصّون حروف الهجاء العربي بدراسات دقيقة مفصّلة، إذ تفحصوها وبيّنوا مخرج كل حرف منها: أهو من الحلق، أم من الشفتين أم من الشّجر؟ كما بينوا صفته: أهو شديد أم رخو، أم مهموس أم مهجور؟ وحافظوا على عددها وبنوا عليها معاجمهم منذ الخليل بن أحمد 180 هـ، وحتى العصر الحالي، فهي تسعة وعشرون حرفاً، لم يُزدَ عليها حرف واحد طيلة خمسة عشر قرناً كُتِبَ بها كل تراثنا، ولم يتغيّر شيء من مخارجها أو صفاتها التي ضُبِطت بدقّة، وكان اللغويون يقاومون ويصحّحون أي خطأ في نطقها، وكان أول ما يتعلّمه الشّداة والمجوّدون والقراء

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير 2: 308.

² المصدر السابق 1: 605.

³ المصدر السابق 2: 591.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

مخارج الحروف وصفاتها، لا يقبلون أدنى تغيير وتبديل فيها، بل إدخال أحرف جديدة أجنبية ليست من العربية أصلاً.

وقد يُعترض علينا بأن سيبويه وغيره ذكروا أن «أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة... والياء، وتكون خمسة وثلاثين حرفاً، بحروف هنّ فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة، يُؤخذ بها وتُسْتَحْسَن في قراءة القرآن والأشعار، وهي النون الخفيفة، والهمزة بينَ بين، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التقخيم... وتكون اثنين وأربعين حرفاً، بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالطاء، والظاء التي كالطاء، والباء التي كالفاء. وهذه الحروف التي تَمَمَّتْها اثنين وأربعين، جيدها ورديئها، أصلها التسعة والعشرون، لا تبين إلا بالمشافهة»¹. أي إن هذه الأحرف تُنطق مشافهة عند بعض العرب، وقد يُقرأ بها، ولكنها لا تُرسم، ولذا لم تُخصَّص لها أشكال أو صور، ويتناقل القُراء والمجوِّدون ما يُستحسن منها سماعاً، وينبذون ما لا يستحب ولا يستحسن، وإن كان بعض العرب يتلاغون بها في قبائلهم. ولكننا لم نجد إلا رسماً واحداً لكل حرف من حروف هجائنا العربي، لأن تلك الأحرف لا تعدو أن تكون تنويعات لهجية للحرف الواحد في قبيلة دون غيرها، فهي ليست عامّة في لغة العرب، وإلا لرسوموها، أو لكننا وجدنا بين القدماء من دعا إلى رسمها. فتلك الحروف الزائدة كانت معروفة عند أجدادنا، فليس صحيحاً ولا جديداً ما ذكره بعض اللغويين المعاصرين من «أن العربيّ اليوم قادر على نطق الأحرف الأجنبية كما ينطقها أهلها»². وكأنَّ المشكلة عندهم هي أن نُطَوِّع اللسان العربي لنطق أحرفٍ ليست من هجائه، فهذه الأحرف الأجنبية كانت مما ينطقه العرب، ولكنها لم تكن مستحسنة ولا مستحبة ولا مكتوبة.

¹ سيبويه، الكتاب 4: 432.

² د. مصطفى جواد، مبحث في سلامة اللغة العربية، مجلة المجمع العلمي العراقي 2: 210.

..... تهجين الأبجدية العربية

2. الخروج على منهج العربية وقواعد اللغويين المحققين في التعريب اللفظي

للعربية منهج واضح في التعريب من اللغات الأخرى، عماده المحافظة على اللغة العربية وهجائها من أن يتسرَّب إليه ما ليس منه. وقد نصَّ سيوييه على ذلك المنهج عندما قال في باب اطراد الإبدال من الفارسية: «يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم [أي g أو ك] الجيم لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بُدٌّ، لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو الجُرَيْرُ والآجُرُ والجورِب [وكانت تنطق في لغتها الأصلية بجيم غير معطَّشة]. وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً، قالوا: قُرَيْرٌ... ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء [أي P] الفاء، نحو الفِرْدُ والفُنْدُق، وربما أبدلوا منها الباء، لأنهما قريبتان جميعاً، قال بعضهم: البرْدُ. فالبدل مُطَرَّدٌ في كل حرف ليس من حروفهم، يبدلون منه ما قُرِبَ منه من الحروف الأعجمية»¹.

ولم يخرج مَنْ جاء بعد سيوييه على هذه القاعدة. وينقل السيوطي عن اللغويين قولهم: «الحروف التي يكون فيها البدل في المعرَّب عشرة: خمسة يُطَرَّدُ إبدالها، وهي الكاف والجيم، والقاف والباء والفاء، وخمسة لا يُطَرَّدُ إبدالها وهي السين والشين والعين واللام والزاي، فالبدل المطرَّد هو كلُّ حرف ليس من حروفهم، كقولهم: (كُرَيْج)، الكاف فيه بدلٌ من حرف بين الكاف والجيم»² [أي g أو ك].

وحتى عند ازدياد الاحتكاك الثقافي باللغتين الإغريقية واللاتينية، وازدياد نسبة المعرَّبات منها، لم يُدخل المعرَّبون القدماء كحنين ابن إسحاق وغيره، حرفاً واحداً منها إلى العربية، بل كانوا ينقلون الحرف الأجنبي إلى حرف عربي مقابل أو أكثر، كأنَّ ينقل الحرف (T) تاءً أو طاءً، أو ينقل الحرف اللاتيني (C)³ إلى عدَّة أحرف عربية بحسب نطقه في لغة الأصل، إذ نقل (ق، ج، ك، س...)، ولكنهم لم يزدوا في الأحرف العربية حرفاً أجنبياً واحداً. وثمَّة صورة

¹ سيوييه - الكتاب 4: 305 - 306.

² السيوطي - المزهَر 1: 274.

³ د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: 81، 146.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

غالبية لنقل الحروف اللاتينية إلى العربية أوردتها بعض اللغويين المعاصرين، وهي كما يلي:

ش = X	ك = K	ج = j
ء = H (همزة)	ق = Q	ب = P
ز = Z	ط = T	ب = V
	و = W ¹	ق = C

ويرى لغويون محدثون أثبات أن القدماء جعلوا عند التعريب «إبدال الحروف لازماً، وهم يصدرن في هذا الحكم عن بُعد نظرٍ وتفطنٍ وحرصٍ على عدم إفساد اللغة وأساسها بحروف أجنبية»².

3. بلبله الكتابة العربية وانشطارها إلى كتابتين:

الأولى: قديمة تلتزم الهجاء العربي، كتبت بها الثقافة العربية منذ القديم إلى الآن بتراتها الحضاري المتنوع، ولمدة خمسة عشر قرناً.

الثانية: جديدة، لا تلتزم الهجاء العربي تماماً، بل تأخذ بهجاء عربي هجين، وتكتب بها مؤلفات حديثة.

أي سيكون لنا هجاءان أو أبجديتان: قديمة تتألف من تسعة وعشرين حرفاً، وجديدة تشتمل على ثلاثة وثلاثين حرفاً بزيادة الأحرف الدخيلة (پ، ف، چ، گ). والحبلى على الجرّار - كما يقال - لأننا بدأنا نعرّب عن لغات حية ذات أبجديات تحتوي على أحرف ليست في العربية ولا في اللاتينية، كما في الأبجديات الصينية والسلافية وغيرها... ولا يبعد إذا فتح الباب أمام أحرف أجنبية جديدة أن يجد العربي نفسه أمام أبجديتين وكتابتين، كما لا يبعد أن يتزايد الإقبال على الأبجدية الهجينة واستعمالها، ونحن نرى إلى بعض الشبان أو الأحداث المعاصرين يحتالون على الأحرف العربية الحلقية بأن يستبدلوا بها أرقاماً، كأن يضعوا بدل الحاء رقم (7)

¹ د. إبراهيم بن مراد، المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: 221.

² د. مسعود بوبو، أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: 81، 146.

..... تهجين الأبجدية العربية

أو الهاء رقم (9)... وقد نجد أنفسنا مضطرين لتعليم أبنائنا تلك الأبجدية الهجينة، وما يستتبع ذلك من تغييرٍ لكتب الصرف والأصوات مرّةً بعد مرّةً لتوافق البنية الصوتية المهجّنة. وما أَرانا متزيّدين أو مبالغين فيما نتخوف منه، من ظهور كتابتين عربيتين. إذ قال بعض المتحمسين لزيادة الأحرف الأجنبية إلى العربية، بعد دراسةٍ له في قرارات كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية جديدة: إن المترجمين القدامى الذين التزموا الحروف العربية «ما كان ينبغي لهم أن يتخطّوا حدودهم، فيطوّعوا أصوات حروف لغة ليست بلغتهم، ويفرضوا عليها أصواتاً سريانية أو غربية لا تقابل الحروف التي ينقلونها إلى العربية... إن هذا الذي فعلوه غير مقبول علمياً، طالما كان المقصود نقل الاسم إلى العربية وفق صورته الأصلية، ولا يسعني الآن إلا أن أطلب بالحدّ من مبدأ القديم على قدمه»¹ الذي قال به المستشرق (نلّينو)، أي أن تُلتزم الأحرف الأجنبية الجديدة عند تعريب أسماء الأعلام المعاصرين، دون التغيير في تعريب القدامى إياها. والمطلوب - بحسب دعوة هذا وأمثاله - أن يعاد النظر في ترجمة كل التراث العلمي والأدبي العربي لمراجعة كتابة الأعلام بإدخال أحرف أجنبية، أي علينا أن نعيد كتابة كل ما ترجمه الأوائل كحنين بن إسحاق وأصحابه، أو ما ألفوه كالبيروني وابن البيطار، والجاحظ وابن رشد وابن خلدون، لنعيد كتابته وفق ما ذهب إليه بعض المحدثين. فممّا يجب تغييره بحسب ذلك الكاتب أن نعدل عن أفريقية إلى (أفريكا)، وأفلاطون إلى (پلاتون) وشيشرون إلى (كيريكو)، وبيزنطة إلى (بيزانتيوم)، وفيثاغورس إلى (بيثاجوراس)، وقبرص إلى (كوبروس)، وزنوبيا إلى (زينوبية)²

ومنّ كان حريصاً على اللغتين اليونانية واللاتينية، فهو بلا شك أحرص على اللغات الهندو أوروبية التي وردت معرّباتها في كلام العرب وشعرهم في الجاهلية، كما وردت في كتابهم الكريم. وإذا راعينا نطق أحرف اللغات اليونانية واللاتينية والآرية والجزيرية (السامية)، ألا يفضي

¹ د. محمد محمود السلاوني، دراسة تفصيلية في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية، مجلة مجمع القاهرة 29: 100-101.

² المصدر السابق 29: 134-137.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

هذا إلى أن تُكتب فردوس: (باراديس) واستَبْرَق: (استَفَرَه) وقيصر: (سيزار). وليس أدل على خطأ وخطأ مثل هذه القواعد لنقل المعرّبات أن من اقترحها. وألحَّ عليها لم يستطع التزامها، فعَرَّب (Agrippa) إلى (أجريبّا) بجيم عربية، وعَرَّب (Polla) إلى (بولّا) بباء عربية¹.

إن مما يمكن أن يُساهل فيه في هذا المجال أن ينطبق بعضنا الكلمة المعرّبة مشافهة في التواصل اليومي، بالصورة التي يراها أقرب إليه. أما كتابتها، فإنها ستنبتّها وتجذرّها في اللغة، وموقفنا منها شبيه بموقفنا من اللهجة العامية التي لا يُستغنى عنها في لغة الحياة اليومية العامة، والتي عاشت مع العربية الفصحى منذ مئات السنين، ولم تتحوّل إلى لغة مغايرة، لأنها لم تُكتب، ولم يدع أحد من القدماء إلى كتابتها. ومعروف أن اللهجة متى كُتبت تحولت إلى لغة أخرى، يضطر أصحابها إلى تعييدها وتعليمها، وكذا الأحرف الدخيلة إذا تحولت من الاستعمال الشفاهي إلى الاستعمال الكتابي، فإنّ ذلك مفضّ إلى تأصيلها في العربية وسوف نجد أنفسنا مضطرين لتعليم أبنائنا كتابتين للعربية، علماً بأنه ما من أمّة تقبل بأن يكون لها كتابتان.

4. إرباك المعجمية العربية وتشويش طريقة ترتيب مداخلها:

يخلق إدخال كلمات إلى العربية بأحرف ليست منها إشكالية في ترتيب مداخل المعجم العربي، وتتمثل هذه الإشكالية في موضع تصنيفها فيه، فهل نصنّف كلمة (جهاركا) المعرّبة في باب الجيم العربية أم نوجد لها مدخلاً آخر، ومثلها (بنما)، وسائر ما يبتدئ بحرف غير عربي.

تعقيب وحلّ:

الذي نراه أن قضية نقل الأعلام الأجنبية بحروف عربية⁽²⁾ مشكلة مفتعلة، ولا طائل من ورائها، لأمر:

1. إن مقولة أن ينطق العرب بالاسم أو الكلمة الأجنبية المعرّبة وفق ما ينطقها أهلها خطأ

¹ د. محمد محمود السلاوني، دراسة تفصيلية في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية، مجلة مجمع القاهرة 29: 134 - 136.

² الواقع أن ما سمّوه حروفاً عربية، ليست عربية، وإنما أجنبية دخيلة بنطقها ورسمها.

..... تهجين الأبجدية العربية

صُراح، لأن العرب حدَّت التعريب اللفظي بأنه «أن تتطق العرب بالكلمة المعرَّبة على منهاجها»¹، أي على منهاج العرب في لغتهم أصواتاً وأبنيّة، لا أن تتطق الكلمة المعرَّبة على منهاج أهل اللغة الأجنبية المنقول منها. وليس هذا المنهج خاصاً بالعربية، بل هو منهج كل الأمم التي تُخضع الكلمات المنقولة من لغات أخرى إلى قوانين لغتها الصوتية والصرفية.

2. ليس ثمة من أمة غيّرت أبجديتها، فأدخلت حروفاً جديدة لتطابق حروف اللغة المنقول منها، وكنا ذكرنا - مثلاً- كيف أن الفرنسيين نقلوا كلمة (قُبّة) العربية إلى لغتهم بإبدال القاف العربية كافاً، فقالوا (coubba). بل غيروا حتى الحروف العربية الموافقة لأحرف عندهم، فقالوا (mosque) ولم يقولوا (مَسْجِد)، وقالوا (averouche)، ولم يقولوا: (ابن رشد) وقالوا (évecine) ولم يقولوا: (ابن سينا)، مع أن لأحرف هذه الكلمات العربية ما يوافقها في لغتهم، ولم يراعوا التركيب العربي أو بنية الكلمة العربية، مع إمكان ذلك لو أرادوا، كان بإمكانهم أن ينطقوا (جبل طارق) كما العربية، ولكنهم قالوا: (غيرالتار)، وأن ينطقوا (القاهرة) بكاف، ولكنهم غيروا البنية كلّها فقالوا (كايرو أو كير)، وأن ينطقوا (دمشق) بالكاف التي عندهم بدل القاف، ولكنهم قالوا داماس أو داماسكوس فغيّروا بعض الأحرف والبنية. وهم محقّون في ذلك لأن لكل أمة أن تنقل الكلمة الأجنبية إلى لغتها وفق منهاجها في النطق، لا وفق منهاج اللغة المنقول منها.

3. إن الحل لهذه المسألة التي نُفِخَ فيها، وصُنِعَ منها مشكلة شغلت مؤسسة لغوية كبيرة لعقود من السنين، لهو أيسر مما يتصوَّرون، إذ يكفي أن نعرِّب الاسم الأجنبي على طريقة العرب أي بإخضاع اللفظ المعرَّب إلى قوانين العربية الصوتية والصرفية، ثم نكتب إلى جانبه أصله الأجنبي بلغته الأجنبية، بين قوسين، إذا كنا نحرص على أن يُنطق به كما ينطق به أهل لغته، فتكتب مثلاً: فولتير (Voltère)، وباريس (Paris) وموسكو (Moscova)، أم أن

¹ الجوهري، الصحاح: عرب.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ذلك لا يرضيهم حتى نغيّر فرندوس إلى (پاراديس) وكِسرى إلى (خسرو) وأفلاطون إلى (پلاتون)....؟

الخاتمة

عرَضْنَا في هذا البحث لجهود مجمع القاهرة في حفظ اللغة العربية وصونها، ولاسيما في تصنيف، المعاجم اللغوية والمتخصّصة، وتوقّفْنَا عند المعجم الكبير الذي صدرت بعض أجزائه، وبيّنَّا أن ثمة خطأ وقع فيه مصنفو المعجم العتيد، وهو إدخالهم- في بعض المواضع- أحرفاً من غير العربية إلى الهجاء العربي في الكلمات المعرّبة عن اللغات الأجنبية، وهي (پ، ف، چ، گ)، على أن المعجم التزم أحرف الهجاء العربي في أغلب المواضع.

ثمّ ذكرْنَا بالمرجعية التي استند إليها مصنفو المعجم، وهي قرارات كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية. وما دار حول تلك القرارات من نقد واعتراض، ونبّهنا على ما في ذلك من مخاطر كبيرة، أهمها: زعزعة النظام الصوتي العربي، والخروج على قواعد العرب في التعريب اللفظي، وبلبلّة الكتابة العربية، وإرباك المعجمية العربية.

وخلَصْنَا إلى ردٍّ وبُطلان مقولة أن تتطق العرب بالكلمة المعرّبة وفق ما ينطقها أهلها. وفقَيْنَا بالحلّ الذي نراه، وهو أن تُنقل الكلمة المعرّبة على منهاج العرب في التعريب، وأن نكتب الكلمة الأجنبية الأصل بين قوسين إلى جانب الكلمة المعرّبة لمن يرغب في ضبط نطقها.

وبناء على ما تقدّم من بحث فإننا نقترح أن تقرّر المجامع اللغوية العربية عدم جواز تهجين الهجاء العربي بإدخال أحرف أجنبية ليست من العربية نطقاً ولا كتابة، وأن ترغب إلى مصنّفِي المعجم الكبير بالعدول عما جرّوا فيه فيما سيصدر لاحقاً من أجزائه، وأن يُصحّح ما ورد منها في طبعاتها اللاحقة.

(اللهم علّمنا ما ينفع وأنفع بما علّمتنا).

..... تهجين الأبجدية العربية

المصادر والمراجع

أ. الكتب:

1. أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، نشر وزارة الثقافة، دمشق 1982.
2. أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت (1988).
3. التقريب لأصول التعريب، طاهر الجزائري، المكتبة السلفية، مصر 1918.
4. التهذيب في أصول التعريب، د. أحمد عيسى، ط1 القاهرة 1923.
5. الصّاح، الجوهري / معجم.
6. الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د.ت).
7. لسان العرب، ابن منظور / معجم.
8. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح جاد المولى والبجاوي وإبراهيم، دار الجيل ودار الفكر، بيروت ط1 (د.ت).
9. المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مصطفى الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط2 1965.
10. المعجم الكبير، مجمع القاهرة، الأجزاء: 1- 2- 3- 4- 5- 6- 7- 8.
11. المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، تح أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب القاهرة، ط2، 1969.
12. المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، د. إبراهيم بن مراد، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1978.
13. منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث، د. ممدوح خسارة، مؤسسة الرسالة، دمشق ط1 1999.
14. الموسم الثقافي الأردني السابع، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان 1989.

ب. الدوريات:

1. مجلة المجمع العلمي العراقي ج2، 1950.
2. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج 1/37، 1962.
3. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ج 3-4 (1937). ج 5 (1948) - ج 10 (1958) - ج2 (1960) - ج 16 (1963) - ج29 (1972).

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

السيمائية بين إرهابات الوجود وواقع الامتداد

ناسية عادل

جامعة بجاية - الجزائر

إنّ السيمائية علم ظهر في بداية القرن العشرين كعلم ذو قوانين ومفاهيم خاصة منبثقة عموماً من المنطق والرياضيات... لكن سرعان ما اكتسح مجالات لم يسبقه أحد إليها بفعل انفتاحه على أفق واسع الاطلاع، وذلك لكون "السيمياء ترصد الجوانب الشكلية العامة لجميع العلامات، ومن ثمّ يرتسم طابعها الموسوعي الذي جعلها تكتسح جميع المجالات والعلوم"¹. وللضرورة بمكان أن تكون لها الريادة في العصر الحديث والمعاصر؛ لكن لم تصل إلى ما هي عليه إلاّ بعدما قطعت أشواطاً تراوحت بين التأمل والمحاورة والتطبيق ثم الامتداد في مختلف الثقافات إلى أن وصل وجودها الفعلي إلى التفاعل التكنولوجي المعاصر.

بداية ذي بدء نقرّ أنّ علم العلامات عند الإغريق ارتبط بالطب في بداياته، إذ نجد الطبيب الفيلسوف اليوناني جالينوس (129-200) له إسهامات سيمائية حين قال: "ثمّ إنّ أصحاب الرأي والقياس يأخذون من تلك الأعراض دلائل على السبب، ويستخرجون من علم السبب العلاج والمداواة"² وفي موضع آخر يقول عن الظاهر: "إنّما هو أن يستدل عليها بعلامات"³، إذا

¹ عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، ص 31.

² جالينوس، كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلّمين، نقل أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي المتطلب، تحقق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية للكتاب، ط 1، 1978، ص 29.

³ المصدر نفسه، ص 75. ينظر كذلك: إيريك بويسنس، السيميولوجيا والتواصل، تر: جواد بنيس، مجموعة البحث في البلاغة والأسلوبية، ط 1، 2005، ص 3.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

انطلاقاً من العَرَض الذي يظهر على الإنسان نبحت عن السبب بُغْيَة علاجه. أما اليونان؛ فكان التواصل الشفهي من الأساليب التي ميّزت هؤلاء؛ حيث ظهر مصطلح أدى هذا الدور من سقراط مروراً بأفلاطون وصولاً إلى أرسطو، وهو "المحاورات"؛ فهو نوع من أنواع الكتابة نجد فيها فنوناً ثلاثة مؤلفة بمقادير متفاوتة هي الدراما والمناقشة والشرح المرسل¹. انطلاقاً من هذا الكلام يمكن أن نتصور أو نقرب أكثر من مدلول المحاوراة الأفلاطونية أو المحاورات بصفة عامة؛ إذ يكمن أساسها في طرح قضية جدلية تحتاج إلى مناقشة² وتحليل، وهي مناقشة تجري بين اثنين أو أكثر أو حتى بين النفس وصاحبها، و تتمتع بالحوار القويم، ويتخللها نوع من الدراما؛ أي بعض المؤثرات غير اللفظية. لقد جرت محاورات بين أفلاطون وميلزوجين حول نشأة اللّغة هل هي إلهام أم اصطلاح؟ وكانت مجمل أفكارهم المطروحة تناقش بشكل جدلي³؛ إذ يدافع كل طرف عن رأيه، ومثل هذه النقاشات الفلسفية التي توحى إلى الفكر

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، دط، مصر: 1936، ص 84.

² مناقشة قضية معينة والهدف من ذلك هو الوصول إلى المعرفة الحقيقية؛ لذا هم يعتمدون في ذلك مبادئ معينة تسهل لهم اكتشاف المعرفة المطلقة، وكلها تعتمد على أساس ومبدأ خاص في الفلسفة اليونانية، وهو مبدأ السببية بقول إيكو: "إنّ العقلانية الإغريقية من أفلاطون إلى أرسطو وكلّ من يدور في فلكهما، قد انبنت على مبدأ مفاده أنّ المعرفة هي إمساك بالسبب". ينظر: أمبريتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ير: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء: 2000، ص 25. وهذه المبادئ التي يستندون عليها هي:

- مبدأ الهوية (أ = أ)

- مبدأ عدم التناقض: يستحيل أن يكون الشيء (أ) ولا (أ) في الوقت نفسه.

- مبدأ الثالث المرفوع: (أ) إما صحيحة أم خاطئة. ينظر: إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ص 26.

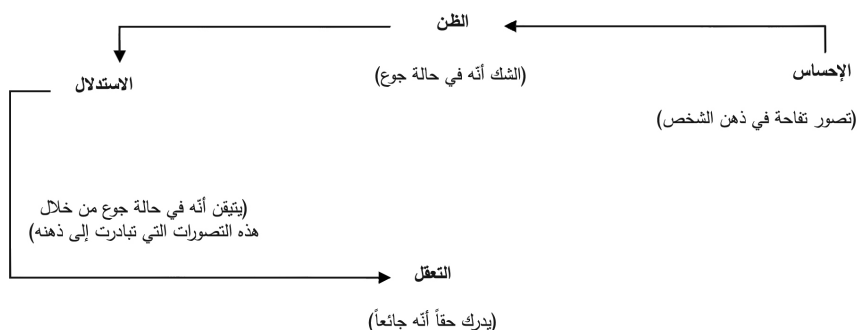
نخلص إلى أنّ كلّ الأمور والموجودات والعناصر المحيطة بالإنسان كانت نتيجة لسبب معين مثل "الدخان سببه النار".

³ روين هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، دط، 1997، ص 37.

وذلك في قوله: "كلّ الأشياء يمكن إدراكها من خلال الدراسة الجدلية". وهذا ما عرف فيما بعد عند "هيجل" في الفلسفة الوجودية على أنّها نمو جدلي للعقل، وهذا الأخير عنده يوصل دوماً إلى تركيبات جديدة ابتداءً من

..... السيمائية بين إرهابات الوجود وواقع الامتداد

المعمق قد أثرت في الفكر البشري ككل. وهي كلّها نقاشات حول العلامات والتي يطلق عليها اسم "كراتيل"¹. إذا نصل إلى أن أفلاطون عمد إلى التواصل من أجل كشف أسرار المعرفة والفلسفة. لكن أفلاطون يستبعد كلّ البعد المكتوب من مجال اهتماماته؛ ليصبّ جلّ انشغالاته على "التخاطب الشخصي"²؛ حيث عمد إلى الحوار الهادف "الجدل"³ والمتوجه نحو المعرفة التي تتحدد في أربعة أنواع هي "الأول الإحساس وهو إدراك عوارض الأجسام أو أشباحها في البقطة وصورها في المنام، الثاني الظن وهو الحكم على المحسوسات بما هي كذلك. والثالث الاستدلال وهو علم الماهيات الرياضية المتحققة في المحسوسات، والرابع هو التعقل وهو إدراك الماهيات المجردة من كلّ مادة"⁴، وهو الانتقال من الجزء إلى الكلّ أو من المحسوس إلى المجرد ويمكن توضيح ذلك عبر مخطط تواصلي:



مفهومي القضية ونقيض القضية". ينظر: بوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، عالم المعرفة، 1992، العدد 165، ص 29.**

¹ ينظر كلّ من: إيريك بوبنس، **السيمولوجيا والتواصل، ص 3.** وأحمد يوسف، **السيمائيات الوصفة، ص 66.**

² رولان بارث، **قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، ص 18.**

³ بعدّ الجدل في نظر أفلاطون علم يقابل ما نسميه حالياً بنظرية المعرفة؛ فهو بذلك يشمل على المنطق والميتافيزيقيا معاً. ينظر: يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 84.**

⁴ يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 85.**

لا يتوقف الأمر على التواصل اللغوي؛ إنما يتعداه إلى التواصل غير اللغوي؛ حيث أنّ الإيماءات وبعض الفنون الجميلة تعدّ من أساليب التواصل والتعلم وحتى الإثارة. كما يرى أنّ الدليل اللغوي ثلاثي الأطراف يقول: "أي أنّ الدليل اللغوي بحكم طابعه الرمزي يتضمن بالضرورة إحالة ذات طبيعة ثلاثية: إحالة إلى مثال مجرد ذي طبيعة مطلقة وإحالة إلى الواقع، وإحالة إلى تصوّر أو وجهة نظر، كما أنّ أيّ قراءة إما تدعي أنّها تقرأ المطلق وتعبّر عنه أو... تتطابق مع التجربة والوقائع والموجودات أو نكتفي بالاعتراف بأنّها تعبّر فقط عن وجهة نظر واحدة ممكنة¹؛ أي إنّ الدليل اللغوي كان ثلاثياً يتكون من المثال والواقع والمرجع. لكن تبقى هذه العناصر مرتبطة دائماً بما يعرف بالقراءة والعملية التأويلية؛ أي إنّ هذه الأخيرة قد تكون مطلقة أو واقعية أو أنّها تحيل إلى تصور معين عن وجهة نظر معينة.

الرواقيون (Stoïciens) ظهر هؤلاء في القرن الثالث قبل الميلاد بعد أرسطو بقرن من الزمان، ليقدّموا أموراً جديدة في الفلسفة اليونانية وأهم تلك النقاط ظهور مصطلح العلامة عندهم من جهة، وقالوا بأنّ العلامة لها وجهان دال ومدلول من جهة أخرى²؛ ليؤكد أمبرتو إيكو هذا الشيء حين قال إنّ الأمازيغ هم السّباقون إلى اكتشاف الفرق بين الدال والمدلول انطلاقاً من التجربة اللغوية التي عاشها هؤلاء، والتي لم يعيشها اليونان أنفسهم، وذلك راجع لا محالة إلى التطورات التي عاشوها في الحياة، فالأصل هؤلاء من الكنعان، فنزحوا إلى شمال إفريقيا ثم انتقل البعض منهم إلى أثينا. تكمن هذه التجربة في الازدواج اللغوي من خلال ثلاث

¹ فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر/ لبنان: 2010، ص 182.

² جوزيف كورتيس وآخرون، السيميائية قواعدها وأصولها، تر: رشيد بن مالك، مراجعة: عز الدين المناصرة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر: 2002، ص 26. لقد قدّم هؤلاء تصوّراً ناصحاً عن العلامة والذي ما يزال يحتفظ بقيمته إلى الوقت الحالي، كما أنّه كان ثلاثياً يتضمن كلّ من التعبير أو الجانب المادي من العلامة، والمحتوى أو ما يعبر عنه، وله شكل غير ملموس، والمرجع أو الشيء الذي تحيل إليه العلامة وله شكل ملموس. ينظر: إيريك بويسنس، السيميولوجيا والتواصل، ص 4.

..... السيميائية بين إرغافات الوجود وواقع الامتداد

لغات هي: الكنعانية البونيقية، والأمازيغية، واليونانية، وكذا الازدواج الثقافي والحضاري¹؛ لذا نجد أنّ مفهوم العلامة عند هؤلاء قد تجسد انطلاقاً من علاقة الكلمات والأشياء التي تعنيها بالعالم الخارجي؛ أي إنّ هؤلاء قد ميزوا بين ثلاثة عناصر في وجود كلّ علامة: "فالعلامة تجمع بين ثلاثة عناصر: مضمون العلامة، العلامة، وما هو موجود فعلياً... وميّزوا بعد ذلك بين العناصر النفسية وغير النفسية. فالصوت والشيء محسوسان، أما مضمون العلامة، وهو ما يتطابق مع المدلول السوسيري، فنفسى لأنّه صورة مجردة عن الشيء"²؛ إذا للعلامة أبعاد ثلاثة: العلامة أو الشيء الذي تحيل عليه، ومضمون هذا الشيء، وما يحيل عليه في العالم الخارجي. كما أنّ " المنطق جزء لا يتجزأ من الفلسفة وتتمثل وظيفته في البحث عن العلل التي تتسجم بها الطبيعة بدل الوقوف على قوانينها فقط"³؛ لذا كان لديهم الاستدلال أساس التفكير المنطقي، ومن هؤلاء استمد شارل سندررس بورس مبدأ الاستدلال في التفكير حيث صاغه بعيداً عن التجريد كما فعل تماماً الرواقيون.

يتواصل الاهتمام بالعلامات؛ حيث نجد في أوروبا وبالتحديد في القرون الوسطى القديس الجزائري سانت أوغسطين "الذي اهتم بآليات المعنى في العلامات اللغوية"⁴. كما أنّ السيميائيين عندما جعلوا منهج عملهم قائماً على الإحالة والتأويل من دال إلى مدلول كان قد سبقهم بقرون القديس أوغسطين؛ حيث "يرتكز مفهوم أوغسطين للعلامة على "الكلمة" أو على الأصح إنّّه يتجه نحو الاسم، ويتوزع على علاقته علامة/مفهوم، وحتى يشتغل الشيء بوصفه علامة ينبغي للمؤول أن يدرك بأنّه علامة"⁵؛ أي إنّ تفسير شيء في الوجود وإن كان دالاً

¹ جوزيف كورتيس وآخرون، السيميائية قواعدها وأصولها، ص 27.

² سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، ص 14.

³ أحمد يوسف، السيميائيات الواسفة، منشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، ط 1، الجزائر/ المغرب/ لبنان: 2005، ص 123.

⁴ عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب، ص 29.

⁵ أحمد يوسف، السيميائيات الواسفة، ص 25.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

بذاته على مفهوم، فإنه بالضرورة يستدعي الفكر لمفاهيم أخرى منبثقة عنه. كما نجده يقدم حداثاً للعلامة في علم الجدل، "فما أسماء بالكلمة verbum هو بمعنى الدال والصوت يقابل من جهة [dictio] هو مجموعة مكونة من الكلمة علامة وما يحدث في ذهن بوصفه أثراً للكلمة و[dictible] وهو ما يدركه ذهن في الكلمة، أي [المفهوم]، فالشيء لا يصبح علامة ما لم يُحَلَّ على شيء آخر"¹. إذا لا يمكن أن تكون العلامة علامة حسب أوغسطين إلا إذا كانت تُحِلَّ على شيء آخر، فالإحالة والتأويل هما ما يؤكد أن الشيء عبارة عن علامة. كما أن أوغسطين لم يتوقف عند التأويل؛ إنما ربطه بالتواصل وذلك انطلاقاً من تحفصه وتفسيره للنصوص المقدسة، فنظر إلى العلامة من وجهة علاقة الله بالعباد والوسيط الذي بينهما ألا وهو النص المقدس؛ لذا انطلق في تشكيل نظرية حول التأويل النصي ليؤكد فيها "إطار الاتصال والتواصل والتوصيل عند معالجته لموضوع العلامة"². إلى جانب هذا صنف أوغسطين العلامات اللسانية وغير اللسانية؛ حيث أعطى "الامتياز للعلامات المحمولة في الكلمات لكونها قادرة على تمثيل العلامات البصرية والسمعية وغيرها نظراً لتوفر الكلام على القدرة المنطقية والطاقة الحجاجية، وإن تعددت الألسن لدى البشر فالقواعد واحدة في كل اللغات من حيث جوهرها"³؛ إذ كانت الجهود الأوغسطينية هي التي منحت الأرضية التي انطلق منها دي سوسير في تفضيل اللسان عن باقي الأدوات التواصلية الأخرى.

أما الفيلسوف الألماني ليبنتز، فقد خطاً خطأً مدروسة نحو الرمز ففي كتابه "فن التركيب" (De Arte Combinatoria) رسم مشروعاً ضخماً لتأسيس المنطق الرمزي الحديث. لقد سعى ليبنتز لتوحيد النوع الإنساني من خلال توحيد جميع فروع المعرفة، وهذا الأمر جعله مقتنعاً بضرورة وجود لغة كونية (رياضياتية)؛ يمكن أن يستعملها الجميع، تخضع لكتابة نمطية (lingua characteristicam) تتشكل من عدد قليل من العلامات، وتكون قادرة على تعيين جميع

¹ أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص 25.

² جوزيف كورتيس وآخرون، السيميائية قواعدها وأصولها، ص 22.

³ أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص 26.

..... السيميائية بين إرغافات الوجود وواقع الامتداد

المفاهيم والتصورات والأفكار الممكنة¹.

لقد اختفى مصطلح السيميائية منذ اليونان ليعود إلى الظهور في القرن السابع عشر مع الفيلسوف الإنجليزي جون لوك، تناول لوك موضوع اللّغة في كتابه " مقال في الفهم البشري" حيث "صاغ تصورات أسمائية (Nominalisme) ترى أننا لا نصل إلى الماهية الحقيقية أو الطبيعية القصوى للأشياء، وبالتالي فإننا نعطي لهذه الأشياء "ماهية اسمية" اعتمادا على بعض خصائصها فقط. فمن الواضح أنّ لوك كان قد أشرع باباً واسعاً للسيميائية"²؛ إذا فقد استخدم لوك المصطلح ليعني به العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتهما، ويكمن هدف هذا العلم في الاهتمام بطبيعة الدلائل التي يستعملها العقل بغية فهم الأشياء ونقل معرفته إلى الآخرين.

وفي القرن الثامن عشر ظهرت الموسوعة والموسوعيين مثل أعمال: فيكو، وديدرو، وكوندياك، ولايبنتيز الذي اعتبر سيميولوجيته في علاقة بكلّ أجزاء النّسق ومنها المقत्ضيات الفلسفية والوجودية والابستمولوجية لنظرة الدلائل؛ فقد تأثر هؤلاء كثيرا بفلسفة ديكرارت ومالمبراش، مما جعل جون لوك يعتقد بأنّ الفكر مثل اللّغة يتصف بالاعتباطية، وقد كانت له قصبات السّبق في ميلاد السيميائية تصوراً ومصطلحاً. ليأتي في القرن الثامن عشر دائماً "كانط" متوسطاً مبدئين مختلفين أولهما المثالية لبركلي والتجريبية مع هيوم؛ سعياً منه - كانط - للتخفيف من المغالاة التي ذهب فيها كلّ من بركلي وهيوم.

هكذا تواصل الاهتمام بالعلامة اللّغوية وغير اللّغوية مع مختلف المنطلقات والإيديولوجيات والمذاهب المختلفة إلى أن جاء فردينان دي سوسير الذي بنى نظرية لغوية ناضجة، فقد أحدث القطيعة على الدراسات التّطورية (Synchronique) ليعتمد في دراساته على الآنية (Diachronique) أكثر؛ أي دراسة حالة لسان ما. لكن لم ينطلق دي سوسير في بناء نظريته

¹ عبد الواحد المرابط، السيميائية العامة وسيميائية الأدب، ص 30.

² عبد الواحد المرابط، السيميائية العامة وسيميائية الأدب، ص 30.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

من العدم؛ لأنه لا يوجد علم أو صناعة جاءت من العدم، فقد أقرّ وأكدّ مازن الوعر أنه لا توجد نتيجة دون مقدمة تسبقها، هذا في قوله: "لا يوجد لاحق دون سابق"¹؛ والدليل على ذلك هو أنّ سوسير انطلق من أفكار ومعطيات كانت موجودة عمل على بلورتها؛ حيث يخبرنا دانيال تشاندلر بأنّ رومان جاكبسون قد أشار إلى أنّ الرواقيين سبقوا دي سوسير إلى التمييز بين الدال والمدلول². لكن على عكس هؤلاء الذين سبقوه كانت دراسة اللسان عنده علمية وأكثر شمولية؛ إذ تعتبر اللغة أداة تبليغ وتواصل وهي ظاهرة اجتماعية³، وهي بذلك ليست فردية؛ أي إنها غير مرتبطة بالفرد كفرد إنما هي مجموعة من الأدلة تتواضع عليها الجماعة اللغوية⁴، ليعتبر دي سوسير اللسان بذلك "نظاماً من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار. وهي في هذا شبيهة بالكتابة وبألفبائية الصم والبكم وبالطقوس الرمزية وصور آداب السلوك وبالإشارات الحربية وغيرها، إلا أنّ اللغة أهم هذه الأنظمة جميعاً"⁵؛ لذا انطلق دي سوسير في بناء نظريته اللغوية هذه من تمييزه بين مصطلحات ثلاثة أكدّ ضرورة الفصل والنظر فيها، وهي اللسان (Langue) واللغة (Langage) والكلام (Parole)، وبناءً عليه كانت إحدى ثنائياته (اللسان/الكلام) ليقول عنهما: "[اللسان] مجموعة من المواضع يتبناها الكيان الاجتماعي، ويمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة؛ إذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي، منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي وإلى ما هو جماعي. ولا يتسنى لنا ترتيبه ضمن أي

¹ مازن الوعر، صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، دمشق، ع 48، 1992، ص 10.

² دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: 2008، ص ص 79-78. مع العلم أنّ إيكو (U. Eco) رأى أنّهم فعلوا ذلك ضمن نموذج ثلاثي وليس نموذج ثنائي كما فعل دي

سوسير. ينظر: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص 79.

³ André Martent, élément de linguistique générale, Armand colin, 4éd, 2 tirages, p8.

⁴ جون لويس كافي، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصة، دط، ص 78.

⁵ فردينان دي سوسير، دروس في الأسس العامة، ص 37.

..... السيمائية بين إرغافات الوجود وواقع الامتداد

قسم من أقسام الظواهر البشرية لأننا لا نستطيع أن نستخرج وحداته¹؛ أي الكلام هو أداء فعليّ للغة تكون التأدية فردية شخصية للسان الذي يتميز بتأثير نفسي اجتماعي. إذن اللسان هو الرصيد اللغوي الذي يكون في ذهن الأشخاص الذين ينتمون إلى جماعة لغوية واحدة؛ أي إن هذا يتمّ بفعل مباشرتهم للكلام؛ إذ يعتبر وجوده وجوداً تقديرياً في أذهان الأشخاص الذين ينتمون إلى جماعة لغوية واحدة، فغياب هذه الأخيرة يؤدي بالضرورة إلى عدم حدوث الكلام. فكان اللسان موضوع دراسته؛ يؤكد هذا الأمر في قوله: "وواقع الأمر أن الوحدات المادية متى انتظمت على نسق معين هي التي تُحدث وحدها تلك القيمة. ويتعذر على المرء أن يعمل فكره

¹ دي سوسير، *دروس في الأسس العامة*، ص 29. لنصل إلى القول إن هذه المصطلحات (اللسان/ اللغة/ الكلام) تحكم بينها علاقتا التباين والاختلاف، وهما مصطلحان يحملان دلالة واضحة هي الاختلاف؛ أي من الخطأ إطلاق مصطلح مكان آخر، مما يعني أن اللسان (Langue) ليس المصطلح نفسه اللغة (Language) على سبيل المثال، هذا ما يقصد به التباين والاختلاف، وهذا لكون اللسان نجده لدى الجماعة اللغوية بينما اللغة تمارس في هذه الجماعة بمعنى أن اللسان اشتراك جماعي في حين اللغة ممارسة فردية بتطبيق فكرة العدول (الانزياح)؛ إلى جانب هذا يؤكد سوسير أن اللسان شكل وليس مادة يقول ماري نوال غاري بريور: "اللسان يدرك بوصفه ترتيبية من البنى الشكلية التي تربط بين جوهر الأصوات وجوهر الأفكار ذلك في التمييز بين الشكل وجوهر المادة"، وبما أن اللسان مشترك لدى الجماعة اللغوية فهو بذلك بمثابة صورة (Forme) وليس مادة (Substance). ينظر: ماري نوال غاري بريور، *المصطلحات المفاتيح في اللسانيات*، تر: عبد القادر فهم الشيباني، ط1، الجزائر: 2007، ص 100. كما أن اللسان له طابع موضوعي لأنه ذهني محض، فهو مخزون الأفكار الموجودة على مستوى الذهن بينما اللغة ذاتية تحتاج إلى اللسان والكلام كي تتجسد بفعل أن الكلام هو التأدية الفردية للغة في إطار الجماعة اللغوية الواحدة؛ إذ لا تتم في ظل غياب أحدهما إضافة إلى كون التأثير النفسي يساعد هذه العملية وهو ما يعرف بالرابطة النفسية؛ أي الإنسان عند استعماله للغة لا يمكن البتة إقصاء الجانب النفسي منه، هو جانب مهم لإتمام عملية الكلام والتواصل. كما يرى أحمد مومن أنه من الضروري التفريق بين اللسان والكلام، وذلك لتداخل المصطلحات والمفاهيم التي جاء بها دي سوسير، "وقد أدت هذه النظرة السوسيرية بالمدارس اللسانية الأوروبية إلى تجاهل أو عدم التركيز ليس على التركيب فحسب بل على العلاقات الأفقية الترابطية أيضاً. وهكذا فإن التمييز بين [اللسان] والكلام له أهمية كبيرة في اللسانيات". أحمد مومن، *اللسانيات النشأة والتطور*، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر: 2002، ص 125.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

في حالة من حالات التركيبية إن هو لم يعتمد في ذلك على جملة من العناصر الملموسة. وفي الحقيقة فإنّ مجرد كوننا نفهم مركبا لغويا ما دليل على أنّ تلك العناصر المتتالية إنّما هي الصيغة المناسبة للتعبير عن الفكرة المقصودة¹؛ لذا أخذ العلم تسميته من موضوع الدراسة نفسها؛ يعني Linguistique بإضافة اللاحقة العلمية "tique" ليكون مصطلح "اللّسانيّات" مقابلاً عربياً له؛ أي اللّسان زائد اللاحقة العلمية "ات" حسب عبد الرحمان الحاج صالح على شاكلة "الصوتيات" و"الرياضيات". أي عرفها سوسير بأنّ: "اللّسانيّات تدرس اللّسان لذاته ومن أجل ذاته"²، ومن هنا ذهب إلى رفض وإقصاء الكلام من مجال عمله للضرورة؛ فهو نظر إلى العلامة اللّغوية دون العلامات الأخرى، فقد عرف العلامة على أنّها كيان نفسي مكون من وجهين الدال (Signifié) والمدلول؛ فالأول هو الصورة السمعية (image acoustique) والثاني هو الصورة الذهنية؛ أي المفهوم (Signifiant)، مستبعداً في ذلك المرجع أي الشيء الذي يحيل عليه في الواقع أو العالم الخارجي. لكن استبعاده للمرجع ليس من حيث إنّ لا يعرفه، فقد اعترف بوجوده. إنّما ليس له مكان في تحديده للعلامة مبرراً هذا التخلي والاستغناء أنّ العلامة لا تربط البتة بين الشيء والاسم ولكنها تربط بين الصورة السمعية والصورة الذهنية، كما أنّ الصورة السمعية لا تعدّ متوالية صوتية في العالم الخارجي؛ إنّما هي عبارة عن الأثر النفسي لها³. فحسبه، إدخال عنصر الكلام في نظريته يخرجها من دائرة الخاص إلى العام؛ أي يدخل عاملي الإبداع والتأويل، وهو يرفض الأمر. لكن لم يقل إنّ وجوده في علم آخر خطأ؛ إنّما دراسة الكلام ممكنة خارج دائرة اللّسانيّات؛ إذ لم يهمل دراسة الكلام إلّا لأنّه تتعدد صور تأديته. كما أكّد ضرورة وجود علم يهتم بالكلام ويكون هذا الأخير موضوعاً له، وهذا ما نستشفه من قول سوسير: "من الممكن أن نتصور علما يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة

¹ دي سوسير، دروس في الأسنسية العامة، ص 208.

² أحمد مومن، اللّسانيّات النشأة والتطور، ص 122. كما نجد أندري مارتنتي يعرفها بقوله: "اللّسانيّات دراسة علمية للسان البشري". ينظر: André Martent, élément de linguistique générale, p1.

³ دي سوسير، دروس في الأسنسية العامة، ص 110.

..... السيميائية بين إرغاصات الوجود وواقع الامتداد

الاجتماعية، وقد يكون قسماً من علم النفس العام. ونقترح تسميته "Sémiologie"؛ أي علم الدلائل، وهي كلمة مشتقة من اليونانية "Séméion" بمعنى دليل. ولعله سيمكنا من أن نعرف ممّ تتكون الدلائل والقوانين التي تسيرها. ولما كان هذا العلم غير موجود بعد، فإنه لا يمكن أن نتنبأ بما سيكون، ولكن، يحق له أن يوجد، ومكانه محدد سلفاً¹؛ إذاً سوسير بهذا قد تنبأ بظهور علم عام يدرس حياة العلامات لغوية كانت أو غير لغوية ومكان هذا العلم محدد سلفاً. لكن مع هذا أقرّ سوسير بأنّ هذا العلم الذي لم يظهر بعد في نظره؛ أي السيميولوجيا باصطلاحه هو علم عام تتدرج تحته اللسانيات كفرع ليس إلا في قوله: "وليست الألسنية سوى قسم من هذا العلم العام والقوانين التي سيكشف عنها علم الدلائل سيكون تطبيقها على الألسنية ممكناً، وستجد الألسنية نفسها ملحقة بميدان محدد المعالم مضبوط ضمن مجموع الظواهر البشرية"؛ وهذا باعتبار العلامة، فدي سوسير في دراساته اللسانية اهتم بالعلامة اللغوية، فحسب، على حين السيميائية علم عام للعلامات، فهو لا يستثني من مجال اهتماماته العلامات غير اللغوية؛ من هنا اعتبر سوسير أنّ اللسانيات الجزء والسيميائيات الكل، ليأتي رولان بارث برأي مناقض تماماً لدي سوسير معتبراً أنّ اللسان أهم هذه العناصر التواصلية والتبليغية؛ وهو في ذلك يتفق مع دي سوسير لكن يكمن محلّ الخلاف في أن تكون اللسانيات جزء من السيميائيات لأنّ العلامة اللغوية تحتاج إلى اللغة التي تعمل على تفسيرها وتحديدتها حيث "إنّ كلّ نظام دلائلي يمتزج باللغة"² فلا تعبّر العلامة غير اللغوية عن نفسها إلا باللغة؛ لذا يقرّ ويؤكد أنّه "ليست اللسانيات جزءاً، ولو مفضلاً، من علم الأدلة العام. ولكنّ الجزء هو علم الأدلة، باعتبارها، فرعاً من اللسانيات"³. يهمننا من كلّ هذا أنّ العلامة مهمة في حياة الفرد؛ لذا يستوجب دراستها وتحليلها والعمل على وضعها في مقاييسها العلمية والثقافية والتواصلية، وهي كانت تسير جنباً إلى جنب مع الإنسان وتخطو معه خطوات ثابتة ومتحركة في الآن

¹ دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 37.

² Roland Barthes, élément de sémiologie, IN Communication N°4, le seuil paris 1966, p28.

³ Roland Barthes, élément de sémiologie, p 91 -134.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

نفسه، فهي أداة تواصلية؛ لذا هي ثابتة، كما أنها متطورة تمسّ جوانب متعددة في حياة الفرد من التكنولوجيا (الحاسوب بمصطلح عبد الرحمان الحاج صالح، والجوّل، والتلفزة، والسينما...)؛ لذا هي متحركة بالضرورة مع مستجدات العصر الذي تتوقف عنده.

إنّ العلم الذي ظنّ فردينان دي سوسير لم يولد بعد وهو Sémiologie باصطلاحه، كان شارل سندررس بورس في الوجه الآخر من الكرة الأرضية يعمل على بناء نظرية علمية تدرس حياة العلامات لغوية كانت أو غير لغوية، في البرهنة الزمنية نفسها تقريباً، تحت تسمية Sémiotique يقول فرنسوا بيرالدي إن: "بورس قد أحدث مثلاً فريداً، في سجل آخر، لكن في [البرهنة الزمنية نفسها] تقريباً، نظرية قادرة على إجراء قطيعة معرفية حقيقية في سيرورة تكون علم حقيقي للأدلة، يمكن أن نسميه - ولم لا - بالسيميوطيقا"¹. إذا ظهرت وأُسست السيميائية على يدي كلّ من اللغوي السويسري فردينان دي سوسير والفيلسوف المنطقي الأمريكي شارل سندررس بورس هذا حسب بعض العلماء والدارسين؛ الذين ذهبوا إلى أنّ الفرق بين سيميولوجية سوسير وسيميوطيقا بورس تتمثل في نقاط محددة أهمها العلامة التي نجدها عند سوسير ثنائية ذات علاقة لغوية لا أكثر إضافة إلى أنّ العلاقة بين طرفي العلامة (الدال والمدلول) تكون اعتباطية؛ لذا فمجال العلامة السوسيرية محدد وضيق لأنّه يستثني كلّ من الرمز والإشارة... كما أضاف في حديثه عن العلم الجديد بأنّه جزء من علم النفس العام في حين ذهب بورس إلى أنّ العلامة لا تكون إلاّ ثلاثية لأنّه لم يُقَصِّص من العلامة العالم الخارجي إنّما رأى ضرورة وجوده في بناء العلامة عموماً (لغوية وغير لغوية)؛ فكان توجهه هذا مبنياً على أسس رياضية، وكلّ جزء من أجزاء العلامة يتفرع بالضرورة إلى ثلاثية أكيدة. لذا فمفهوم العلامة لدى بورس متسع ليشمل كلّ أنواع العلامات، فهي بذلك تعتبر جزءاً من علم المنطق. لكن إنّ تتريث قليلاً ونمعن النظر نجد أنّ سوسير تتبأ لا أكثر بظهور هذا العلم. أما أن نقول أنّه أسس لهذا العلم وحدد معالمه، فهذا لا يمت بصلة إلى الحقيقة اليقينية إنّما

¹ رولان بارث، مبادئ في علم الأدلة، تع: محمد البكري، دط، الدار العربية: 1986، ص ص 15-16.

..... السيمائية بين إرغاصات الوجود وواقع الامتداد

جاءت أعمال تلامذته فيما بعد إلى إمعان النظر في أفكاره والعمل على بلورتها من أمثال إيريك بويسنس، وجون لويس بريوتو، وأندري مارنتيه، وجورج مونان. فَمَعَ أنَّ أراء بورس على حدة غير كافية لبناء تصور كامل ونظرية ناضجة إلا بفعل أتباعه وتلامذته الذين ساندوا تلك الأفكار وعملوا على بلورتها فإنَّ أفكار بورس كانت سابقة وأنضج، وكذلك أوسع من تلك التنبؤات التي تنبأ بها سوسير. يقول محمد السرغيني: "[بورس]... لم ينشر له من الكتب وهو حي غير كتابين، أحدهما في علم التنجيم، والآخر عن المنطق، وربما لهذا السبب بقي رأيه في العلامة مجهولا رغم خصوبته ودقته بالقياس إلى رأي سوسير عنها. وفي أمريكا المعاصرة، أخذ [بورس] يسترد اعتباره في السيميوطيقا خاصة"¹؛ لذا فالمؤسس الحقيقي للسيميوطيقا هو شارل سندررس بورس.

إذا سلّمنا بأنَّ السيميائيات علم يدرس العلامات وأنَّ الإنسان علامة وكلّ ما يحيط به عبارة عن علامة حسب بورس؛ فإنّنا نصل إلى القول إنَّ السيميائيات حقل معرفي نقدي معاصر واسع الاطلاع؛ حيث لم يكتف بالنظر في الإشارات أو العلامات اللغوية بل تجاوزتها إلى نطاق واسع، فبعد ما كان الدليل عند دي سوسير ثنائياً، أصبح مع شارل سندررس بورس والذين جاؤوا بعده ثلاثياً؛ لكون هؤلاء لم يُقْصُوا المرجع (بارث) أو المؤول (بورس) من مجال اهتمامهم. لكن لا يمكن إنكار أنَّ السيميائيات اتكأت على اللسانيات خاصة البنوية² في أعمالها، وذلك بتطويع تلك الإجراءات العلمية بما يتناسب مع السيميائيات من تلك الإجراءات

¹ محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، الدار البيضاء: 1987، ص 58. وينظر: إيريك بويسنس، السيميولوجيا والتواصل، تر: جواد بنيس، مجموعة البحث في البلاغة والأسلوبية، ط 1، 2005، ص ص 4-5.

² إنَّ دراسة المدلول والعملية التأويلية استدعت التحلي عن النموذج البنوي أو على الأقلّ تعديله حسب ما يتطلب في الدراسة الدلالية والتداولية وكذا السيميائية. ينظر: أمبرتو إيكو، العلامة - تحليل المفهوم وتاريخه-، ص 151/بتصرف/.

التي استعارتها السيميائية من البنوية¹.

ونحاول فيما يلي تعرّف نموذج من المنحى الدلالي وحدود العلامة السيميائية لدى ابن سينا في ثرائنا العربي الإسلامي.

لقد فتح ابن سينا الباب لعلماء كثر من بينهم ابن خلدون وغيره من أجل تصور مبادئ مهمة في السيميائية؛ لذا لابد من تحديد ماهية العلامة؟ وأنواعها؟ والعمل على ترجمة فكر ابن

¹ قام البنيويون في دراستهم للغة بالتركيز على ذلك الكم من العبارات التي تُطرح لدى الفرد وما عليه إلا اختيار ما يحتاجه؛ وذلك في ظل ما يعرف بالمدونة (Courps)؛ حيث اعتمد البنيويون على هذه الأخيرة كغرض واحد ووحيد لوصف اللّغة، ولم يعيروا أي اهتمام للنشاط الإبداعي عند المتكلم. والبنية حقيقة في منظور دي سوسير عبّر عنها بمصطلح "Système" ومقابلته العربي هو "النظام" وهي الترجمة الحرفية في حين نجد هذا الأخير لدى بعض اللّغويين بمصطلح نسق، وهي ترجمة المعنى (في حين لم يستعمل سوسير مصطلح بنية إلا ثلاث مرات، ولم يقصد مفهومها العلمي الحالي). إذن مصطلح البنوية بإضافة الباء الصناعية عند نحاة العرب أو النزعة العلمية لدى عبد الملك مرتاض "يّة" الدالة على المذهبية، وعبّر اللّغويون العرب على مصطلح (Structuralisme) بعدّة مصطلحات يختلف بناؤها من لغوي لآخر. فعبده الراجحي يستعمل مصطلح البنوية، في حين منذر عياشي (تونس) يصطلح عليه بـ "المنظوماتية". أما أحمد عوض (موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب) وعز الدين مجدوب (المنوال النحوي) يطلقان عليه مصطلح "النظامية" إلى جانب هذا المصطلح يستخدم أحمد عوض مصطلح "البنائية" للدلالة على المصطلح نفسه، وذلك في قول هنري روبنز: "لكن لأكثر آثار نظرية دي سوسير البنائية للغة المباشرة، ومن أهمها من الناحية التاريخية كان في ميدان الفلجيا". (روبن هنري روبنز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ص). لكن نجد عبد الرحمان الحاج صالح يفضل مصطلح البنوية على البنيوية ذلك نسبة إلى "بنية"، ويحدد ذلك في تعريف ابن منظور: "البنية والبنية ما بنيته، وهو البنى والبنى... يقال بنية وهو مثل رشوة ورشاً كأنّ البنية الهيئة التي بُنيَ عليها المشية والركبة. والبنى بالضم مقصور، مثل البنى يقال: بُنية وبني، بنية وبني، بكسر الباء مقصور، مثل جزية وجزى. وفلان صحيح البنية أي الفطرة وأبنت الرجل أعطيته بناءً وما يبتنى به داره" (ابن منظور، لسان العرب، تح: علي النجار، ص 14)، ولقد صرّح الحاج صالح أنه في اعتماده لهذا المصطلح اتبع يونس بن حبيب حين قال في طبية: طبوي، وهو أخف من طببي. (عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دط، الجزائر: 2007، ص 62). ومن هنا فإنّ بنوي أخف من بنيوي.

..... السيمائية بين إرغافات الوجود وواقع الامتداد

سينا المتعلق بالعلامات ومعاني هذه العلامات بين اللغوية وغيرها التي تعمل على التواصل والصورة والقول برمزية الأشياء... من هنا وجب علينا الحديث عن علاقة اللفظ بالمعنى لدى ابن سينا؟ وكيف نظر إلى كليهما؟ والعمل على اكتشاف والتماس الدلالة بين اللفظ المفرد واللفظ المركب؟ ثم إن دلالة اللفظ على المعنى تقضي إلى إنتاج الدلالة أو الدلالات الحاصلة واللامتناهية في إطار التأويل ثم إن تحديد دلالة أو معنى على غيره من المعاني يحدد لنا طبيعة العلامة أو المعنى بوجه عام، ها هنا يضعنا ابن سينا أمام الممكن وواجب الإمكان والممتنع؛ لذا فالتأويل كان حاضرا في عمل ابن سينا خاصة ما تعلق بقضية إنتاج الدلالة.

أولاً: عناصر الدلالة

إن فكرة الثنائية والثلاثية جعلت الدلالة تحذو منحنيين هما السيميولوجيا والسيمائية؛ لكن يبقى أساس هذه المعطيات هو (الدال والمدلول)، فهي ثنائية تعتمد إلى ربط اللفظ بالمعنى الذي يدل عليه، ففي حين الأول يتم على مستوى الشكل فإن الثاني عبارة عن صورة ذهنية له. لكن المشكلة هي: هل هذا التعبير يكون مجردا عن عالم الحس الذي تظهر فيه الموجودات أم أنه ضروري الوجود لتحديد المعاني الدلالية؟ لذا يكمن الفرق الجوهرى بين الثنائية والثلاثية في العالم الخارجى؛ فهو جوهر العلامة حسب السيميائيين؛ لذا هل أبعد ابن سينا هذا الجوهر من أعماله العلاماتية خاصة أثناء حديثه عن أعماله الرياضية والطبية؟ هذا ما سنحاول إظهاره في هذا القسم الذي يجمع بين النظري والتطبيقي ليسهل علينا عملية تجميع الآراء المتناثرة هنا وهناك في مؤلفات ابن سينا.

1.1 ملامح الدلالة عند ابن سينا

إن قضية (اللفظ والمعنى) باصطلاح العرب و(الدال والمدلول) باصطلاح الغرب قديمة وضاربة في أغوار تاريخ الفكر الإنسانى الذي يحمل في طياته آراء مختلفة حول هذه المعطيات اللغوية والفكرية، التي اتخذها المفكرون والعلماء الحاليون نقطة انطلاق من أجل الوصول إلى حقائق كانت موجودة لكن لم تؤسس على مبادئ العلوم الصحيحة أو العلوم

التجريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المضبوطة؛* فهي إذا كما يقول المسدي إن "مقولة التراث تستند عند المفكرين العرب إلى مبدأ ثقافي منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز، وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"¹ فالمسدي يقر حقيقة مفادها أن العلم لا يأتي من العدم؛ إنما لابد من إرغاصات وبواعث سابقة يعمل العقل الإنساني الحديث والمعاصر على تطويع هذه المعطيات مع ما يوجد في الوقت الراهن من ممكن وواجب الإمكان وممتنع (باصطلاح ابن سينا)؛ إذن هنا استناداً إلى صحة هذا القول يمكن أن نقول إن الغرب لا يختلف عن العرب في قضية بعث التراث الفكري؛** إنما مكن الاختلاف هو مدى استيعاب العقل العربي والغربي لهذا الموروث، وكيفية استخدامه من أجل إيجاد الجديد وخلقه حسب مبادئ نظرية صلبة تسمح أن توضع في إطار التنظير والتجريب مثلها مثل أي علم من العلوم الموجودة، وفي الحديث عن هذه الاختلاف يقول عبد العزيز حمودة: "... وإذا أخذنا الفارق الزمني بين القرن الثالث أو حتى السابع الهجري من ناحية وبين القرن العشرين الميلادي، يمكن لنا أن نقول، دون مغالطة أو ادعاء فضل لا وجود له، إنه لو استمر العقل العربي في مساره لكان قد استطاع تطوير نظرية لغوية أكثر علمية وأكثر تركيبية من أي نظريات لغوية بلاغية قدمها القرن العشرون في أوروبا أو أمريكا. ولو أن العقل العربي في بداية عصر النهضة في أوائل القرن العشرين كما فعل العقل الغربي في عصر نهضته، أن

* لقد وضع تمام حسان مبادئ تضبط العلم، ومن خلالها يمكن معرفة إن كان علم من العلوم مضبوطاً؛ أي يمتاز بالعلمية، المتمثلة في الموضوعية (الاستقراء الناقص وتجريب النتائج)، والشمولية (التصنيف وعدم التناقض)، التماسك (الحقيقة وتحديد المصطلحات)، وكعنصر مهم في علمية أي علم من العلوم وهو الاقتصاد (تجريب الثوابت والتفكير)؛ أي وضع قواعد يرسى عليها العلم.

¹ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2، 1986، ص 12.

** والدليل على أن الغرب ينطلقون مثل العرب من خلفيات فكرية موجودة في التراث من أجل بعث نظرية جديدة أو رؤية معينة؛ نجد بورس حين صاغ نظريته السيميائية بناء على ما جاء به علم المنطق من مبادئ وتأثره المباشر بكل من أرسطو وكانط في قوله: "إن قائمتي نجمت أساساً عن استقصاء لائحة كانط" (عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، ص 47).

..... السيمائية بين إرغاصات الوجود وواقع الامتداد

ينخطى عصور الظلام والانحلال وبعيد الاتصال مع عصره الذهبي، كما حدث مع إنجازات الحضارة اليونانية، لكان العقل العربي قد نجح في تطوير مثل تلك النظرية اللغوية المتكاملة¹، كما يفتح لنا المسدي بقوله نافذة أخرى نطلع من خلالها على حقيقة أخرى وهي قضية المثاقفة الواردة منذ القدم بين الشعوب الأمر الذي سمح للعلوم أن تتقدم بفعل التأثير والتأثر الحاصل بين العرب والغرب، فبناء نظرية جديدة يتطلب منطلقات عقلية متينة، فالعمل على بناء نظرية تهدف إلى جمع التدلال والتواصل والرمزية... أمر يتطلب أن نعود إلى خلفيات فكرية تسمح بذلك.

إن الحديث عن اللفظ والمعنى في إطار التدليل يسمح لنا ببعث مصطلحات مرتبطة ارتباطاً عضوياً بهذه القضية منها السلامة اللغوية، الوضع والاستعمال، المستقيم والمحال، النظم... وهذا الأخير مصطلح مهم الدراسات اللغوية العربية، وأول واضح له هو الجاحظ² حين تحدث عن قضية اللفظ والمعنى في قوله: "... فمن الكلام الجزل والسّخيف والمليح والحسن والقبيح والسمح والخفيف والثّقل، وكلّ عربيّ، وبكلّ قد تكلموا... إلّا أنّي أزع سخيّف الألفاظ مشاكل لسخيّف المعاني، وقد يحتاج إلى السّخيّف في بعض المواضع، وربما أمتنع أكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشرّيف الكريم من المعاني"³. أنّ الكلام ينقسم إلى عدّة مستويات استعمال فيعبّر عن الفكرة باللفظ الذي يناسبها. لكن من تعمق في هذه القضية — اللفظ والمعنى — وصاغ نظرية انطلاقاً من الملاحظات التي شاهدها عند بني جيله ومن سبقه من اللّغويين هو عبد القاهر الجرجاني.

1.1.1 الدلالة بين اللفظ بالمعنى

لقد تحدث علماء اللّغة بصفة عامة عن قضية اللفظ والمعنى، وأسبقية أحدهما من الآخر،

¹ عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظرية عربية نقدية، عالم الفكر، دط، الكويت: 2001، ص 200.

² محمود أحمد نخلة، في البلاغة العربية علم المعاني، دار العلوم العربية، ط 1، لبنان: 1990، ص 19.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ص 149.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

لكون اللفظ يحدد المعنى من خلال رسم الشكل وتغيير الحركات يؤدي بالضرورة إلى تغير في المعنى؛ وتلك المعاني التي تتبادر إلى ذهن الإنسان وتختلج أعماقه في جانبيه الشعور واللاشعور يحتاج إلى ألفاظ تعبر عنها، وتكون الصورة الواضحة عند الطرف الذي يتلقى هذه المعاني، فهناك علاقة تزواج باصطلاح الطبيعيين وعلاقة تكامل وتلازم باصطلاح الرياضيين وعلاقة تضمن بمصطلح اللغويين... إذن لا غلو في القول إنَّ اللفظ دون معنى لا قيمة له، والمعنى دون لفظ يعبر عنه لا ضرورة له، يؤكد ابن سينا أنَّه توجد علاقة بين اللفظ والمعنى في قوله: "بين اللفظ والمعنى علاقة ما"،¹ فاستخدام "ما" يعني أنَّه لا يقصد العلاقة الحقيقية أو الطبيعية القائمة بين المعنى (المدلول) والعين (العالم الخارجي)؛ إنَّما يقصد أنَّ اللفظ والمعنى تجمعهما علاقة غير طبيعية، يواصل حديثه ليقول: "وربما أثرت أحوال في اللفظ في أحوال المعنى"،² أي إنَّ اللفظ يحدد المعنى؛ حيث تكون العلامة الإعرابية أو مميزات الحرف كفيلة بانتقال المعنى من كذا إلى كذا. وهذه القضية كانت محل اهتمام علماء اللُّغة قبل وبعد ابن سينا، مثل:

- عَمَرَ امرؤ القيس طويلاً.
- عُمَرُ بن الخطاب صحابي جليل

فالرسم الخارجي واحد عندما يكون مجرداً من الحركات لكن (عمر) الأولى دلالتها تحوي

¹ ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، القسم 1، ف 2، ص 131. كما أشار ابن الرشيقي إلى الترابط الضروري بين (اللفظ والمعنى) في قوله: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان ناقصاً للشعر وهجنة عليه، وكذلك إنَّ ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، فإنَّ اختل المعنى كلّه وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، وإن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى"(); أي أنَّ الكلام لا يستقيم إلَّا حين يجتمع اللفظ بالمعنى يقول محمد عبد المنعم خفاجي: "المعنى يستلزم اللفظ، واللفظ الدال على معناه لا يفهم وحده تجريباً، وإنَّما يستدعي غيره مما يشبه في الدلالة أو المعنى"().

² المرجع نفسه، ص ن.

..... السيمائية بين إرغاصات الوجود وواقع الامتداد

الزمن (فهو فعل ماضٍ)، أما الثَّانية فهي اسم علم (اسم مجرد من الزمن). كما أنَّ هذا القول يشير إلى قضية أخرى هي الأخطاء التي قد تسببها الألفاظ غير المناسبة لمعنى معين. إذن كلُّ لفظ يدل على معنى معين مثل "الكاتب"؛ فهي صفة يتصف بها الإنسان؛ لأنها ميزة إنسانية، أو كما جاء في مؤلفات المناطقة والفلاسفة منهم الشيخ الرئيس "الضاحك" أو "الناطق"، فهي إذن لها دلالة، فعلماء اللسان وواضع هذا العلم فردينان دي سوسير قد أشاروا إلى هذه القضية في الثنائيتين (اللَّغة والكلام)، و(المحور الاستبدالي والمحور التركيبي)، فالثاني متبن الصلة بالموضوع الذي نحن في صدد الحديث عنه ألا وهو النحْو، فالعلاقات الانتلافية،*** تجسد ذلك لأنها تنظر في علاقة وحدة من الوحدات بباقي الوحدات المشكلة للبنية اللغوية نفسها، ومثال ذلك: قدم المعلمُ الدرسَ، وهذا ما نجده عند العرب أيضاً في عملية التأثير والتأثر بين الوحدات اللغوية. فلا يمكن تغيير وحدة "المعلم" بـ "المعلمة" لأنَّ ذلك لا يوافق البناء اللغوي. والعلاقات الاستبدالية التي تعمل وفق نطاقين التغاير والتشابه ذلك أنَّه يمكن استبدال الوحدة اللغوية "قدم" بـ "حضر" و"صور" و"أنجز"، وعلاقة هذه الوحدات اللغوية والوحدة التي استخدمها هي التغاير الذي سيطراً حتماً على معنى الوحدات اللغوية في مجموعها، والثَّانية ألا وهي التشابه في استعمال "قدم" دون غيرها من الوحدات التي من أصل واحد مثل: قدَّمت/ قدَّموا/ قدَّما؛ لأنَّ السياق (المعنى) تدخل وأدَّى دوراً هاماً في تكوين اللَّغة،¹ (وكذلك اللَّغة العربية هنا لا تقبل إلا هذا الوضع). لكن لننصوِّر الآن كلمة "الإنسان" الذي يتصف بهذه الصفات جميعها، فلها معنى الإنسانية؛ أي الإنسان في ذاته، لكن هل يمكن أن تدل كلٌّ من "الإن" و"سان" كجزأين على المعنى الكلِّي للفظ؟ هذا ما لا يجوز حسب هؤلاء يقول ابن سينا: "كلُّ لفظ لا تريد أن تدل بجزء منه على جزء من معناه، فهو مفرد كقولك الإنسان، فإنَّك

*** الانتلافية مصطلح محمد محمد يونس علي ترجمة لما أطلق عليه دي سوسير associatif الذي ترجمه القرماضي بالعلاقات الترابطية.

¹ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 32.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

لا تدل بأجزائه فيه على شيء¹؛ أي أنّ "الإن" و"سان" لا دلالة لهما في ذاتهما، ولا تدل أبداً على المعنى الكلّي لكلمة "الإنسان"؛ إذن لكل لفظ دلالة. لكن لا يمكن لجزء من هذا اللفظ أن يكون له دلالة اللفظ نفسها؛ فلا يدل جزء من اللفظ على كليّته.

إنّ اللفظ المفرد نوعان هما:

الاسم: هو اللفظ المجرد من الزمان يقول ابن سينا: "الاسم لفظ مفرد يدل على معنى دون زمانه المحصل"²، وهو لا يختلف عما يعرف اليوم في الدراسات النحوية التي تقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف.

الكلمة: هو ذلك اللفظ المقترن بزمان، وهو ما يعرف عند النحاة بالفعل، يقول ابن سينا: "الكلمة وهي الفعل لفظ يدل على معنى معين وعلى زمانه، كقولنا: مضى"³، فهو فعل يدل على الزمن الماضي؛ إذن نجد ابن سينا يفرق بين المصطلحات التي تكون في مجال المنطق عن مجال اللغة.

إنّ اللفظ المفرد يكون في المخاطبات النظرية؛ أي أثناء الخطاب مع الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى أين يحتاج إلى تأليف الألفاظ المفردة؛ أي اللفظ المفرد (الدال) إما يكون اسماً أو فعلاً. وعلاقة اللفظ بالمعنى (المدلول) تلازمية تكاملية لم يقل ابن سينا أنّ أحدهما يستغني عن الآخر أو أنّه يمكن أن ينتج أحدهما في غياب الآخر؛ لذا قال: "إنّ المفاهيم قبل الأشياء، وفي الأشياء، وبعد الأشياء"⁴؛ إذن يقصد توافق اللفظ للمعنى وملازمة هذا الأخير لللفظ؛ حيث يتبادر إلى الفكر معنى سنحاول أن نعبر عنه؛ العملية الفكرية التخمينية وحتى الانتقائية للألفاظ الخادمة للمعاني التي تجوب في الذهن قبل التعبير عنها، أو تزامن التفكير

¹ ابن سينا، **عيون الحكمة**، ص 1. وينظر: ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ق 1، ص 143. وابن سينا، منطق المستشرقين، ص 11.

² ابن سينا، **عيون الحكمة**، ص 3.

³ المصدر نفسه، ص ن.

⁴ ابن سينا، **منطق المستشرقين**، ص 30.

..... السيمائية بين إرهابات الوجود وواقع الامتداد

والتعبير أثناء المخاطبات خاصة الثنائية التي تتطلب أخذ وردّ؛ أو بعد الذي يقصد به الانتباه إلى المعنى الذي قصدناه بهذا اللفظ الذي قيل أصاب هو أم هو خارج عن سياق الكلام. فالكلّي حسب ابن سينا "لا يوجد إلّا في الذهن [فهو] الصورة التي يعطيها العقل لكلّ شخص من الأشياء"¹؛ أي أنّ الفكرة الكلية تكون على مستوى الذهن، فهو يتصور شيئاً ثم يعمد، لتجسيد هذا المفهوم في الواقع، إلى الفكر السابق على اللّغة. يرى ابن سينا إذن أنّ المفاهيم الكلية وكذا صور الموجودات وحتى الأفكار توجد وجوداً ذاتياً قبل أن تتجهر تماماً كما يوجد الشكل في ذهن الباحث قبل أن ينحت في الصخر،² أي إنّ الفكر سابق عن اللّغة؛ لأنّ الأول نظري، والثاني عملي يجسد على أرض الواقع، أي في العلم الخارجي. إذن اللفظ يسبق المعنى في الوجود.

2.1.1 الدلالة بين اللفظ المفرد واللفظ المركب:

إذا كان اللفظ المفرد هو اللفظ الذي يتجسد على الاسمية والفعلية أثناء الخطابات؛ فإنّ اللفظ المركب عبارة عن قول يحدث على مستوى العقل يقول ابن سينا: "المركب هو ما يخالف المفرد، ويسمى قولاً، ومنه قول تام... ومنه قول ناقص"³؛ فمثلاً لو نقول "عبد الله رجل صالح" يكون "عبد الله" اسماً، أي لفظاً مفرداً. لكن لو نقول "أنت يا عبد الله" فيكون بذلك "عبد الله" خرج من كونه اسماً ليكون لفظاً مركباً؛ لأنّ كلّ جزء له دلالة في ذاته، فالجزء الأوّل من (عبد - يعبد - عبدا)؛ أي أنّه اسم مفرد له معنى في ذاته، أما الجزء الثّاني "الله" هو الموجد الواجب الوجود سبحانه وتعالى، فأسند الأوّل إلى الثّاني بحكم أنّ الثّاني هو الذي أوجد الأوّل ويعود إليه. وهذا ما عبر عنه الشيخ الرئيس بالقول التام، وهو "الذي كلّ جزء منه لفظ تام الدلالة: اسم أو فعل"⁴ أي يتركب القول **** من اسم واسم، أو اسم وفعل، أو فعل واسم، حيث

¹ المصدر نفسه، ص ن.

² جون لويس، مدخل إلى الفلسفة، ط 3، تر: أنور عبد الملك، دار الحقيقة، دط، بيروت: 1978، ص 62.

³ ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، ق 1، ص 143.

⁴ المصدر نفسه، ص ن.

يكون لكل جزء معنى ودلالة تامة، لكن في القول الناقص يكون التركيب مؤلفاً من اسم أو فعل، زائداً أداة وهذه الأخيرة ليست فعلاً ولا اسماً؛ لذا "لا يتم مفهومها إلا بقرينة"¹ ومثال ذلك عندما نقول "الكفار في..." فإنّ المعنى غير تام؛ لذا يستوجب أن يقترن في بقرينة تجعل له دلالة كأن نقول "الكفار في نار جهنم" هنا حصل المعنى من خلال ارتباط الأداة باسم أو فعل يكمل معناه من "الألفاظ ما دل على [معنى] في نفسه، أو في غيره"² والقول كما أكد نصير الدين الطوسي يشترك في أربعة أشياء:³ هي اللفظ (فالمركب يجمع بين لفظين أو لفظ وأداة لا تدل في ذاتها إنما تتكئ على شيء يكسبها معنى)، مفردة (أي ألفاظاً مفردة)، ودالة على معنى (أي أنّ هذه الألفاظ لها دلالة في ذاتها مستقلة عن معنى اللفظ الذي تتركب معه)، الوضع (أي بالاتفاق)؛ لذا نستنتج ها هنا أنّ الإنسان يمكن له إنتاج خطابات كثيرة عن طريق الإبداع؛ فهو عاقل مدرك للأشياء، لذا له أن يجمع بين الألفاظ التي لها دلالة في ذاتها ومتفق عليها؛ وهنا إشارة إلى قضية الاتفاق التي تخص الإنسان فيمكن أن يتفق من جديد على تغيير معنى الألفاظ أو حتى الترميز، فهو قادر على ذلك.

2.1 العلامة عند ابن سينا

إنّ مفهوم العلامة موجود عبر التاريخ في الفكر الذي أنتجه العقل البشري، ولا غلو في قولنا إنّ مفهوم العلامة حاصل في أغلب الميادين؛ لأنّه يتأتى من أبعاد منطقية ووجودية فلسفية وحتى نفسية... لذا التفريعات العملية استوجبت انتقال المفهوم العلاماتي عبر كلّ قناة ليتحدد في كلّ فرع من هذه التفريعات؛ إذن من خلال هذا المفهوم، ما العلاقة الحاصلة بين العلامة

**** قلنا أنّ المركب أو القول يتكون من اسم واسم أو فعل واسم أو اسم وفعل على أساس التقديم والتأخير الذي تسمح به قواعد اللغة لكن لا يمكن أن يتركب من فعل وفعل لاستحالة ذلك؛ لأنّ لكلّ فعل فاعل يكمله ولا يمكن أن يكمل الفعل فعلاً آخر لأنّهما خاضعان للزمان. وهذا ما عرف في وقت لاحق بالإسناد.

¹ ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، ق 1، ص 143.

² المصدر نفسه، ص 146.

³ المصدر نفسه، ص 145.

..... السيمائية بين إرغاصات الوجود وواقع الامتداد

الإنسانية والحيوانية؟ وهل هناك تواصل وتجاوب متساو بين العلامة اللغوية وغير اللغوية؟ وهل كان للعرب مثل الغرب في العلاماتية؟

إنّ ما أقرّه معظم الدارسين والباحثين في هذا المجال السيميائي؛ إنّما يُرجعون استخدام لفظ العلامة إلى الأطباء في حديثهم عن الأغراض المرضية التي يتحدد من خلالها نوع المرض ونوع العلاج؛ لذا فمن المُلمّحين إلى هذا المفهوم من العرب نجد ابن سينا بحكم أنّه طبيب؛ لكن لا يعني البتة أنّه مفهوم مرتبط بالجانب الطبي فحسب بل تجاوزه إلى أغراض أو ميادين أخرى تحدث عنها ابن سينا كالجانب الفلسفي الوجودي الذي يعبر عن الموجد والموجود والشيء الذي هو دليل على وجوده، فإذا أشار في أعماله الطبية إلى العلامة غير اللغوية، فإنّه لم يستثن العلامة اللغوية للأهمية التي تحويها هي الأخرى. لكن هل يمكن لنا إيجاد تصور سيميائي مقارب لما هو موجود في علميّة الراهنة لدى ابن سينا؟

لقد أسلفنا القول إنّ العلامة كمفهوم له أبعاد مختلفة بدأ مع الأطباء الذين عملوا على البحث في الأعراض المرضية التي تظهر على الشخص من أجل الوصول إلى نوع المرض؛ فهي إذن عوامل مساعدة على فهمه وإيجاد حلّ له، وكلما تكرر العرض سهل علاجه؛ لأنّه عرف من قبل، أي محصل عليه عن طريق التدليل الحاصل في علامة ما يقول جالينوس: "ثم إنّ أصحاب الرأي والقياس يأخذون من تلك الأعراض دلائل على السبب، ويستخرجون من علم السبب العلاج والمداواة، وظواهر المرض يستدل عليها بعلامات ومن هنا يمكن القول إنّ الأعراض هي دوال بتعبير "سوسير" حديثاً؛ أي العنصر الأوّل من الدليل، سواء أكان دليلاً لغوياً أو غير ذلك، فالدليل غير اللغوي يمكن أن يكون لغوياً إذا عبّرنا عنه بالقول - مثلاً - فأعراض المرض إذن هي بمثابة الدوال التي تستحيل إلى مدلولات بعينها، وهي المرض ذاته بملامحه أو الداء، وفهم الدليل طريق لمعرفة الأنواء، وبالتالي فما ظهر من أعراض يستدل

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

عليه بالعلامات"؛¹ أي إنّ الدليل يكون لغويا إذا عبر به المريض للطبيب من أجل وصف حالته المرضية ويستدل بعبارات دالة على ذلك من أجل الوصول إلى العلاج، في حين تلك العلامات الظاهرة تعبر عن نفسها بنفسها، وهي بمثابة دلائل يستدل بها على الأعراض المرضية، وتكون بذلك علامات غير لغوية.

إنّ القول بتعدد التخصصات التي خاضها الشيخ الرئيس يفسح لنا المجال من أجل الإبحار والتغلغل في أعماق فكره المتشعب من أجل إبراز مكامن العلاماتية بوجه خاص والسيمائية بوجه عام، والعلامة كمفهوم عام موجود في العرف العربي المتأصل؛ لأنّ اللغة العربية بنيت على ثلاثة أصول هي القرآن الكريم والسنة وكلام العرب (من الشعر والنثر)؛ لذا أنّ نتعقب هذا المفهوم فسنجده حاضراً لا محالة يقول ابن منظور: "علم، يعلم، (...) يقال علمه، يعلمه. ويعلمه، علما: وسما بسيما الحرب. ورجل معلّم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة (...)، والعلامة: السمة، والجمع علام"؛² ففي قول ابن منظور دليل على أنّ العلامة جاءت من علم؛ لكن لا يقتصر على هذا إنّما أيضا يستدل بها على صفة اتصف بها أو تميز شيء عن شيء آخر حين وضع العلامة والسمة في مكان أو مقام واحد؛ وفي القرآن الكريم حضر هذا الاصطلاح في قوله تعالى: "وعلامات وبالنجم يهتدون" [النحل: 16]؛ أي أنّ العلامة دليل نستدل بها، ولوقاية أنفسنا من الضياع، وفي كلام العرب نجد أمثلة كثيرة تجسد لنا مفهوم

¹ عابدة حوشي، نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم، جامعة فرحات عباس، سطيف: 2009، ص 30. يقصد جالينوس بعلم السبب علم الطب، والسبب هو المرض الذي يستدعي وجود هذا العلم العملي يقول ابن سينا على لسان جالينوس "إنّ السبب في الطب وهو ما يكون أولاً، فيجب عنه وجود حالة من حالات بدن الإنسان أو ثباتها والمرض هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة الفعل وجوباً أولاً، وذلك إما مزاج غير طبيعي وإما تركيب غير طبيعي" (القانون في الطب، ص 77)، فنجدّه عبّر عنه بالسبب تارة وبالمرض تارة أخرى.

² ابن منظور، لسان العرب، المجلد 12، ص 419.

..... السيمائية بين إرهابات الوجود وواقع الامتداد

العلاماتية يقول عنتر بن شداد العبسي:¹

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمم

إن لفظة تحمم هنا عبارة عن لغة سيميائية؛ إذ إن الحصان لا يتكلم، ولكن كان هذا الصوت الذي أصدره يهدف به إلى إيصال معاناته إلى صاحبه عنتر، فالإشارة بالصوت كانت كفيلاً ليفهم هذا الشاعر حصانه. وإذا تتبعنا أثر العلاماتية نجدها قبل ابن سينا عند الجاحظ الذي تحدث عن العلامة في قوله:²

"إن العلامة هو أن يدل شيء على شيء آخر"، وقد استدل عليه ابن سينا في استعمالاته بمصطلحات أخرى؛ فجعله مساوياً للدلالة التي هي البيان، وفي مؤلفاته الطبية نجده مساوياً للأعراض لكون العرض عبارة عن علامة ظاهرة أو خفية تحيل على مرض معين يحتاج إلى علاج يقول جالينوس: "...³ كما جعله مساوياً حيناً آخر للحد والرسم وهذا كله ربما باختلاف التخصصات التي يتقبلها الشيخ الرئيس من المنطق والطب إلى اللغة... ومن أمثلة ما قلناه: - "كلام كلي في الأعراض والدلائل والأعراض والعلامات التي تدل على إحدى الحالات الثلاث..."⁴

- أما دلائل ما يستقرغ... وأما دلائل الورم فمن ثلاثة أوجه⁵ وقوله: "من الدلائل الدالة على حدوث التشنج"⁶.

¹ ديوان عنتر بن شداد العبسي.

² الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 350. كما جعل العلامة دليلاً في قوله: "فأما التين فخرج رجل المولود قبل رأسه، وذلك علامة سوء، ودليل على الفساد" (الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص 286).

³ ابن سينا، القانون في الطب، ص 121.

⁴ القانون في الطب، ص 119.

⁵ المصدر نفسه، ص 122.

⁶ المصدر نفسه، ج 2، ص 636.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- "الحدّ قول دال على ماهية الشيء"¹ وقال عنه عبد الأمير الأعسم: "التحديد يرسم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة".²
- "الرسم هو الأثر".³

3.1 أنواع العلامة عند ابن سينا

إنّ الإنسان يحتاج إلى الآخر من أجل الاستمرارية وإثبات الوجود؛ لذا فهو اجتماعي مطالب بالتكيف مع الآخر والعالم، فالإنسان عرف عند الفلاسفة بأنّه "الحيوان الناطق" فالميزة النطقية تحدد لنا توجهاً آخر هو أنه يحتاج إلى الآخر من أجل إيصال ألفاظه ومعاني هذه الألفاظ، وتعبير آخر "الحيوان العاقل" وهي ميزة فاصلة*** بينه وبين الحيوان حيث يفرق ابن سينا بين الإنسان العاقل المدرك للأشياء واستنباطه الصناعات وبين الحيوانات، فبالرغم من أنّ هذه الأخيرة لها أن تصنع بيوتها وخاصة النحل إلّا أنّ هذه الصناعات منجزة عن إلهام وتسخير الخالق لها والدليل على ذلك أنها غير مبدعة؛ فكما كانت منذ ألفي سنة وأكثر ما زالت اليوم لم تغير من صناعاتها شيء، عكس الإنسان الذي عرف حركة انتقالية في العمران من حضارة إلى أخرى يقول ابن سينا: "وللحيوانات الأخرى خصوصاً للطير صناعات أيضاً فإنّها تصنع بيوتاً ومساكن لاسيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير"⁴، كما أنّ اللغة ملكة المجتمع وأرقى وسائل التواصل وعملت مدة طويلة على تخزين المعطيات والمعلومات وتحديد هوية الإنسان لكن هناك ما يقول إنّها حالياً تسير جنباً إلى جنب مع العلامة غير اللغوية ضمن النظرية السيميائية من إشارات وأيقونات ورموز... فنقول إنّها سارت جنباً إلى جنب معها منذ عهد بعيد، فقد أشار ابن سينا بإسهاب إلى العلامة غير اللغوية خاصة في المجال الطبي، فقدمها بأبعادها الحاصلة اليوم. حيث نجده قد تحدث عن العلامة

¹ الإشارات والتنبيهات، ق 1، ص 249.

² عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب، ص 262.

³ الإشارات والتنبيهات، ق 2، ص 136.

⁴ الشفاء الطبيعيات، ص 201.

..... السيمائية بين إرغاصات الوجود وواقع الامتداد

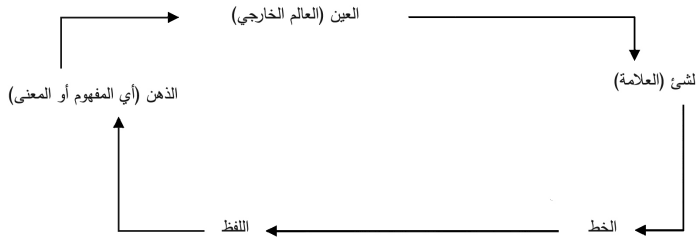
غير اللغوية في كتابه (القانون في الطب)، من حيث الأعراض التي تظهر على الإنسان لتتبدل حالة جسمه من الصحة إلى المرض، فهذه العلامات تحتاج إلى تفحص من أجل العلاج، فنجده قسم العلامة المرضية إلى ظاهرة وباطنية في قوله: "العلامات منها ما يدل في ظاهر الأعضاء، وهي مأخوذة إما عن المحسوسات الخاصة مثل أحوال اللون وأحوال اللمس في الصلابة واللين والحرّ والبرد وغير ذلك، وإما عن المحسوسات المشتركة، وهي المأخوذة من خلق الأعضاء وأوضاعها وحركاتها وسكوناتها، وربما دلّ ذلك منها على الأحوال الباطنة مثل اختلاج الشفة على القيء ومقاديرها هل زادت أو نقصت"،¹ كما أنّ الحالة المرضية تعرض لها بطريقة علمية منهجية حيث يقوم بتعريف الحالة المرضية فمجموع العلامات الجسدية الظاهرة أو الباطنة ثم الحديث عن العلاجات الممكنة.

لقد أشار ابن سينا إلى العلامة التي هي عبارة عن شيء يدل على شيء ما، وذلك في مواضع مختلفة من أعماله؛ فالشيء يكون في الذهن (المفهوم)، وفي اللفظ المنطوق (الصورة الذهنية) وفي العين (أي العلم الخارجي)، لكن تفتن ابن سينا إلى فكرة تجاوزت أن يوصف باللساني البحت لكونه جمع بين العين والذهن واللفظ، فهو سيميولساني؛ لأنه أضاف عنصراً رابعاً هو الخط في إشارته للعلامة في قوله: "للشيء وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان ووجود في العبارة، ووجود في الكتابة، والكتابة تدل على العبارة وهي على المعنى الذهني، وهما دالتان وضعيتان تختلفان باختلاف الأوضاع، وللذهني على الخارجي دلالة طبيعية لا تختلف أصلاً: فبين اللفظ والمعنى علاقة غير طبيعية، فلذلك قال [علاقة ما] لأنّ العلاقة الحقيقية هي التي بين المعنى والعين"،² ويمكن لنا أن نجسد هذا القول في المخطط التالي:

¹ ابن سينا، القانون في الطب، ص 120.

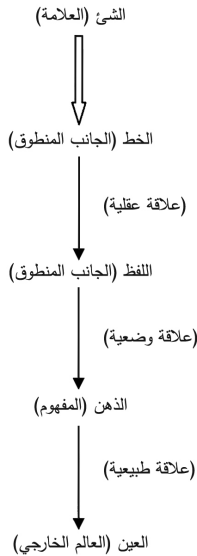
² ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ق 1، الهامش ص 131.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م



(نسبة للمكتوب حيث تدل الكتابة على العبارة (عبر عنه ابن سينا بالعبارة لكونه أي إن الخط يدل على اللفظ فلا يحيل الخط يقصد الجانب المنطقي منه. على الذهني إلا بتوسط اللفظ).

ففي هذا المخطط تجسيد للعلامة الثلاثية البورسية، إلا أن ابن سينا لم يستثن الخطية التي تحتاج إلى اللفظ من أجل الاستدلال على المؤول، فقد أشار في كلامه إلى أن الخط يدل على اللفظ لكونه يجسده حرفياً. ويمكن لنا أن نجسّد العلاقات الحاصلة بين هذه العناصر بالمخطط التالي:



..... السيمائية بين إرغافات الوجود وواقع الامتداد

من خلال هذا المخطط يمكن القول إنه توجد علاقة بين الخط واللفظ، وهي علاقة خارجية عقلية؛ وهي الإشارة، وبين اللفظ والذهن علاقة غير طبيعية لكونها تحمل في طياتها دلالة وضعية وهو ما يعرف في العرف السيميائي بالرمز، وتوجد علاقة بين الذهن والعين، وهي علاقة حقيقية ذات دلالة طبيعية، وهو ما عبر عنه السيميائيون بالأيقون. فهو إذن لم يهمل المرجع لأهميته في تحديد دلالة علامة ما في قوله: "إنّ الإنسان قد أوتي قوة حسية، ترسم فيها صور الأمور الخارجية (...)" فترسم فيها ارتساماً ثانياً ثابتاً، وإن غابت عن الحس،... ومعنى دلالة اللفظ أي يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أوردته الحس على النفس التفت إلى معناه"¹؛ إذن ابن سينا يؤكد العلاقة الوضعية بين اللفظ والمعنى (الدال والمدلول)؛ أي لكوننا تواضعنا على تسمية مسمى ما بهذا الاسم، فإذا قررنا تغيير اسم المسمى يكفي أن نتفق على ذلك، فكلما أوردنا هذا اللفظ على المتلقي يتبادر إلى ذهنه المعنى المطلوب، فهو بهذا لا نجده بعيداً عن سوسير؛ لكن ابن سينا لم يهتم بالمرجع اهتماماً عرضياً كما ظن بعض الباحثين؛ إنما يؤكد فكرة السيميائي خاصة ما تعلق بنظرية التعريف حين أقرّ أنه نوعان أحدهما يتم بالكلام والثاني عبارة إشارة يقول: "التعريف هو أن يقصد شيء إذا شعر به شاعر تصور شيئاً ما هو المعروف، وذلك (الفعل) قد يكون كلاماً، وقد يكون إشارة"²؛ حيث تحدث عن نوع من العلامة غير اللغوية، وهي الإشارة التي تحدد شيئاً ما تربط اللفظ بالمعنى الذي تم تجسيده في أرض الواقع، فهي إذن تتكون من موضوع وممثل ومؤول، فهي إذن كما تصورها بورس "علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع"³ وهذا ما قاله ابن سينا منذ قرون: "وماهيات الأشياء قد تكون في أعيان الأشياء، وقد تكون في النّصور، فيكون لها

¹ ابن سينا، العبارة، ص2.

² ابن سينا، منطق المستشرقين، ص 40، 54.

³ سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا: حول بعض المفاهيم والأبعاد، منشورات عيون المقالات، ط 2، الدار البيضاء: دت، ص33.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

اعتبارات ثلاثة؛ وهي: اعتبار الماهية بما هي تلك الماهية غير مضافة إلى أحد الوجودين وما يلحقها، من حيث هي كذلك؛ واعتبار لها من حيث هي في الأعيان فيلحقها حينئذ أعراض تخص وجودها ذلك، واعتبار لها من حيث هي في التصور، فيلحقها حينئذ أعراض تخص وجودها ذلك¹؛ أي إنَّ المفهوم قد يكون في العالم الخارجي أو في التصور وفي حديثه هذا إشارة جلية لما يعرف حالياً بالأولانية والثانينية والثلاثية فالعلامة حسب ابن سينا ثلاثية لا رابع لها كما أشار إلى ذلك بورس في تصوره للعلامة فالثلاثية هي القاعدة الأساس التي ارتكزت عليها نظريته، فإن وُجدَ حدّان استدعت الضرورة إضافة الحدّ الثالث، وإن وجد أكثر من ثلاثة حدود اختزلت إلى ثلاثة لا غير².

¹ ابن سينا، الشفاء المنطق، ص 15.

² سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص 42، جيرار دلودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ص 55.

الجوانب الخفية من ثقافة اللغة العربية ودورها في الحفاظ على الثوابت العلمية

د. رحيم علي الفوادي

جامعة بغداد - العراق

لا ريب في أن اللغة العربية هي لغة ذات بناء مستوياتي مُحكم بعلاقات صوتية، بيئة غير خفية، بها تتربط العلاقات النحوية بطريقة ذات خصائص قوية، فطبيعة بنائها محمية، مقتضبة جليلة، بُنيت بها مقاصد إلهية، ملموسة فعلية، تترجح على الندية وتسمو على البقية بالقدرة على الثقافة اللغوية، إلا أن الجوانب الخفية من ثقافة العربية وقدرتها على الحفاظ على الأرجحية بقيت دون دراسة فعلية، مما يتطلب الشروع بدراسة جادّة تكشف الجوانب الخفية في قدرة العربية على الثقافة اللغوية، نخصّص لسبّر غورها بحثنا هذا معززاً بالأدلة المادية.

للربية عدة جوانب امتازت بها عن كافة لغات العالم، وليس للغة أخرى مجاراتها في ذلك من حيث الدلالة الصوتية، والمُعلّقات الصرفية، والخصائص الإعرابية وتربط المستويات اللغوية التصاعدية والمحيدة الدلالية للمزيدات التصريفية والحماية اللغوية الذاتية، مما يجعلها قادرة على الثقافة بلا منازع، ولغرض بيان هذه الجوانب الخفية سوف نقوم بإيرادها:

1. **الدلالة الصوتية للصوامت الجذرية:** تمتاز العربية بقدرتها الفريدة على تمييز دلالتها بالصوامت، فترتيب الصوامت داخل الجذر يكسب حاملي العربية القدرة على تمييز الدلالة على أساس الوحدة اللغوية الأصغر "الفونيمة"، حيث يَحْدُث التمييز الدلالي للجذور ذات الدلالة العامة، أي المتماثلة في المعنى العام بتغيير الصوامت كما في (قَطَعَ، قَطَمَ، قَطَفَ، قَطَشَ)؛ (فَرَدَ، فَرَثَ، فَرَمَ، فَرَزَ)؛ (عَصَبَ، عَصَرَ، عَصَفَ)، حيث يحدد الصامتان الأولان الدلالة الأساسية للجذر (قَط - تفيد القطع، والصامت الثالث يحدد نوع القطع كما في قطع،

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

قطم، قطف، قَطش؛) فر - تفيد التجزئة والتفرقة، ويحدد صامتها الثالث نوع التجزئة كما في فرد، فرث، فرم، فرز؛ عص - تفيد الضغط والصامت الأخير يحدد نوع الضغط كما في عصب، عصر، عصف)، في حين فقدت اللغات الهندو أوروبية هذه الخاصية، وذلك بانحلال طابعها الصوتي في القرون البعيدة (القاموس الموسوعي، 1902:124) كما سنعرض لها في متن البحث، وبذلك ليس للهندو أوروبات القدرة على مجازة العربية في نظامها الصوتي في المستوى اللغوي الأدنى "الصوتي"، وهنا تبرز ثقافة العربية لباقي اللغات ورجحان كفتها في المستوى اللغوي الأدنى.

2. **القواعد الصوتية الصرفية:** ونقصد بها قدرة الجذور العربية التصريفية على التغيرات الاشتقاقية دون الحاجة إلى اللواحق بخلاف الهندو أوروبات، حيث يكتسب الجذر العربي مُعلماته القواعدية نتيجة لزيادة الكم الصوتي لصوامته، فإذا كان المستوى اللغوي الأول يسهم في تشكل الدلالة الأساسية للجذر العربي بناء على اتحاد صوامت معينة، فإن المستوى اللغوي الثاني يسهم في اكتساب الصيغ الجذرية المصرفة الخصائص الصوتية القواعدية كالجنس والعدد والحالة القواعدية كما في زيادة الكم الصوتي للصامت الأول من الجذر العربي عند اشتقاق اسم الفاعل المذكر المفرد المرفوع (قاطع، فارز، عاصر)، حيث يتضاعف الكم الصوتي للصوامت الأوائل في الجذور قَطع، فَرز، عَصَر، وذلك بتحول فتحته إلى صائت تام الصوتية (الألف)، وبذلك اكتسبت الصيغة الجذرية (جنسها "مذكر"، وعددها "مفرد"، وحالتها القواعدية "مرفوع"، وبذلك تكون عملية اكتساب المُعلمات¹ القواعدية للصيغة الجذرية صوتية بحتة دون الإلصاق، أي بتغير الكم الصوتي، فالمستوى اللغوي الأول (الصوتي) حدد الصوامت الجذرية الثلاثة التي تُبنى عليها الدلالة، والمستوى الثاني اكتسبها صفاتها القواعدية كما في اسم الفاعل (مفرد، مذكر، مرفوع)، أما الهندو أوروبات فنتم قواعدها باللواحق في الغالب *teach → classify → classification*

¹ ويقصد بها التغيرات الصوتية التي تدل على الخصائص القواعدية للمفردة كالجنس والعدد والحالة القواعدية وغيرها.

..... الجوانب الخفية من ماثقة اللغة العربية

teacher, make → maker، والقوعة الصوتية لا تشمل كافة المفردات الهند وأوربية، بل

بعضها كما في: *teeth → tooth mice, → mouse feet, → Foot*

3. القوعة الصوتية الإعرابية: وهي تفاعل المستوى الثالث مع المستويين الأول والثاني، فهو

تفاعل صوتي صرفي مبني على ما تم في المستويين الأول والثاني، فإذا كان المستوى

الأول قد حدد مجموعة صوامت الجذر الموضحة لدلالاتها وقيمتها الصوتية المحددة

بالحركات قَطْع، فَرَزَ، عَصَرَ، فإن المستوى الثاني قد أكسبها صفاتها القواعدية (قاطع،

فارز، عاصر - مفرد مذكر مرفوع)، التي يمكن في ضوءها أن تتم عملية الإعراب في

المستوى الثالث، الذي يبين العلاقة النحوية بين المفردات داخل الجملة (اشتريت القاطع،

مررت بالفارز، تحدثنا عن العاصر). لقد أكسب المستوى الأول الجذر دلالاته المحددة

بصوامت معينة، ثم أحتفظ المستوى الثاني بهذه الدلالة وقوعدها، أي أكسبها صفاتها

القواعدية من حيث الجنس والعدد والحالة القواعدية، واحتفظ المستوى الثالث بنفس الدلالة

التي تكونت في المستوى الأول، وتمت عملية الإعراب بناء على المُعلّمت القواعدية التي

تم اكتسابها في المستوى الثاني، ثم تم بيان العلاقة النحوية بين المفردات داخل الجملة

بتغيرات صوتية محضة، وهذا ما نسميه بالجامع الصوتي.

4. المرونة الصرفية.¹

¹ تعرف أغلب المصادر الأوروبية التصريف (flexion) كمصطلح لغوي بالمرونة، الطي أو الثني نقلاً عن

اللاتينية، إلا أنهم لم يضعوا تعريفاً لهذه المرونة بصورة دقيقة، أما نحن فنعدّ هذه المرونة أنها قدرة الأصوات

الصامتة التي تحمل الدلالة الجذرية على التغير الصوتي الكمي بتأثير الصوائت "مرونة اللفظ الكمي للصامات"،

التي تتوقف على الصائت المحرك له"، "فمن الضروري أن ترافق الأصوات الصامتة بحركة الهواء، الذي

يحدد أصواتاً صامتة مختلفة وفقاً للمسافة التي يمر بها، والمكان الذي يتكون فيه الصوت (يُنظر بوسلايف، ت.

ف. تدريس اللغة الوطنية، موسكو، دار نشر بروسفيشينا، 1992، ص 199)، و"الصوت في الكلمة هو وسيلة

تفعيل الفكرة ووضعها والإمساك بها أمامه كمادة خاضعة لفعل الفكرة اللاحقة، إذ إن القوة المبذولة على نطق

الصوت في الكلام تبرز فقط بتلك الدرجة التي لا يمكن فيها إمساك الدلالة دون الصوت، وكلما ضعفت طاقة

الفكرة، احتاجت أكثر للصوت كداعم خارجي (يُنظر بوتنيا، أ.أ. من المدونات في القواعد الروسية، موسكو،

مقدمة:

تمتاز اللغة العربية دون غيرها من اللغات بعناصر عديدة تمكنها من ثقافة اللغات الأخرى، وهذه الميزات بقيت دون أن يسלט عليها الضوء بصورة مباشرة بغية كشفها ومقارنتها بالعلم الحديث، حيث إن العلم الحديث وما توصلت إليه اللسانيات الحديثة يسلم لثوابت العربية القادرة على ثقافة اللغات الأخرى والتفوق عليها من حيث البنية والدلالة، وهذا الفرق التناقفي بين اللغات من حيث البناء المتطور المتكامل للغة ما، والنقص لدى لغات أخرى يتسبب عادة في الإخفاق عند تعليم اللغات، حين لا يؤخذ بالقدرات الفائقة للغة ما كالعربية وعدم الاكتمال في لغات أخرى عند تعليم اللغات، حيث "أن تعليم اللغات الأجنبية في المدارس النظامية قد أثبت فشله إلى حد بعيد في معظم بلدان العالم، حتى المتطورة منها، وإلى أن الشكوى مستمرة من هذا الفشل، وإن البحث عن أسبابه لم ينقطع في العالم العربي، وغيره من العوالم منذ أمد طويل دون الوصول إلى نتيجة مرضية" (خرجا، 1988:6)، وهنا تبرز نتيجة الثقافة اللغوية بصورة واضحة، فلا يمكن للمتعلم إدراك الجوانب الخفية من الثقافة بين اللغات، وهذا ما يجعل تلقي اللغة الام في الوسط الطبيعي تجري بسلاسة ويسر لكون قواعدها الأولى تترسخ ولا تتعارض مع قواعد أخرى ينبغي فهمها ولا تتناقض ولا تتنازع بين ابناء اللغة الواحدة لعدم اختلاف البنية اللغوية، إذ يقول ابن جني: "إنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة فيداروا حدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه، ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مهم أمره" (ابن جني، 2007: م16:2).

وبذلك تترسخ ملكتهم الفردية ذات اللغة الواحدة، التي تحوي بنية لغوية واحدة لا تتناقضها

دار نشر اوجيبيدغيز، 1958، ص 56)، وأما مجمل التغيرات الكمية الصوتية للصوامت فهو دلالة البنية الصوتية الكاملة للصيغة الجزرية المصرفة، ما دامت البنية الصوتية بأسرها هي الدلالة، كما في كبير ← كبار، شرب ← شرب، كتاب ← كتب، جلد ← جلود، درس ← دروس، و *tooth ← feet*، *teeth*، *mouse ← mice*، *come ← came*. وهكذا، فإن قدرة الصوامت على التغير الصوتي الكمي الذي يؤدي إلى التغير القواعدي هي مرونة تصريفية.

..... الجوانب الخفية من ماثقة اللغة العربية

بنية أخرى ولا تراحمها فلا تتنازعان، فتترسخ الملكة الواحدة، حيث أشار ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك بقوله: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصها، وليس ذلك بالنظر الدقيق إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي ينطبق على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة المقصود للسامع؛ وهذا هو معنى البلاغة" (ابن خلدون، 2005، 250).

ترسخ ملكة اللغة الأم وفق بنيتها ودلالاتها دون مقارنتها بلغة أخرى، وذلك لكون الأعضاء الحسية لدى الإنسان تبدأ بالنمو، وتلقي العادات والتقاليد المغلفة بمفردات هذه اللغة، ويسهم تكرارها برسوخها في المخ البشري، فتكون راسخة فيه، ثم يبنى إدراكه للمحيط الخارجي على وفق سمعه وبصره، فتبدأ ملكته اللغوية بالتكون، أما اللكنة التي نلاحظها، لدى بعض الأجانب الذين حصلوا على ملكة عربية كملكة ثانية، فهي بسبب اعتياد أعضاء النطق لديهم على إطلاق ألفاظ الملكة الأولى، واستحكامها لديهم، مما أدى بأعضاء النطق إلى الصيرورة بشكل نهائي يُمكنهم من نطق مفردات الملكة الأولى، إذ يستحيل تحويل الوضع الفلسفي لأعضاء النطق على وفق ملكتين لغويتين، فضلاً عن اختلاف بعض مخارج الأصوات، والأصوات نفسها في الملكتين، لذا تنشأ اللكنة في الكلام لدى الأجنبي الذي هو مكتسب للغة، وفي هذه الحالة يكون هناك استثناء بسيط، وهو الطفل ذو الملكتين، أي في حالة وجود والدين كل منهما له ملكة لغة تختلف عن الأخرى، مما يسهل عليه الإلمام بمخارج الأصوات في اللغتين.

ولقد أخطأ أصحاب النظريات الأولى حول الملكة في عدها سماعية، والتركيز على ذلك فقط، فالملكة لا تنحصر بالسمع دون الحواس الأخرى، فللبصر دور في ذلك، فإذا كان التكرار السمعي للمفردة يرسخها، فإن كتابتها تؤدي دوراً لا يستهان به في ذلك، وهاتان الحاستان متلازمتان في إدراك اللغة، وعكس الصور المعرفية، فاللغة هي عاكسة لصورة العالم الخارجية، وقد ذكر القرآن الكريم هاتين الحاستين بصورة متلازمة في العديد من الآيات، وكما

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

في قوله تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار، والأفئدة لعلكم تشكرون"¹، وقال تعالى: "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً"²، كما قال: "إن الله كان سميعاً بصيراً"³.

ومن هنا يمكننا القول وبكل ثقة: إن السمع والبصر متلازمان، فالمُتَلَقِّي يسمع الكلام، ويبصر حركة الشفاه والكتابة، أي إن الارتسام في المخرجات اللغوية، وتمثيل الكلام عن طريق الكتابة له دور كبير في تثبيت المعاني، والتمييز بين الأصوات المتقاربة لفظاً وكتابةً، أما ما جاء في قوله تعالى: "والله الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً"، فدلالة على أن الإنسان يكتسب اللغة، ولا يرثها، إنما يولد بحواس تساعد على الاكتساب، وهو مستعد لاكتساب أي لغة يتلقاها أولاً، والله تعالى في ذلك حكمة، فقد يضطر الإنسان إلى العيش في غير بيئته اللغوية منذ أيامه الأولى، والتاريخ الإنساني حافل بمثل هذه الأمثلة، وقد حصلت مع بعض الصالحين، ويؤكد ذلك عالم اللغة (بودوين ديكورتينييه) في كتابه "مدخل إلى علم اللغة"، إذ يقول: "تختلف اللغة المنظورة المكتوبة جوهرياً عن اللغة الملفوظة المسموعة" (ديكورتينييه، 2004: 35-54)، وهذه دلالة واضحة على أن للكتابة دوراً لا يستهان به في الحفاظ على اللغة من الانحطاط والضياع، فالكتابة عامل مؤثر في ارتسام صور الألفاظ في الدماغ، والمساعدة على تذكرها، وخاصة بالنسبة للغة الأجنبية، مما يعزز الملكة اللغوية بمحفزات صورية تسهم في ترصين الملكة.

أما المثاقفة الفعلية فيمكن إدراكها عند تعلم لغة أجنبية أو أثناء الدارسات اللغوية المقارنة التي تبرز الخصائص العلمية للغات، فعند تعلم لغة أجنبية تبدأ عملية المقايسة والمقارنة البنيوية والدلالية والتي تظهر المثاقفة التي ترسم على أساس القاعدة العلمية الأرجح، لذا فإن

¹ سورة النحل. الآية (87).

² سورة الإسراء. الآية (36).

³ سورة النساء. الآية (58).

..... الجوانب الخفية من ماثاقفة اللغة العربية

تعلم العربية من قبل الأجانب أو تعلم الإنجليزية أو الروسية من قبل العرب يبرز الحقائق العلمية لتلك اللغة القادرة على الماثاقفة، كون العربية لغة سماوية مقننة نزلت بها نصوص سماوية أصلية، فسوف نببحثها كأساس للماثاقفة بهدف بيان جوانب الماثاقفة فيها، والتي تنفرد بها عن باقي اللغات الأخرى انطلاقاً من المستوى اللغوي الأدنى:

الماثاقفة في المستوى اللغوي الأدنى (الصوتي) - الدلالة الصوتية للصوامت الجذرية:
تتميز العربية بقدرة فريدة على الماثاقفة في المستوى الصوتي، حيث يتم تمييز المفردات ذات المعاني المتقاربة بفارق صوتية واحدة صامتة كانت أو صائتة، فالصامتة تحدد معنى دلاليّاً في أغلب الأحيان كما في (جَرَبَ، جَرَفَ، جَرَشَ)، فالصامتان الأولان قيّداً للمعنى الأساسي للجذر "تفكيك، إزالة، تهري، تجزئة"، في حين حدد الصامت الثالث نوع هذا التفكيك كـ "الجرش أو الجرب أو الجرف"، أما الاختلاف القواعدي لفارق صوتية صوتية واحدة، فيمكن ملاحظته في الصيغ القواعدية المصروفة للفعل مثل كَتَبَ "في الماضي" وكتَبَ "مبني للمجهول، وغيرها، أي إن الصامت والصائت في العربية لها تأثير مباشر في الدلالة ويؤدي الدور التمييزي في ذلك، ما دامت: "العربية لها قواعد صوتية صامتة مقننة تتوقف على الوحدة اللغوية الدنيا- الفونيمية، والقادرة على التعبير عن الفروق الدلالية صوتياً" (الفوايدي، 2015:7).

تتأقّف العربية كل لغات العالم بنظامها الجذري الثلاثي ذي الصوامت المرتبة دلاليّاً، حيث إن الترتيب المتبع في صوامتها هو جوهر دلالاتها التقديمية، فإذا دققنا النظر في الأفعال التالية (قَطَعَ، قَطَمَ، قَطَفَ، قَطَشَ) - نجد أن وقوع صوت /ق/ قبل صوت /ط/ ووقوعهما في تناسقهما المعهود في مثل هذا التنسيق يعطي دلالة "القطع أي قطع الشيء كمعنى عام للفعل الذي يتم القيام به، ويبقى نوع الفعل منحصراً بالصامت الثالث الذي سوف يحدد نوع هذا القطع"، فضلاً على كون مخارج صوتي /ق/ و/ط/ ينقطعان، أي إن التيار الهوائي ينقطع بقوة مولداً صوت انقطاعه المتماثل مع الحركة المُنفذة عند عملية القطع، في حين يحدد الصامت الثالث نوع القطع كما في قَطَمَ، قَطَفَ، قَطَشَ؛ (فَرَدَ، فَرَثَ، فَرَمَ، فَرَزَ- يؤدي صوتا /ف/ و/ر/ دور التفرقة والتجزئة بتراتبهما المعهود في هذا الفعل. أما الصامت الثالث الذي ينضم

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

إليهما فيمنح الفعل المعنى التمييزي للتجزئة أو التفرقة أي المعنى التوضيحي)؛ (عَصَبَ، عَصَرَ، عَصَفَ- أما صوتا /ع/ و/ص/ فقد أفادا الضغط في مجموعة الأفعال هذه وحدد الصامت الثالث نوع العصر)، وهذه الخاصية الفريدة الموجودة في اللغة العربية لا توجد في لغة أخرى مطلقاً، إذ لا يمكن لكمية هائلة من الجذور أن تتوحد بمعنى عام في الصامتين الأولين ويحدد الصامت الثالث المعنى الجزئي لها، أي إن النظام الصوتي الصامت للعربية هو نظامي ترتيبي دلالي صوتي منظم يُعلم الجذور العربية حسب ترتيب الصوامت داخل الجذر للدلالة على معانيها والتمييز بينها على أساس الوحدة اللغوية الأصغر حتى بين الجذور ذوات الصامتين المشتركين الأولين، وهذه خاصية تنفرد بها العربية.

ولو أمعنا النظر في تاريخ اللغات لوجدنا أن النظام الصوتي للغات الأولى كان قريباً مما هو موجود الآن في العربية، حيث إن اللغات الأوربية في زمن الوحدة الأوربية المفترضة كما كانت تتمتع بنظام صوتي مماثل لما هو موجود الآن في العربية من حيث اعتماد تناوب الأصوات التصريفي في تغير الكمية الصوتية للتعبير عن المعاني القواعدية لا بالإلصاق الذي قد طغى على هذه اللغات، وادى إلى انحلال وَحْدَتِهَا على مر العصور السحيقة، إلا أنها فقدت هذا النظام الصوتي (القاموس الموسوعي، 1902، 124) فالعربية "تعد لغة سماوية نزلت بها نصوص إلهية أصلية جديدة" (أمير وفا، 2005:100-101)، لذا فإن النظام الصوتي الموجود في اللغة العربية في المستوى اللغوي الأول هو نظام منطور جداً ولا نبالغ إذا قلنا غاية في التطور، لكون الترتيب التتابعي لصوامت الجذر والدلالة التراكمية لصوامته تعطي المتلقي القدرة التمييزية السليسة على إدراك العربية عن طريق الوحدة اللغوية الأصغر كما ان ثبات الجذر العربي الثلاثي الذي لا يقبل انضمام المزيادات الدالة إليه (المورفيمات) كطريقة الإلصاق، فهي ليس من التصريف العربي بشئ، فضلاً على كون الحركات العربية القصيرة التي توضع فوق الصوامت محددة كميتها الصوتية قد اسهمت إسهاماً كبيراً في الحفاظ على الدلالة الصامته العربية من التشتت والضياع على مر العصور. وما دامت العربية تتمتع بمثل هذه الحصانة الذاتية في حماية نفسها بفضل جذورها الراسخة ونظامها الصوتي المحصن،

..... الجوانب الخفية من ثقافة اللغة العربية

فبالإمكان اكتشاف قواعد اللغات الأخرى وإحيائها عن طريق الاستناد إلى النظام الصوتي العربي الصامت، إذ "تعد الحقائق الراسخة أدلة موثوقة على الحجية العلمية بما فيها اللغوية، حيث إن المسلمات العلمية العامة، والموجودة في اللغات السامية والهندوأوربية مثل التقسيم الواضح لأجزاء الكلام والتنشئة والتصريف توحى بالتقارب الصوتي القواعدي لهذه اللغات المنتمية إلى طوائف لغوية مختلفة" (الفوادي، 2015:5)، فضلاً عن كون الممثل الوحيد للغات السامية الذي لم يتعرض للاندثار هو اللغة العربية، والذي يمكن على أساسه كشف لغات من طوائف تتباعد عنه، يعد قدرة فريدة للعربية على الثقافة المقننة، إذ "يبقى الكثير غير محلول في الاحتياط القاموسي للإنجيل السلافي القديم مالم يوضح جوهر جنور كتابي العهدين القديم والحديث"، وهذا يدل على سمو الأصل السامي للغات، وسمو العربية عليها، حيث سبق وتم إحياء العبرية على أساس قواعد العربية.

تتأقّف العربية اللغات الهندو أوربية بكون كمها الصوتي الصامت الدال يتحدد بالصوامت المرافقة له، أي إن الحركات الصوتية القصيرة المعبرة عن قصر وطول الصامت الموجود في الكتابة تكون حالة فريدة قل نظيرها وثبتت صحتها ما دام "الصوت في الكلمة هو أداة تفعيل الفكرة ووضعها والإمساك بها أمامك كشيء خاضع لفعل الفكرة التالية، حيث إن بذل القوة لنطق الصوت في الكلام بتلك الدرجة التي بدونها لا يمكن الإمساك بالدلالة أمامك، وكلما ضعفت طاقة الفكرة، احتاجت إلى الصوت كداعم خارجي" (بوتنبيا، 1952، 65)، حيث نجد أن الحركات في الفعل العربي توضع فوق الصوامت للدلالة على طول وقصر هذه الصوامت وبالتالي التعبير عن المعاني القواعدية أيضاً، كما في كَتَبَ (فعل ماضي)، كُتِبَ (مبني للمجهول)، لذا فإن المستوى الصوتي الأول الذي يتحدد فيه الكم الصوتي المعياري للمفردة العربية ولنفترض على وزن (فَعَلَ) يعطي هذا الوزن صيغة معيارية للتغير اللاحق بغية الاستمرارية القواعدية والتصريفية على أساس تتلوب الحركات في جذر الفعل فيتم التعبير عن المعاني القواعدي المختلفة وهذا ما التفت إليه هومبلت وشخصه بدقة: "الأصح تمثيل الصوائت والصوامت ليس كأصوات منفصلة، بل كمعرفات للصوامت... الصوامت والصوائت في

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المقطع الصوتي تلفظ ككل واحد... وفي المقطع يتمثل ليس صوتان أو أكثر كما اعتدنا رؤيته في الكتابة بل صوت واحد ينطق بطريقة محددة... وفي الحقيقة، فإن الصامت والصائت يُعرّفان أحدهما الآخر بطريقة يدركها السمع كوحدة غير قابلة للتجزئة، ولكي تمثل هذه الترابط الطبيعي في الكتابة، فمن الأصح تمثيل الصوائت ليس بحروف بل كمعرف للصامت كما هو معمول به في سلسلة تامة من اللغات الآسيوية" (هومبلت، 1984: 86-87).

وبالنظر الدقيق إلى صحة تمثيل الصائت معرفاً ومدققاً للصامت، فإن الكتابة العربية التي تعتمد وضع الحركات فوق حروفها الصامتة تسير وفق النظام الصوتي الذي يعتبر الصامت والصائت وحدة صوتية واحدة، وهذا عين الصواب ودلالة علمية راجحة على أن المقطع الصوتي العربية الواحد يؤدي ليس دوراً صوتياً في تحديد الكمية الصوتي للصامت فحسب بل ودوراً قواعدياً ليُعلم الحالة القواعدية للصيغة الجذرية للفعل العربي (رَبَّحَ، ذَهَبَ، رَكَبَ)، فدلالته فعل ماض بفعل الحركات التي حددت الكم الصوتي لصوائت الجذر بالفتحات الثلاث التي دلت على أن الفعل في الزمن الماضي، كما يدل استخدام الحركات الصوتية القصيرة في العربية على أرجحية الكتابة العربية على الهندو أوربية، حيث تمثل الهندواوربيات أصواتها الصائتة بحروف، وهذا هو السبب الرئيس لتهدم نظامها الصوتي وتشتتها، فعندما تكتب الصوائت بحروف صوتية، فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللهجات وبالتالي يصير إلى ظهور لهجات مختلفة وبالنسبة لانهيار الدلالة الصامتة وظهور لغات مختلة كما نشهده اليوم في اللغات الهندو أوربية، فمحافظة العربية على نفسها لقرون عدة يأتي بفعل نظامها الصوتي الفريد الذي تم رسمها في كتابتها وتمثيل صوائتها وصوائتها، دون أن نغفل ما للقرآن الكريم من فضل عظيم في الحفاظ على العربية، إلا أن القواعد العلمية في العربية ليست من صنع البشر، بل هي قواعد مقننة.

ويجب أن لا نغفل أن الكتابة العربية التي رسمت وضع الحركات فوق الصوائت تشكل نوعاً راقياً من التمثيل الصوتي للمقطع الصوتي الذي يعرف فيه الصائت الصمت ويمنحه القوة اللفظية كما ويعلم الجذور من الناحية القواعدية كما سوف نأتي على شرحه لاحقاً.

..... الجوانب الخفية من ماثقة اللغة العربية

الماثقة في القواعد الصرفية الصوتية: تنسم العربية بقدره فريدة على الاشتقاق بتغير الكم الصوتي لصوامت الجذر، أي بتغير الكم الصوتي لمجمل الجذر، مما يؤدي إلى التعبير عن المعاني القواعدية والدالية التي يتم الإفصاح عنها في اللغات الهندوأوربية في أغلب الأحيان بالإلصاق، حيث يكتسب الجذر العربي معلماته القواعدية والدالية بتغير كمه الصوتي نتيجة لتناوب الصوائت الذي يؤدي بدوره إلى تغير الكم الصوتي للصوامت الدالة، فالصوامت التي تم تحديد كمها الصوتي المعياري بالحركات في صيغها الجذرية الموزونة وفق الميزان الصرفي العربي الضابط للتغيرات الصوتي في الأفعال يكون الكم المعياري الذي على أساسه يتم التناوب بين الحركات الصوتية المغيرة لكم الصامت، فالصائت والصامت في المقطع الواحد هما كتلة صوتية متلازمة في كل صوتي جذري مترابط يؤثر تغيير أحد صوائته في مجمل الكم الصوتي للجذر، فعند اشتقاق اسم الفاعل من الأفعال التالية، التي وزن كافة صوامتها (فتحة) عَصَبَ، عَصَرَ، عَصَفَ، يتناوب مع الوزن الصرفي لاسم الفاعل عاصِبُ، عاصِرُ، عاصِفُ، حيث تمت إطالة الفتحة التي على الصامت الأول مما أدى إلى زيادة كمه الصوتي، وتناوبت فتحة الثاني مع الكسرة، وفتحة الصامت الثالث مع الضمة ليكتسب الجذر العربي المعلمات القواعدية (اسم، مذكر، مفرد، مرفوع)، ومعلماته الدالية التي انتقل بها من حالته إلى حالة أخرى، فعلى المستوى القواعدى انتقل الجذر من أحد أقسام الكلام الفعل إلى الاسم، واكتسب الفردية والتذكير نتيجة لتغير الكم الصوتي لصوامته، وكذلك اكتسب دلالة، فضلاً عن قدرة الجذر العربي على مواصلة مرونته الصرفية للاشتقاق اللاحق كاشتقاق المثنى (عاصيان، عاصران، عاصفان)، فإذا كانت الألف الأولى قد ضاعفت الكم الصوتي للصامت الأول عند اشتقاق اسم الفاعل المفرد، فإن الألف الثانية في المثنى، التي وقعت عند نهاية الصوامت الجذرية تضاعف الكم الصوتي لمجمل الجذر ليعبر عن التنثية، أما النون في المثنى، فهي تتوین مضاعف، وبالإمكان أيضاً تأنيث المثنى بإضافة أحد حروف الزيادة (سألتمونيها)، التي لها قدرة فريدة على الدخول على الجذر العربي دون المساس بدلالته العملية، أي الفعل الذي يعبر عنه الجذر الفعلي، بل تدخل للتعبير عن معنوي قواعدية معضة

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

كالتأنيث، والتثنية والجمع والأمر والزمن وغيرها، وبذلك تتمتع العربية بحصانة جذرية تامة تفوق بذلك كافة اللغات بما فيها الهندوأوروبية مجتمعة، فليس هناك وجود للمزيدات المورفيمية الدالة في اللغة العربية عند الاشتقاق، ولا يمكن أن تحوي العربية الإلصاق الذي يوجد في اللغات الأوروبية، والذي يفهم بدخول مزيدة دالة مؤثرة في المعنى الاساسي للمفردة، أما ما يدخل عند الاشتقاق في العربية فهو حرف الزيادة وهي حروف قواعدية لا تمس دلالة الجذر، وهذه مثاقفة لا مثيل لها في كافة لغات العالم، حيث تتم القوقعة في المستوى الثاني الصرفي الصوتي عن طريق تغير الكم الصوتي لصوامت الجذر عند تناوب الصوائت المنضبطة بالميزان الصرفي العربي، أما بعض التناوبات التي يمكن ملاحظتها في الهندوأوربيات فلا ميزان صرفياً ضابطاً لها، وتبقى قواعدها متناثرة دون قواعد موحدة لها.

وهذه القدرة الفريدة للعربية تشكل جانباً خفياً في مثاقفتها للغات الأخرى، حيث بالإمكان الاعتماد عليه في إعادة النظر بتصنيف اللغات، حيث إن الهيكل الجذر في المفردات العربية مطاوع للتصريف بنسبة تامة ولا يقبل الإلصاق على خلاف اللغات الهندوأوروبية التي ينزع أغلبها إلى الطابع الإلصاقى عند الاشتقاق، مما يجعل عملية تصنيف اللغات المتصرفة بحاجة إلى نظر علمي دقيق يأخذ بالاعتبار مطاوعة الجذر التصريفية واستقلاليتها الدلالية وعدم خضوعه للمزيدات المورفيمية التي تخضعه لمعلماتها القواعدية كما يحدث في اللغات الأوروبية، على حين يكتسب الجذر العربي معلماته القواعدية والدلالية بالمطاوعة التصريفية المبنية على تغير الكم الصوتي الصامت للجذر بفعل تناوب الصوائت، أي "القواعد الصوتية الدلالية" لتساعد المستويات التصريفية التقدمي، أي إن الجذر يتصرف تقدماً من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى دون السماح لأي مزيدة بالتأثير في عملية تعليمه القواعدية الصوتية التصريفية، وهذا خلاف ما يحدث في اللغات الهندوأوروبية حيث تضيف اللاصقة معلماتها القواعدية على الجذر عند التحامها به، وهذا جانب خفي آخر من قدرة العربية على المثاقفة اللغوية الفريدة.

القاعدة الصوتية الإعرابية: تكتمل القواعد الصوتية الإعرابية بناء على ما سبقها من

..... الجوانب الخفية من ثقافة اللغة العربية

المستويات اللغوية (الأول - الصوتي، والثاني الصرفي)، أي إنها نتيجة تفاعل المستوى الثالث مع المستويين الأول والثاني، حيث إن العربية تتألف اللغات الأخرى في هذا المستوى بكونه مترابطاً مع المستويين ومبنياً عليهما، فإذا كان المستوى الأول قد حدد مجموعة صوامت الجذر الموضحة لدلالاتها وقيمتها الصوتية المحددة بالحركات **قَطَعَ**، **فَرَزَ**، **عَصَرَ**، فإن المستوى الثاني قد أكسبها صفاتها القواعدية (**قاطع**، **فارز**، **عاصر** - مفرد مذكر مرفوع)، التي يمكن في ضوئها أن تتم عملية الإعراب في المستوى الثالث، والذي يبين العلاقة النحوية بين المفردات داخل الجملة (اشتريت القاطع، مررت بالفارز، تحدثنا عن العاصر). لقد أكسب المستوى الأول الجذر دلالاته المحددة بصوامت معينة، ثم احتفظ المستوى الثاني بهذه الدلالة وقوّعدها، أي أكسبها صفاتها القواعدية من حيث الجنس والعدد والحالة القواعدية، واحتفظ المستوى الثالث بنفس الدلالة التي تكونت في المستوى الأول، وتمت عملية الإعراب بناء على المُعلّقات القواعدية التي تم اكتسابها في المستوى الثاني، ثم تم بيان العلاقة النحوية بين المفردات داخل الجملة بتغيرات صوتية محضة، وهذا ما نسميه بالجامع الصوتي.

الخاتمة

تمتاز العربية بقدرة فريدة على التمييز الدلالي لمفرداتها على أساس الصوتية الواحدة، حيث إن الترتيب المتبع لصوامتها يكسبها دلالة تمييزية فريدة، مما يجعل حاملها قادرين على التمييز على أساس الصامت الواحد، فترتيب الصوامت داخل الجذر يكسب حاملها العربية القدرة على تمييز الدلالة على أساس الوحدة اللغوية الأصغر "الفونيمة"، حيث يتم التمييز الدلالي للجذور ذات الدلالة العامة، أي المتماثلة في المعنى العام بتغير الصوامت كما في (**قَطَعَ**، **قَطَمَ**، **قَطَفَ**، **قَطَشَ**)؛ (**فَرَدَ**، **فَرَثَ**، **فَرَمَ**، **فَرَزَ**)؛ (**عَصَبَ**، **عَصَرَ**، **عَصَفَ**)، حيث يحدد الصامتان الأولان الدلالة الأساسية للجذر (**قَطِ** - تفيد القطع، والصامت الثالث يحدد نوع القطع كما في **قَطَعَ**، **قَطَمَ**، **قَطَفَ**، **قَطَشَ**؛ **فر** - تفيد التجزئة والتفرقة، ويحدد صامتها الثالث نوع التجزئة كما في **فَرَدَ**، **فَرِثَ**، **فَرَمَ**، **فَرَزَ**؛ **عص** - تفيد الضغط والصامت الأخير يحدد نوع

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الضغط كما في **عصب، عصر، عصف**)، في حين فقدت اللغات الهندو أوروبية هذه الخاصية، وذلك بانحلال طابعها الصوتي في القرون البعيدة ، ولها ميزات تتألف بها اللغات الأخرى:

القاعدة الصوتية الصرفية: ونقصد بها قدرة الجذور العربية التصريفية على التغيرات الاشتقاقية دون الحاجة إلى اللواحق بخلاف الهندوأوريبات، حيث يكتسب الجذر العربي مُعلماته القواعدية نتيجة لزيادة الكم الصوتي لصوامته، فإذا كان المستوى اللغوي الأول يسهم في تشكل الدلالة الأساسية للجذر العربي بناء على اتحاد صوامت معينة، فإن المستوى اللغوي الثاني يسهم في اكتساب الصيغ الجذرية المصرفة الخصائص الصوتية القواعدية **كالجنس والعدد والحالة القواعدية** كما في زيادة الكم الصوتي للصامت الأول من الجذر العربي عند اشتقاق اسم الفاعل **المذكر المفرد المرفوع (قَاطِعٌ، فَارِزٌ، عَاصِرٌ)**، حيث يتضاعف الكم الصوتي للصوامت الأوائل في الجذور **قَاطِعٌ، فَرَزٌ، عَصَرَ**، وذلك بتحول فتحته إلى صائت تام الصوتية (الألف)، وبذلك اكتسبت الصيغة الجذرية (جنسها "مذكر"، وعددها "مفرد"، وحالتها القواعدية "مرفوع"، وبذلك يكون اكتساب المُعلمات القواعدية للصيغة الجذرية

القاعدة الصوتية الإعرابية: وهي تفاعل المستوى الثالث مع المستويين الأول والثاني، فهو تفاعل صوتي صرفي مبني على ما تم في المستويين الأول والثاني، فإذا كان المستوى الأول قد حدد مجموعة صوامت الجذر الموضحة لدلالاتها وقيمتها الصوتية المحددة بالحركات **قَاطِعٌ، فَرَزٌ، عَصَرَ**، فإن المستوى الثاني قد أكسبها صفاتها القواعدية **(قَاطِعٌ، فَارِزٌ، عَاصِرٌ - مفرد مذكر مرفوع)**، التي يمكن في ضوءها أن تتم عملية الإعراب في المستوى الثالث، الذي يبين العلاقة النحوية بين المفردات داخل الجملة (اشتريت القاطع، مررت بالفارز، تحدثنا عن العاصر). لقد أكسب المستوى الأول الجذر دلالاته المحددة بصوامت معينة، ثم احتفظ المستوى الثاني بهذه الدلالة وقَوَّعَهَا، أي أكسبها صفاتها القواعدية من حيث الجنس والعدد والحالة القواعدية، واحتفظ المستوى الثالث بنفس الدلالة التي تكونت في المستوى الأول، وتمت عملية الإعراب بناء على المُعلمات القواعدية التي تم اكتسابها في المستوى الثاني، ثم تم بيان العلاقة النحوية بين المفردات داخل الجملة بتغيرات صوتية محضة، وهذا ما نسميه بالجامع الصوتي.

.....الجوانب الخفية من ماثقة اللغة العربية

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن جنى (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، دار الحديث، القاهرة، 2007م.
3. ابن خلدون، (عبد الرحمن)، المقدمة، الطبعة الخامسة، الجزء الثالث، ردمك، حققها وقدم لها وعلق عليها عبد السلام الشدادى 2005م.
4. بوتينا، أ. أ. من المدونات فى القواعد الروسية، موسكو، دار نشر اوجبيديز، 1958، ص 56.
5. بودويين ديكونينيه، مدخل إلى علم اللغة، دار النشر السادسة، موسكو، 2004.
6. أمروفا ت. أ. تاريخ علم اللغة، مركز الاصدار "اكاديميا"، موسكو، 2005، 272 ص.
7. بوسلايف ت. ف، تدريس اللغة الوطنية، دار نشر بروسفيشينا، موسكو، 1992، ص 199.
8. رحيم على الفوادي، القواعد الصوتية الدلالية التقدمية: مبادئ البنية الصوتية العربية، مجلة العلوم اللغوية، دار نشر غراموتا، روسيا، مدينة تامبوف، العدد 5 (47) فى جزئين الجزء الأول الصفحات من 23-13.
9. د. نايف خرجا، ود. على حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة (1988).
10. هومبولت، ف. فون، الاعمال المختارة فى علم اللغة، دار التقدم، موسكو 1984، 396 ص.
11. القاموس الموسوعى فى 86 جزء، تحقيق ك. ك. ارسينييف، والاستاذ ف. ف. بيتروشيفسكى، سانبطرسبورغ، طوبوغرافيا براكاوز - افرون، 1902، المجلد (71)، 1902، فنلندا- فرانكونيا، 478 ص.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

بحوث في الترجمة

واقع الترجمة في الوطن العربيّ

د. ميسون زهري

كلية الآداب – جامعة دمشق

أهمية الترجمة

كثيراً ما تسمى الترجمة أم العلوم وهي بحق كذلك، وهي ثمرة تواصل العقول البشريّة عبر الحضارات والثقافات المختلفة لتبادل الأفكار والمفاهيم المتنوعة وحفظها في الوعي الجمعي للبشرية للإفادة منها في كل مناحي الحياة.

وقد شهدت حركة الترجمة في الوطن العربيّ ذي الموروث الثقافيّ الغني نشاطاً غير مسبوق نتيجة لسهولة أدوات التواصل والثورة التكنولوجية الحديثة في قطاع المعلوماتية والحواسيب، إلاّ أن حركة الترجمة هذه لا تزال قاصرة عن سدّ الحاجات الملحة المتزايدة لطلاب العلوم الذين غالباً ما يستقون موادّهم العلميّة من المصادر الأجنبية، كما لا تزال قاصرة عن نشر الثقافة العربيّة في البلاد الأجنبية بسبب ندرة ترجمات الأعمال الأدبيّة العربيّة والسبب الذاتي لكبار الشخصيات العربيّة إلى اللّغات الأجنبية لأسباب متعدّدة وذلك على الرّغم من القرب الجغرافي النسبي مع الغرب الذي لم ينقطع حبل التفاعل الفكريّ والثقافيّ والتاريخيّ معه عبر العصور.

تاريخ الترجمة

وكما هو معلوم أقلعت حركة الترجمة مع مطلع عصر بني أمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية حيث شجع الترجمة من اليونانية إلى العربيّة، وقُوِيَتْ حين أطلق الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز العنان لترجمة الكتب الطبية استجابةً للحاجة الشعبيّة لهذا العلم، وازدهرت

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

حركة الترجمة في العصر العباسي وعلى وجه الخصوص في عهد الرشيد والمأمون حيث أُنعت نهضة علمية عربية إسلامية تمتد آثارها إلى يومنا. هذا وكانت الترجمة حجر الزاوية فيها وقد أخذ المسلمون والعرب يتناولون العلوم المختلفة بالترجمة إذ ترجموا كتب اليونان و الهنود و الفرس و نقلوا إلى اللغة العربية من التراث العلمي والفكري لهذه الشعوب.

وقد عاشت حركة الترجمة إلى العربية هذه حقبة ازدهار امتدت حتى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، حيث استقت اللغة العربية من الموروث الفكري والثقافي للأمم المشهود لها بحضارات قديمة ذات جذور ضاربة في التاريخ. وقد أضاف العرب والمسلمون أصالتهم وابتكاراتهم وبنات أفكارهم الجديدة إلى هذه العلوم وطوروها في بيئة خصبة تفاعل فيها موروث الأمم السابقة مع الحضارة العربية الأصيلة بما فيها من خاصية ثقافية متميزة. ومع حلول القرن الحادي عشر الميلادي امتداداً إلى القرن السادس عشر شهدت أوروبا عصر النهضة حين استقت بغزارة من الموروث العربي الإسلامي وما نقله وأضاف عليه العرب عن اليونان وأخذوا ينقلونه من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة العلم آنذاك في أوروبا. وبذلك ما من شك في أن الترجمة عن العربية قد أسهمت في إيقاظ أوروبا من العصور التي كانت تغرق فيها في حلقة ظلام دامس في القرون الوسطى.

وفي أيامنا هذه، في عصر العلوم والتقنيات المستحدثة، فإن العمل الدؤوب والجهود الجبارة التي يقوم بها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في دمشق يمثل عصاره فكرية نحن بأمس الحاجة إليها، حيث يطور المركز الترجمة من العربية وإليها ويستنتب العلوم في بيئة أصيلة تمكن من ازدهارها بما يقدمه من دعم لحركة الترجمة يدأ بيد مع مجمع اللغة العربية حيث يتم العمل على إصدار معاجم جديدة في المواد العلمية بأنواعها المختلفة.

أما في مجال ترجمة المصطلحات ونقلها إلى العربية فإن المجمع اللغوية في الوطن العربي قد أنجزت حسب الزبيدي في كتابه الترجمة إلى العربية (ص 22) ما يربو على مئة ألف مصطلح تضمنتها عشرة معاجم علمية متخصصة. ولابد من تسليط الضوء على المهام

واقع الترجمة في الوطن العربي

التي يحملها مكتب تنسيق التعريب بالرباط الذي نشر ما يزيد عن أربعين مرجعاً تحتوي بين دفتها على عشرات آلاف المصطلحات العلمية مكوناً بذلك كنزاً معرفياً تهل من مورده حركة تعريب واستنبات العلوم في الوطن العربي بعقول وأيدي أجياله الشابة التي عقدت العزم على طبع العلوم الحديثة بطابع هويتها الثقافية ولغتها العربية المتميزة التي تتحدث بها امتدادات بشرية من أعراق مختلفة تصل إلى أقاصي المعمورة.

وقد انبرت المنابر الإعلامية في الوطن العربي للتنبيه على أهمية الترجمة وتشجيع وتسريع عجلتها باعتبارها عاملاً أساسياً في تعريب العلوم يُمكننا من اللحاق بركب العلوم الحديثة التي تسير بخطى سريعة في سباق عالمي محموم يؤمن أن من يملك ناصية العلوم إنما يملك زمام القوة والسطوة بكل ما في الكلمة من معنى.

ولابدّ من أن نعرّج هنا على شراكة مركز التعريب بدمشق مع المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط. حيث عقد المركز في سياق استنبات العلم وتوطين وتعميم المعرفة عربياً اتفاقية تعاون مع المكتب الإقليمي هذا شملت عدة مجالات بما فيها قيام المركز بترجمة كتب لمصلحة المنظمة صدر منها، على سبيل المثال لا الحصر – ما يلي:

- سلسلة تدبير مرض السل 12 كتيباً.
- سلسلة الصحة النفسية 10 كتيبات.
- سلسلة الأمراض الحيوانية المصدر 3 كتب.
- الكتاب المرجعي لمنظمة الصحة العالمية في الصحة النفسية وحقوق الإنسان والتشريع كتيب قوة الشراكة.
- برنامج القيادة من أجل التغيير من المجلس الدولي للممرضات.
- مرجع في الصحة السنية.
- كتاب الفحص الفيزيائي للجسم.

كما قام المركز بالمشاركة مع المنظمة بترجمة ونشر العديد من الكتب، ضمن سلسلة

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الكتاب الجامعي، وهي تعتمد للتدريس في الكليات الطبية نذكر منها:

- الوقاية من سرطان الرئة المُبكر وكشفه.
- طب الجلد السريري.
- الكيمياء الحيوية المتكاملة.
- المراجعة السريعة للكيمياء الحيوية.
- الطيف التوحيدي (الذاتوية)، الخصائص، والأسباب وقضايا تطبيقية.
- كيمياء الغذاء.
- طب الكوارث.

ولعل أهم نتاج للتعاون بين المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط والمركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق هو الترجمة الشهرية لنشرة منظمة الصحة العالمية إلى اللغة العربية لتصدر في بداية كل شهر باللغتين معاً في وقت واحد، ولتكون اللغة العربية هي اللغة الثانية الوحيدة التي تصدر بها النشرة في العالم بعد أن كانت تقتصر على الإنجليزية.

وقد فتحت موضوعات هذه النشرة الباب أمام تعميم المعرفة الصحيّة حيث تركز على موضوعات حيويّة للمجتمع بأسره دون أن تختص بالأطباء أو العاملين الصحيين فقط.

فوضع هذه المقالات المتعلقة بالصحة العمومية الدوليّة الموثوقة والمتنوعة في مجالاتها بلغتنا الأم بين أيدي أفراد المجتمع ككل إنجاز كبير جدير بالتطوير والدعم لأنّه ينعكس إيجابياً على الواقع الصحي والبحث العلمي والتعليمي والاجتماعي لبلادنا، كما يتيح للأفراد الاطلاع على المعلومات الصحيّة التي تخصهم، وبذلك يحظى الأفراد بالتنوعيّة الصحيّة انساقاً مع النظرة الشمولية للصحة العمومية التي تربط بين الصحة والجوانب السلوكيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والبيئيّة كما جاء في بحث رهانات الترجمة وتوطين العلوم للأستاذ الدكتور زيد العساف (ص 4-6).

واقع الترجمة في الوطن العربي

ولقد تمّ استخلاص الكثير من المصطلحات الجديدة في ميدان الصحة العموميّة ووُضِعَ مقابل لها بالعربيّة بما يُغني المعجم الطبي الموحد ويدفع عجلة حركة التعريب ودعم اللّغة العربيّة قدماً إلى الأمام. ولا يخفى على أحد جهود مركز التعريب في نقل المعارف والعلوم المهمة من الشعوب الأخرى إلى لغتنا الأم، فتطور وتبتكر هي بحد ذاتها لتصبح البوتقة التي تزخر بالعلوم كافّة وتقدم العلم للجيل العربيّ الشاب بلغته الأم حتى يساهم في تقدم حضارته وثقافته وتكون له مساهمته الجادة للبشرية جمعاء.

ومن هنا نتبين أن الترجمة ليست مجرد فن كلامي بل هي حاجة ملحة تتطلبها المجتمعات حيث تستجلب وتستولد ما ينقصها من حضارات الشعوب الأخرى وهي حركة تبادليّة كحركة البضائع والسلع من شأنها أن تُوصل البشريّة إلى حالة إنسانيّة تكاملية حيث يقتطف الجميع ثمار المعرفة ومنها تنمية المجتمعات لتصل إلى بناء حضارة إنسانيّة تخدم الجميع وتعمل على رفاه وازدهار الإنسانية.

واقع الترجمة في الوطن العربيّ

إن حركة الترجمة في الوطن العربيّ مع إنجازاتها المشهود لها بالتميز ومع آفاقها المستقبلية لا تزال تسعى إلى التوسع والاستمرار، حيث تتعدد الجوائز وتتنوع المؤسسات وتنشعب مواضيع الكتب المترجمة وتضج الصحف بدعوات إلى دفع حركة الترجمة إلى الأمام باعتبارها محرك نهضة علميّة وتكنولوجيّة في مختلف مناحي الحياة. وقد نشأ اتحاد دولي للمترجمين بدأ أعماله عام 1953م وينظم مؤتمراً كل ثلاث سنوات ليناقد أبحاثاً متنوعة في الترجمة وشؤون المترجمين، غير أن حركة الترجمة هذه قد شهدت تراجعاً في الوطن العربيّ أخيراً، حيث تذكر إحصائية لمنظمة اليونسكو حسب ما ورد في كتاب الترجمة إلى العربيّة، مشكلات وحلول لمؤلفه دوان الزبيدي (ص 22-24) أن إنتاج الكتب المترجمة في عام 1970م كان أحد عشر في الألف قياساً بما أُنتج في سائر أنحاء العالم، أما في عام 1986م أي بعد ستة عشر عاماً، فتراجع ما ترجم في الوطن العربي إلى ستة في الألف، وليس التراجع في الكم

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

فقط بل في الكيف أيضاً وقد تقلص الإنتاج المترجم في ميدان العلوم الأساسية بدرجة كبيرة، فالدول العربية اثنتان وعشرون دولة يصل مجموع ما تصدره تسعة آلاف كتاب جديد سنوياً في حين يصدر الصهاينة عشرة آلاف كتاب بالعبرية سنوياً معظمها مترجم عن لغات أخرى. ومعروف للجميع كيف أن من أول قرارات الصهاينة إنشاء مجمع للغة العبرية وجهودهم المستمرة في إيقاظ العبرية التي كانت قد اندثرت ومرّ عليها حين من الدهر لم تكن فيه شيئاً مذكوراً.

أما من العناوين المضيفة التي تُحسب لمصلحة المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق أنه قد أصدر حتى الآن /132/ كتاباً علمياً مرجعياً تضم أجزاء متعددة وتشمل الاختصاصات العلمية المتنوعة وقد حاز المركز شرف الحصول على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ثلاث مرات للأعوام 2004، 2006، و2008 عن أفضل كتاب علمي مترجم للعربية.

والحال هذه أخذت أيضاً مؤسسات عربية تجدّ في تحفيز حركة الترجمة وتعنى بها ونورد على سبيل المثال:

1. المركز القومي للترجمة.(مصر).
2. المنظمة العربية للترجمة (لبنان).
3. المعهد العربيّ العالي للترجمة (الجزائر).
4. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة" (أبو ظبي).
5. المركز العربيّ للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (دمشق).
6. مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم "ترجم" (دبي).
7. المركز الوطني للترجمة وبيت الحكمة (تونس).
8. وزارات الثقافة في الكويت (عالم المعرفة/ من المسرح العالمي) وفي سورية والعراق وغيرها.
9. مدينة عبد الله العلمية (السعودية).

..... واقع الترجمة في الوطن العربي

10. مؤسسة موزة (قطر).
 11. مدارس الترجمة في الوطن العربي في الجامعات والمعاهد.
 12. مؤتمرات عديدة في مواضيع الترجمة والتعريب تضع التوصيات والخطط لرسم استراتيجية عربية متكاملة للترجمة برعاية المنظمة العربية للتعليم والثقافة والعلوم.
- وكل هذه الجهود تصب في تأسيس وتنشيط قاعدة معرفية ثقافية قومية تراكمية للبناء عليها وتطويرها حيث تترك هذه الجهات أهمية حماية هوية الأمة الثقافية والمحافظة عليها وترسيخها، حيث تتطلب التحديات المستقبلية المزيد من البرامج والجهود بالتنسيق بين مؤسسات التربية والثقافة الحكومية والخاصة على امتداد الوطن العربي والتي تحمل على عاتقها مهمة مقدسة ألا وهي بناء الأجيال للمستقبل متشربين ومسلحين بالقيم العربية الأصيلة، ومحافظين على تراثهم المتميز الغني.
- غير أن حركة ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأجنبية مازالت بحاجة إلى دعم وتنشيط؛ ولم يُقرأ إلا عدد قليل من الكتاب العرب في الغرب، نذكر منهم الكاتب المصري نجيب محفوظ إثر فوزه بجائزة نوبل عام 1988م.
- وحسب ورقة بحث الترجمة لجان جبور ص (3-5)، فإن ثمة جهوداً تبذل في نطاق مشروع الترجمة السعودي العالمي "متسع" الذي عمل على نشر عدد من أعمال الكتاب السعوديين للتعريف بالحركة الثقافية السعودية باللغات الحية. وكذلك المشروع الذي تنشر فيه الإمارات ترجمة أعمال مختارة لأدبائها باللغات الأجنبية، وقد تُرجم أيضاً جمال الغيطاني، وأدونيس، وإلياس الخوري وإبراهيم الكولي ومحمود درويش وحنا مينة وسحر خليفة وحنان الشيخ وأنسي الحاج في إطار برامج مؤسسات أجنبية وليس عربية مثل مشروع "ذاكرة المتوسط" الذي تدعمه المؤسسة الثقافية الأوروبية في أمستردام ومؤسسة ليترورم التي تدعمها وزارة الخارجية الألمانية ومؤسسة بروهلفينيا السويسرية.
- ولا ننسى هنا المشاريع والبرامج المتعددة تحت مظلة مركز التعريب والترجمة والتأليف

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

والنشر بدمشق الذي حاز جائزة خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز للترجمة عام 2012م المخصصة لجهود المؤسسات والهيئات. وفي مجال مشروع المركز بدمشق لنقل إسهامات العرب والمسلمين في الحضارة العالمية، فقد نقل المركز كتاب العلوم عند العرب إلى الإسبانية وكتاب مقام العقل عند العرب إلى الفرنسية وكتاب إضاءات على تاريخ الإدارة عند العرب إلى الإنجليزية.

وكذلك مشاريع وزارة الثقافة السورية في خطتها القومية للترجمة والبرامج المتعلقة بها. وكل هذا يهدف إلى إطلاع الشعوب الأخرى بالنقل من العربية إلى لغات تلك الشعوب، على النتاج الفكري والثقافي للأمة العربية ليضيف إلى الوعي الجمعي للبشرية. ويُعد برنامج منظمة اليونسكو الذي بدأ منذ عام 1948م ذا أهمية مفصلية في ترجمة الأدب العربي بانتظام إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية على وجه الخصوص. وتقوم لجان من الخبراء باختيار هذه الأعمال الأدبية. وكما وجدت الثقافة العربية طريقها إلى الغرب في الماضي وكانت منصة انطلاق للنهضة الأوروبية فيما بعد، فإن العقول والأكاديميين الغربيين أخذوا يعترفون بأهمية هذه الثقافة ووعائها اللغوي المميز حيث أعلنتها الأمم المتحدة واحدة من لغاتها الست.

وبذلك نجد أن ركائز حركة الترجمة في العالم العربي تعتمد على المؤسسات الحكومية التي تعمل تحت خيمة وزارات الثقافة أو التربية أو الإعلام أو التعليم العالي أو الجامعات، إضافةً إلى دوائر متنوعة في وزارات مختلفة، كما تقوم دور النشر الخاصة بنشر ترجمات من العربية وإليها حسب المعايير التجارية وقانون العرض والطلب بهدف تحقيق الربح المادي. وكما ذكرنا آنفاً فإن بعض المؤسسات الأجنبية إضافةً إلى اليونسكو تدلو بدلوها أيضاً في نطاق الترجمة.

المعوقات التي تعترض حركة الترجمة في مسيرتها

لكن المعوقات أمام حركة الترجمة هذه لا يُستهان بها، فحسب دراسة رهانات الترجمة وتوطين العلوم للأستاذ الدكتور زيد العساف مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف

..... واقع الترجمة في الوطن العربي

والنشر بدمشق (ص 3)، فإن الإحصائيات الواردة في تقرير صادر عن الأمم المتحدة تفيد أن الصهاينة يترجمون نحو خمسة عشر ألف كتاب سنوياً إلى لغة ميتة أصلاً هي اللغة العبرية، في حين لا يزيد عدد الكتب التي تقوم الدول العربية مجتمعة بترجمتها إلى اللغة العربية عن ثلاثمئة وثلاثين كتاباً سنوياً مما يظهر أن ما يترجمه العرب إلى لغتهم التي هي من أكثر اللغات انتشاراً في العالم إنما هو ضئيل جداً بالمقارنة مع الترجمات التي تقوم بها شعوب أخرى إلى اللغات الأخرى.

ومن أهم أسباب هذا التقصير الذي يعيق حركة الترجمة في الوطن العربي:

1. غياب التنسيق بين مؤسسات الترجمة المختلفة.
2. اقتصار الترجمات على مواضيع تخصصية بعينها مثل المجالات الصحية.
3. ضعف الطلب على الترجمات بسبب اعتماد اللغات الأجنبية لغاتٍ تدريس في المدارس بدلاً من العربية.
4. افتقار حركة الترجمة إلى التخطيط الأكاديمي.
5. تقصير أطر القوانين المحلية عن مواكبة طموحات القمم العربية الخاصة بالتعريب.
6. قلة إطار المتخصص من أصحاب الخبرة في مجال الترجمة والتعريب.
7. عدم اعتبار الترجمة عملاً فكرياً علمياً يحتسب في الترقّيات الأكاديمية في الجامعات عدا جامعة دمشق.
8. استمرار تراكم المصطلحات الأجنبية التي تحتاج إلى تعريب.
9. استئساخ مصطلحات من الكلمات الأجنبية دون تعريبها.
10. فوضى سوق النشر دون ضوابط تنظمه مع غياب قواعد بيانات الكتب المترجمة.
11. ضعف عمليات التمويل.
12. الدعاية والدعوة لتعليم الإنجليزية والفرنسية كلغاتٍ للتقدم العلمي بدلاً من بذل الجهود في الترجمة و التعريب.

المقترحات

في ظل ما تتعرض له الهوية العربية المميزة من تحديات خطيرة بسبب العولمة والحملة الشرسة على القيم والثقافة العربية بحكم الأحداث المعاصرة في ميادين الفكر والثقافة وغيرها لابداً لنا من تقوية الوعي العربي الجمعي حول هويتنا الذاتية المتجذرة كأمة وهويتنا الوطنية أيضاً بما يكفل لنا الثبات والاستمرار والتقدم. وبذلك لابداً من وضع قضية الترجمة في صلب سياقها الثقافي الواقعي باعتبارها محفزاً ومحركاً لتجديد الفكر العربي وإغنائه، حيث لا يمكن فصل حركة الترجمة عن إطار الثقافة العربية ككل متكامل، ولابد من صب الجهود في بوتقة مؤسسات الترجمة القائمة وتفعيلها بشكل ممنهج يمتد إلى أرجاء العالم العربي كله وذلك لاستجلاب واستيلاد العلوم المختلفة بلغتنا الأم، حيث أن التنسيق بين مراكز الترجمة في الوطن العربي يضع حداً لحالة الفوضى في حركة الترجمة وتطوير حالة من النهضة في هذه الحركة.

ولا ننسى اختيار الكتب العربية التي تنقل صورة إيجابية عن فكرنا ومجتمعنا العربي للتعريف بها وإيضاح أهميتها لدى الغرب مع توفير الدعم لهذه الترجمات حتى تكون حركة التفاعل مع الغرب طريقاً ذا اتجاهين يعتمد الحوار والتبادل الثقافي وليس الصدام الحضاري الثقافي. وكما أدت الترجمة دوراً محورياً في تطور الثقافة العربية في الماضي وإيصالها إلى أصقاع الأرض، فإن من واجبنا اليوم أن لا نأل جهداً في تطويرها لتحقيق منجزات علمية وفكرية نرفد بها وعي البشرية جمعاء.

ومن المفيد لنا في هذا المضمار العمل على تنفيذ المقترحات التالية:

1. تنظيم حركة الترجمة من خلال المؤسسات القائمة وتشجيعها وتشجيع المترجمين من خلال الجوائز مثل مؤسسة موزة ومدينة عبد الله العلمية وجائزة حمد بن راشد وكذلك جوائز ابن خلدون.
2. تأهيل وتدريب وتطوير المترجمين من خلال التدريب المستمر وتنمية الأطر الإدارية المساعدة لضمان جودة الإنتاج المترجم وسرعة إنجازه.

..... واقع الترجمة في الوطن العربي

3. ربط حركة الترجمة بهيئة مركزية تشرف عليها تضمن لجمهور القراء وأولياء أمور الطلاب جودة الإنتاج المترجم وتحقيقه لمعايير الدقة والالتزام بالقيم المجتمعية العربية والأعراف السائدة.
4. تثقيف عامة الشعب من خلال الترجمات والكتب الجيدة السهلة المتناول من حيث السعر وطريقة العرض.
5. تعريب العلوم كأساس لابتكار وتطوير علوم جديدة بالعربية مع دعم اللغة العربية في المدارس والجامعات والتمكين لها في مجال الآداب أيضاً.
6. توفير المصطلحات الفنية والإعلامية وغيرها بالعربية الفصيحة لتجنب انتشار العامية التي شاعت في البرامج التلفزية والمجلات المتداولة.
7. التعاون مع مجامع اللغة العربية للإيعاز إلى المدارس والجامعات والمدرسين والطلاب لمنع ظاهرة كتابة العربية بالأحرف الأجنبية.
8. إحياء التراث العربي والإعلاء من شأنه بما فيه من غنى في كل مناحي الحياة (قصص تراثية، أزياء شعبية، معالم تاريخية) للحد من مظاهر تقليد الأجنبي في المجتمعات العربية التي سينجم عنها دون شك حالة من الاستعمار الغريب الفكري والروحي والتحول اللغوي التام إلى اللغة الأجنبية دون العربية.
9. التعميم على المدارس والجامعات بإلقاء الدروس والمحاضرات بالعربية الفصيحة وليس العامية.
10. توفير المعاجم الجيدة وتوحيد وتعميم الاستخدام المصطلحي فيها.
11. تنويع مواضيع الكتب المترجمة بحيث لا تقتصر على مادة دون غيرها.
12. توفير المجالات والدوريات المتخصصة في الترجمة.
13. تعزيز المحتوى العربي على الشائكة باللغة العربية الفصيحة.
14. تخصص المترجمين حسب مؤهلاتهم وموهبتهم في نطاق الترجمة الأدبية، وترجمة المؤتمرات وكذلك الترجمة العلمية والطبية لخريجي كليات العلوم والطب والاستفادة من

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

خبرة الأمم المتحدة في هذا المجال.

15. رعاية المترجمين مادياً ومعنوياً.

16. تتبع جهود المستشرقين والمستعربين المهتمين بالتراث العربيّ والثقافة العربيّة المعاصرة الذين يترجمون إلى اللّغات الأجنبيةّ وتوثيق الصلات مع المراكز الدوليّة والأجنبيّة في هذا المجال.

ولابدّ لهذه المقترحات إذا تم تنفيذها بشكل مقبول أن تظهر نتائجها الملموسة على الأرض بما يدفع عجلة حركة الترجمة في العالم العربيّ إلى الأمام وبما يُغني الثقافة العربيّة ويطورها بما فيه نفع للأمة العربيّة جمعاء.

ولما كان الوطن العربي مهد الحضارات الإنسانيّة القديمة ومهبط الأديان السماويّة، وبما يمتاز به من وحدة اللّغة والموقع والامتداد الجغرافي الواسع وما حباه الله به من الخيرات الطبيعيّة والموارد البشرية، فإن تفاعله مع الحضارات والثقافات والأمم الأخرى من شأنه أن يضيف بعداً ثقافياً جديداً مستحدثاً إلى جملة من شعوب العالم وليس الغرب فقط، ويضيف بذلك لوناً جديداً إلى اللوحة الإنسانيّة في العالم من أقصاه إلى أقصاه.

..... واقع الترجمة في الوطن العربي

المراجع

1. رهانات الترجمة وتوطين العلوم، الأستاذ الدكتور زيد العساف، مؤتمر التعريب الثاني عشر، الرباط 1013م.
2. مسؤوليات الهيئات والمؤسسات في دعم الترجمة، الأستاذ الدكتور زيد العساف، ندوة ساو باولو، البرازيل، 2013م.
3. الترجمة إلى العربية مشكلات وحلول، دوان الزبيدي، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 2012م.
4. الترجمة في العالم العربي: معوقات وآفاق مستقبلية، جان جبور، مؤتمر "الترجمة أداة حوار بين الثقافات"، الرباط، 2010م.
5. الخطة الاستراتيجية للمنظمة العربية والثقافة والعلوم 2017-2022، تونس، 2016م.
6. ندوة تعريب التعليم الصحي في الوطن العربي، دمشق، 1988م.
7. الخطة القومية للترجمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

*التاريخ والترجمة

بقلم: لين لونغ**

ترجمة: حميد العواضي

أستاذ اللسانيات و الترجمة بجامعة صنعاء

يمكن بلا مراء التأكيد أنه من دون الترجمة ما كان لتاريخ العالم أن يوجد.
أنظر بعين الاعتبار إلى بروز بعض الحضارات مثل حضارة العالم الروماني،
والإيطاليين، والفرنسيين، والإنجليز، والألمان، والروس، وتأمل دور الترجمة
في تطوير هذه الثقافات وتنميتها.

أويانغ (1993:27) Ouyang

ما هو بالتحديد تاريخ الترجمة؟

في بعض الأحيان يُقدّم تاريخ الترجمة بوصفه فقط تاريخاً لنظرية الترجمة، غير أن هذا

* العنوان الأصلي للمادة History and Translation وهو الفصل الرابع من كتاب جماعي بعنوان A Companion to Translation Studies تحرير Piotr Kuhiwczak and Karin Littau منشورات Multilingual Matters Ltd، كندا - أمريكا، 2007، ص 63-76.

** لين لونغ Lynne Long، أستاذة محاضرة في علم الترجمة ومديرة مركز الترجمة والدراسات الثقافية المقارنة في جامعة Warwick في المملكة المتحدة. ونشرت في مجال ترجمة الإنجيل وتاريخ الترجمة. ولها كتاب
Translating The Bible: From the 7th to the 17th. Century (2001): [ترجمة الإنجيل من القرن السابع
حتى القرن السابع عشر] ، وكتاب Translation and Religion: Holy Untranslatable (2005): [الترجمة
والدين: المقدس واستعصاء الترجمة]. ولها مشاركة في مشاريع جمعية الإنجيل الأمريكية في برنامج بحثي في
الآداب والعلوم الإنسانية عن الترجمة ونظرياتها بين الشرق والغرب في مركز الآداب الآسيوية والأفريقية.
وهي أيضا عضو في مشاريع أوربية عن الذاكرة الثقافية.

الأمر يترك مناطق شاسعة المساحة بدون اكتشاف وبدون حُسبان. وفي أحسن الأحوال، قد يقع الخط بين تاريخ نظرية الترجمة ودراسة الاتجاهات الأدبية والاجتماعية التي تقوم فيها الترجمة بدور مباشر أو مُحَفِّز. ويصبح تاريخ الترجمة هو حكاية عن التبادل بين اللغات وبين الثقافات وما لذلك من تداعيات على دراسة كل من اللغة والثقافة معاً. ويقع فيه التركيز على الملاحظات التي يعرض لها أولئك الذين انخرطوا في عمليات الترجمة، وكذلك الناس الذين وقع على عاتقهم التعليق على المُنْتَج النهائي أو على سياق نشاط الترجمة. إن تاريخ الترجمة، المرتبط ارتباطاً شديداً بالتاريخ الأدبي، يمكن أن يَصِف التغيرات في الاتجاهات الأدبية، كما يمكن الاعتماد عليه في توليد الثقافة وتتبع التغيرات في السياسة أو الإيديولوجيا، وإيضاح التوسع في نقل الفكر والمعرفة في عهد مُعَيَّن. ويمكن استخدامه كأداة للشروع في دراسة نصوص متشابهة عبر الثقافات أو دراسة نصّ معيّن عبر الزمن. ولتاريخ الترجمة أهمية غير متوقعة في أرجاء كثيرة من الدراسات الأدبية، بل هو قُطْب الرّحَى لبعضها بشكل مطلق.

ومن نافلة القول إن كل ثقافة سوف يكون لها تاريخ للترجمة خاص بها، بناءً على الأحداث التاريخية والسياسية التي شكلتها. لكن لعلّ ما ينبغي أن نناقشه هنا هو أنواع تاريخ الترجمة ما دام المصطلح تاريخ مفرداً يُوحى أنّ ثمة ثباتاً في تتابع الأحداث يمكن أن نستنتج منه خلاصات قابلة للتطبيق على نطاق عام، وهو ما ليس من واقع الحال. بالطبع، ثمة حقبة في التاريخ تظهر الترجمة فيها عاملاً مشتركاً بين عدة ثقافات. فتوسع الإمبراطورية الرومانية مثلاً، أو الإمبراطورية العثمانية، أو اختراع الطباعة، أو حركة الإصلاح والتجديد كل ذلك قد أثر في أغلب مناطق أوربا وفي أنشطتها في الترجمة. ولقد عانت القارات الأخرى ضرراً من الغزو، وأحرزت تقدماً في أنواع التكنولوجيا، وعرفت ديانات أخرى. ومثل هذه الأحداث هي دوماً نقاط إيجابية لانطلاق البحث، ولكن تأثيرها في ثقافة الفرد تتنوع بناءً على السياق المحلي. وتعدو المشكلة إيجاد سبيل يقود، في متاهة المادة التاريخية، إلى الظفر بمعلومات دقيقة ترتبط بدراسات حالة معنية في الترجمة. وقبل محاولة شق الطريق، لعلّها تحسن فكرة

.....التاريخ والترجمة

السؤال عما هو بالضبط الهدف من دراسة تاريخ الترجمة.

ما أهمية تاريخ الترجمة؟

تذكرنا دراسة تاريخ الترجمة أن الترجمة نشاط بشري كان قائماً منذ بدأت اللغة في التطور، ولعله قد تأثر بكل أنواع الأحداث الخارجية، باعتبار أنها بقدر ما كانت غير قابلة للتوقع فقد كانت غير خاضعة للتحكم. ويظهر لنا تاريخ الترجمة، إذا كنا لا نعرف ذلك سلفاً، أن مبادئ الترجمة لا يمكن أبداً أن تتحدد بصيغة علمية أو أن تخضع لها، ولكنها تبقى ما بقي الدهر مرنة ومقلبة كاللغة ذاتها. وهكذا فإن وضع نصوص مترجمة في سياقاتها التاريخية يساعد على تحديد الطرق التي استعملها المترجمون القدامى وتدقيقها، فتتوفر على الأقل نقطة انطلاق لتطوير الاستراتيجيات. وعبر التاريخ نواجه أمثلة عن أصعب إمكانيات الترجمة وأحلكها، أو عن مناسبات تدمير النص أو التلاعب به، أو عن الترجمة التي يُسرَع بها بنىء عدائية. ويمكن النظر في تاريخ نظرية الترجمة من قواعد للمقارنة، كما يظهر ما إذا كان المترجمون يُحرزون تقدماً، أو أنهم فقط يكررون الأخطاء نفسها. كما أنه يساعد على تقييم ما إذا كان المنظرون المعاصرون يقولون شيئاً ما جديداً أو أنهم فقط يرددون الأفكار نفسها بلغة مختلفة.

إن دراسة مقدمات كتب العصور القديمة وخاتماتها قد تكشف عن مواقف المترجمين تجاه الترجمة والنص المترجم معاً. فمقدمة عام 1582 لترجمة Rheims للإنجيل، كأحد الأمثلة، تكشف أن بعض الترجمات تمت بأقصى درجات التحفظ (بولارد Pollard، 1911:301). وتعلم مقدمة الكسندر روس لترجمته القرآن من النسخة الفرنسية عام 1649 القارئ أن هناك شيئاً يشبه الترجمة العدائية، حيث تتم الترجمة لغرض تحدي النص أكثر منها للترويج له (أربيري، 1955:8). ومن خلال دراسة تعليقات المترجمين يمكن البرهنة أنه يوجد في بعض الأحيان تباين بين نية المترجم وتحقق تلك النية، أي انحراف غير واع في الإيديولوجيا لا يدرك كنهه المترجم (انظر بليت 1978 في ترجمته لعمل نيرودا "خواكين موريتا: مجده وموته" Joachim

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

Murieta Neruda's Fulgor y Muerte de واقراً الترجمة). وبعبارة أخرى فإن المترجمين لا يقومون دوماً بما يقولون إنهم يقومون به، أو عملياً ما يفكرون أنهم يقومون به.

وإذا ما نُظِرَتْ تاريخياً دراساتُ حالةٍ من الحالات، فإنه يمكن الكشف عن الكثير بشأن الاستراتيجيات والمواضعات. فمن الممكن أن يقع تتبع التقدم في قصة فيدرا مثلاً، بدءاً من مسرحية هيبوليتوس ليوربيديس ، مروراً بفيدرا اللاتينية لسينيك، ثم فيدر لراسين، إلى ترجمة أدومود سميث الإنجليزية لراسين، ثم المضيّ عبر مؤلفات كل من ج. س. نيت، وجون كيرنكروس وروبرت لوويل لنفس الكتاب، وختاماً بالنظر إلى ترجمة تد هوفس والنسخة الحديثة لبول شמיד ثم المسرحية المثيرة للجدل لسارة كاين. إن تاريخ فيدرا من خلال الترجمة يُعلّمنا كيف أنّ الترجمة تنقاد (أو لا تنقاد) إلى المواضعات الدرامية والثقافية للغه الهدف، كما يتناول التصرف adaptation كشكل من أشكال الترجمة، ويظهر كيف أنّ رَهَافَةَ اختيار الكلمات يُمكنها تغيير شخصية ما، كما يُبين عن استراتيجيات التعامل مع الأشكال الشعرية التي لا تُوجد في اللغة الهدف، وكما يُدلل على الفرق بين الترجمة كأداء وإنتاج نصٍّ ما في اللغة الهدف.

وقد يبدو لنا شيئاً صادمًا حين ندرك أنّ عدداً من النصوص التي نتعامل معها بوصفها نصوصاً إنجليزية الأصل هي في الواقع ترجمات، بعضها من لغات أخرى، وبعضها من اللغة الإنجليزية الأقدم، وبعضها منهما معاً. إنّ الإنجيل، والإلياذة، وملحمة بيولف، ومؤلفات دانتي، وتشوسر، سيربانتس، وإيبسن، وتولستوي، وهوغو، وغوته، ونيرودا هي قلة من الأمثلة على ذلك. كم من الناس الذين يشاهدون إخراجاً من مسرحيات الأشباح Ghosts أو The Cherry Orchard، أو منزل برندا ألبا The House of Bernada Alba، يدركون أدوار الترجمة التي تُحيط بهم فيما يشاهدون ويسمعون؟ كم من قراء الإنجيل هم على وعي بدلالة تاريخ ترجمة ما يقرأون؟ إنّ الوعي بقضايا الترجمة في الدراسات الأدبية يَصْغُلُ المهارات المكتسبة في التحليل النصّي، وبناءً على عمق البحث فإنه قد يُشجّع على العودة إلى الأصل، أو على الأقل ترجمات أخرى لنفس النص.

التاريخ والترجمة

من المهم أن نُعَدِّد العلاقة بين التطور التقني في التاريخ مثل اختراع الورق أو ظهور الطباعة، والتطور في المجتمع مثل ازدياد القراءة والكتابة واطِّراد استعمالها في اللغات المحلية vernacular. قد يُزوَّد التاريخُ المجتمعَ بأداة التعامل الفضلى مع التَّجديدات التي تؤثر في التَّوجهات المعاصرة. إنَّه يرفع الوعي مثلاً بأنَّ استخدام تكنولوجيا الحاسوب ربَّما يؤثر في طريقة تعامل النَّاس مع النصوص بنفس المنوال الذي غيَّر فيه اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر النَّظَرَ إلى الكلمة المكتوبة. إنَّ إمكانيَّة البحث في المدونة هي الآن أكبر من أيِّ وقت مضى، والتَّقدم المُحرَز في التَّرجمة الآليَّة أصبح حالياً أكثر واقعيَّة، بل إنَّ معلومات كثيرة يمكن تخزينها في أوعية صغيرة جداً. ولكن حتَّى الآن ما برحت بعض السُّبُل متاحة للمضيِّ فيها قبل أنْ يتمكَّن العنصر البشريُّ من أنْ ينسحب كليَّة من عمليَّة التَّرجمة. إنَّ تجربة التَّرجمة ينبغي أنْ تُساعدنا على الأقل في ترتيب الميزات والعيوب في الضَّغط على مفتاح التَّحويل من لغة إلى لغة عندما ننقُر عبارة "ترجم هذه الصَّفحة".

كيف نستطيع الإبحار في تاريخ التَّرجمة؟

تشبه مناقشة تاريخ التَّرجمة إلى حدٍّ ما الإبحار باستخدام عدد متنوِّع من الخرائط المتخصصة. فكلُّ واحدة تعطي سماتٍ مختلفةً عن المشهد النَّقافي، واللُّغوي، والسِّيَاسيِّ والتَّاريخيِّ، والدينيِّ، والتَّكنولوجيِّ، والأدبيِّ، ولكن المعلومات من الكثرة بحيث تتوَّء بها خريطة واحدة منها. وبالتالي من الضَّروري أنْ يتمَّ فصل بعض وجوه كلِّ منها لكي يمكن رسم خريطة متخصصة في تاريخ التَّرجمة. ويصبح البحث المتعدِّد الاختصاصات أمراً جوهرياً، ما دامت معظم المصادر مترابطة ويمكن دراستها من اتجاهات مختلفة، وهكذا بالتَّدرج سوف تبرز صورة عن المنطقة المستهدفة.

تتوفَّر بعض المؤلفات العامَّة عن تاريخ التَّرجمة، أغلبها عن النَّظريَّة (باسنت 2002/1980؛ كيلي، 1979؛ موندي، 2001) ولكن ربما يكون أكبر المشاريع طموحاً هو مقترحُ لتأليف تاريخ التَّرجمة، دَرَسَتَه الفيدراليَّة الدوليَّة للمترجمين (دوليل، وودسورث، 1995:1). وقد وَصَّفتُ أدنى

هذا الكلام بعض نقاط الانطلاق التي ربما كانت الرحلة قد ابتدأت منها. أما المنهجية المقترحة فقد كان من الممكن تطبيقها على أية ثقافة، وقد اخترتُ من بحوثي أمثلةً وهي، كما يبدو واضحاً، محدودة في المكان إلى حدٍّ معين. فالكلمة المفتاحية في تصفُّح فهرس المكتبة الإلكترونية باستخدام أي من القضايا التي ستُذكر أدنى هذا الكلام يمكن أن ينتج عنها بعض المجلدات في بداية إعداد البحث. ويمكن أن تقود القوائم الببليوغرافية ومراجع النصوص إلى المعلومات إضافية أكثر.

قضايا اللغة

ويتضمن هذا الحيزُ تاريخَ اللغة، وبرزَ اللغات المحلية، والتربية والتعليم، والترجمة بوصفها أداة لتعلم أي لغة أجنبية. وسوف تمنحنا كتب عامة عن حروف الهجاء والكتابة (جان، 1992) أو عن اللغة (بريسون، 1990؛ بوتر، 1950) معرفةً مميزةً، ما دام أفضل منطلق للبدء بدراسة تاريخ الترجمة هو بإجراء بعض البحوث في التاريخ اللغوي. فكل نظام لغوي بذاته يملك قصة ذاتية عن الاشتقاق وعن التأثير، وهذا سوف يتيح تفاصيل عن التغييرات الكبرى للاتجاهات اللغوية ويشمل ذلك التغييرات في حروف الهجاء والإملاء والتركيب النحوي. فتأثير الفرنسية النورمانية Norman في اللغة الإنجليزية وأدبها بعد غزو إنجلترا عام 1066، أو تأثير ترجمات القرنين الأول والثاني للمؤلفات البوذية في التركيب النحوي، والمفردات، وفقه اللغة الصينية، هما مثالان للقضايا الأساسية التي منها يحسن البدء في تطوير دراسة تاريخ الترجمة.

وهكذا فإنَّ تتبُّع تاريخ لغة ما منذ أشكالها القديمة حتَّى أشكالها المعاصرة يتضمن النظر في مبادئ الترجمة من هذه اللغة وإليها. فمن اللاتينية إلى الإيطالية، ومن الإنجلوساكسونية مروراً بالإنجليزية الوسيطة إلى الإنجليزية المعاصرة هناك حاجة إلى دراسة التركيب، والمعنى، والمفردات، والأسلوب، والتَّغْيِيم، والتَّغْيِيرَات التي أصابت الاستعمال اللغوي. غير أنَّ ظاهرة أن تُترجم النصوص في نطاق اللغة الواحدة - الترجمة داخل اللغة intralingual - أمرٌ يمكن

التاريخ والترجمة

مصادفته. ذلك أن دراسات اللغة من الممكن جداً أن تتوفر في اللغة نفسها التي تصفها هذه الدراسات، لذلك فإنّ عدداً من كتب تعليم اللغة تحتوي موجزاً تاريخياً عن اللغة أو مدخلاً يُبرز أهمّ التأثيرات فيها. فاللغة الإنجليزية تتوفر على ضروب من التاريخ (مثل بوف وكابل، 1994؛ وكريستال، 2004)، ويُقدّم بورنلي، 1992 كتاباً مرجعياً عن التطورات المختلفة للإنجليزية، مستشهداً بالترجمات بحسب مقتضى الحال.

إنّ معظم الأقطار الأوربية قد استخدمت اللغة اللاتينية وسيلة اتصال فكرية حتى مجيء القرن السادس عشر. وبعض الكتاب كانوا يُعدّون لغتهم المحلية متدنية المستوى، أو أنّها تُناسب بشكل أفضل بعض أنواع النصوص، غير أنّ بعضهم مثل دانتي البغيري (1263-1321) في إيطاليا، وجيوفري تشوسر (1342-1400) في إنجلترا، ومارتن لوثر (1483-1564) في ألمانيا، روّجوا بنشاط لاستخدام لغاتهم المحلية. وقد ترجمَ كتاب دانتي "في بلاغة اللغة المحلية: de Vulgari Eloquentia وحققه عددٌ من العلماء (بونريل، 1996؛ شابيرو، 1990) وهو مصدر جيّد للمعلومات عن المواقف التاريخية من استعمال اللغات المحلية في القرون الوسطى.

إنّ إحدى طرق تأكيد حضور اللغة المحلية هي الكتابة بها، وطريقة أخرى هي ترجمة النصوص الكلاسيكية إليها. وقد ترجمَ تشوسر نفسه كتاب بوثيوس (480-524) "في عزاء الفلسفة *de Philosophiae Consolatione* من اللغة اللاتينية إلى اللغة الإنجليزية كما كانت في تلك الأيام، مُستعملاً جملأً إيضاحية قصيرة في متن النص حين كان يشعُر بالحاجة إلى ذلك. (بنصون، 1987). وكان ثمة إكبار تقليديّ يحفّ ببوثيوس وبكتبه الفلسفية التي تُرجمت إلى فرنسية القرون الوسطى، وألمانية القرون الوسطى، وإلى الإنجليزية القديمة والوسيط (كايلور، 1992). إنّ ترجمة مارتن لوثر للإنجيل إلى اللغة الألمانية كان له تأثير كبير في تطوّر اللغة الألمانية، وقد كان للوثر نفسه رأي هام يقوله عن نمط اللغة التي استعملها من حيث التركيب، والمستوى والتّعليم. ويظهر كتابه *Sendbrief von Dolmetschen* الذي تُرجم برسالة مفتوحة في الترجمة *An Open Letter on Translating* (باشمان، 1960؛ روبنسون، 1997b: 84) جملةً من مناهج لوثر واستراتيجياته، هو مصدر مميّز لنظريته في الترجمة.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ومع نموّ الاعتماد على اللّغات المحليّة فإنّ استعمالها خلق حاجةً لترجمة النّصوص الكلاسيكيّة الهامة من اللّاتينية واليونانية. ولمّا أصبحت هذه النّصوص باللّغات المحليّة، فقد مُنحت وضعاً مُستتباً شجّع على نموّ الآداب القوميّة. وهكذا فإنّ استخدام اللّغات المحليّة صار وما زال واحداً من علامات التطور ونمو الهوية القوميّة. لقد كشفت دراسة عن ملحمة كالفالا Kalevala باللّغة الفنلنديّة المحليّة عن أصل الملحمة الشّفوي وعن دورها في تأسيس الأدب القومي على إثر هيمنة اللّغة السويديّة كلغة رسميّة لفنلندا (باسنت ولوفيفر، 1998). أمّا ترجمتها إلى الألمانيّة، والروسيّة، والإنجليزيّة، والفرنسيّة، واليابانيّة فقد أبرزت مكانتها في عالم الأدب. (دوليل وودسورث، 1995:123). وقد اقتضى تطوّر الدولة - الأمة في أوربا، على فترات زمنيّة مختلفة في التاريخ، علوّ مكانة اللّغات المحليّة، وتصدّر الاهتمام باللّغة والأدب كرمزين للهويّة، كما هو شأن لغات الأقليّة (مثل البروتون في فرنسا، أو اليوسكادي في الباسك، أو الولش في بريطانيا، أو الكاتلان في إسبانيا) التي تدعم اليوم الهويّات الجهويّة.

إن استخدام مصادر اللّغات الكلاسيكيّة (الإغريقيّة، الرومانيّة، الصّينيّة، السنسكريتيّة) كنماذج كان له تداعيات في الأنظمة التّربويّة التي استُعملت في القرون الغابرة. وقد كانت التّرجمة وما زالت تُستعمل أداة لتعلّم اللّغة، وهي غالباً أوّل تجربة تُخاض في تعرّف أيّة لغة أجنبيّة. والطريقة التي تُجرّب فيها التّرجمة بتأمل وظيفتها التّعليميّة تُشكّل غالباً الصّورة الصّحيحة (أو المشوّهة) عن قضايا التّرجمة. وبهذه الطريقة، فإنّ تاريخ التّربية والتّعليم في أوربا يُتمّم في بعض الأحيان تاريخ التّرجمة، أو على الأقلّ الطّريقة التي كانت التّرجمة تُستعمل فيها للولوج إلى الثقافات الأخرى. فالترجمة كمنهج مكثّف لتعليم الإغريقيّة واللاتينيّة هي من موروثات مدارس النّحو في عهد النهضة، وما زالت مستمرة في القرن الواحد والعشرين، وإنّ كان ذلك بشكل أقلّ صرامة. وتصيغ الطّريقة التي يتمّ تصوّر التّرجمة فيها ضمن مقامات تعلّم اللّغة بصبغيتها المواقف إزاء عمليّة التّرجمة وإزاء نظريّة التّرجمة. وسوف يكون العنصر اللّغوي دوماً هو قاعدة النّقل اللّغوي، ومع ذلك فإنّ التّرجمة الأدبيّة تتضمّن ضرورة اعتبار الوجوه الثقافيّة في اللّغة وإدراك ما صار يسمى "المنعطف الثقافيّ" في علم التّرجمة.

قضايا الأدب

يتضمن هذا النطاق التاريخ الأدبي، وتاريخ نظرية الترجمة، والعمل الفردي لبعض المترجمين. ومثلما هو حال تاريخ اللغة في توسيع الفهم للقضايا التي تحيط بالترجمة، فإن تاريخ الأدب يظهر بعض أهم النتائج المرتبطة باستخدامه. هناك قلة قليلة من الآداب لم يمسسها أثناء تطورها أثر الترجمة بوصفها نشاطاً أدبياً (انظر بير ولويد- جونز، 1995؛ إليس، 2001) وبعض الآداب تعتمد الآن، وكانت تعتمد في الماضي، اعتماداً شبه كلي على الترجمة لإحياء الأدب المحلي المقموع أو المتدهور (انظر مقال إيفن- زوهار "موقف الأدب المترجم من منظومة الأدب المتعددة" ضمن فينوتي، 2000). إن أقدم تاريخ للأدب التركي مثلاً يكشف عن امتزاج ثقافي لثلاث لغات عريقة هي الفارسية والتركية والعربية. وقد اقتضى التحديث وحركة الأدب القومي في القرنين التاسع عشر والعشرين التعرف بعدد كبير من الأعمال المترجمة وذلك لغرض محدد في تطوير الكتابة التركية. وانطلقت الآداب الهندية مع ترجمة الأعمال التقليدية مثل الشعر الكلاسيكي والحكايات الفلكورية، وملحمة ماها بهاراتا Mahabharata أو بعض أجزاء منها، متحاً من الأصل الثقافي لعدد من اللغات في نفس البلد، وكذلك من اللغات الأوربية (تريفيدي، 1993؛ وليمز، 1991). أما تطور الآداب الإفريقية الناشئة وانتشارها فيبقى مستنداً إلى الترجمة بين اللغات الكبرى السائدة واللغة المصدر في مستوى معين، وإلى كتابة التقاليد الشفوية في مستوى آخر. وهكذا فإن تعددية تاريخ الأدب يمكن أن توفر بعض المعلومات التي أمسى لها احتياج ملح.

ولما كانت الأعمال الكلاسيكية قد ترجمت أولاً، فإنها قد تركت تأثيراً كبيراً في معظم الآداب الأوربية إن لم نقل في الآداب العالمية، وكذلك استخدمت كمصادر تاريخية. وهكذا فإن البحث في ترجمات الأعمال الكلاسيكية ربما يكون مشروعاً لمؤرخي الترجمة. فالدراسة التطورية لترجمة ملحمة هوميروس الإغريقية إلى اللغة الإنجليزية مثلاً تقتضي ضرورة مراجعة قضايا الترجمة عامة، وتلك المرتبطة بهوميروس على وجه الخصوص (لاثروب، 1967؛ اندروود، 1998). وتتيح المجلدات الببليوغرافية إحالات مفيدة إلى كتب أخرى عن

مظاهر تاريخ الترجمة.

فيما يخص تاريخ الترجمة، لم يكن كل من ماركوس تاليوس شيشرون¹ (106-43 ق.م) وكونتوس هوراتيوس فلاكيوس (65-8 ق.م) فقط كاتبين لاتينيين (هي نفس الحال فيما يخص الشاعر الكبير هوراس) ولكن كان لهما ملاحظات على أشياء كثيرة، ويشمل ذلك فن الترجمة، ولذلك يُعدّان ضمن من يُشار إليهما كأقدم المنظرين الأوائل. فكتاب شيشرون "في أفضل أنواع الخطباء" *de Optimo Genere Oratorum* وكتاب هوراس "في فن الشعر" *Poetica de Arte* غالباً ما يُذكران بوصفهما نموذجين لنظرية الترجمة. وقد كتب شيشرون أنه عند ترجمة خطباء الإغريق إلى اللاتينية "لم أتمسك ضرورةً أن أنقل كلمةً كلمة، ولكن احتفظتُ بالأسلوب العام وقوة اللغة" (هوبل 1949:365؛ وروبنسون، 1997b:9) وكتب هوراس عن الترجمة الأدبية محذراً من المقاربة الحرفية: "لا ينبغي أن تكون مترجماً أميناً وحريصاً على النقل كلمةً كلمة" (برنك، 1971:601؛ وروبنسون، 1997b:15). وكلا النصين متوفران على الشبكة كجزء من مشروع برسيوس² www.perseus.tufts.edu وقد تُرجمتا إلى معظم اللغات الأوربية في فترات متنوعة من التاريخ.

وبوجهٍ فإنّه يبدو أن ثمة نوعين رئيسيين من أنماط الكتابة في تاريخ الترجمة. فأمّا الأول،

1 تعددت طرق كتابة اسم هذا العلم بحسب اللغات المختلفة وأثر ذلك في نقل الاسم إلى العربية فبعضهم يسميه "سيميرون" ربما بتأثير اللغة الفرنسية [Cicéron] أو سيسرو [Cicero] بتأثير اللغة الإنجليزية، أو "تشيشرون"، أو "شيشرو" كما كان ينطق كنسياً، وإن كان يُنطق "كيكرو" أو "كيكرون" في اللغة اليونانية. وقد اخترنا "شيشرون" لشبوعه أكثر من الصيغ الأخرى وكذلك لاتساع نطاق استعماله. ولعل تنميط بعض أسماء الأعلام التاريخية صار احتياجاً ماساً لضبط وتعبير النص العربي عامة والترجمة على وجه الخصوص. راجع مثلاً "اغسطين/ أغسطينوس" أو "بليني الكبير/ بليين الكبير" وغير ذلك مما يمكن اليوم الاتفاق على تنميط كتابته باللغة العربية. [المترجم]

2 هو مشروع مكتبة رقمية للمصادر الكلاسيكية في اللغة والتاريخ وغيرهما، قد شرع به عام 1985 وهو في قيد التطور والنمو، يمكن زيارة الموقع على الشبكة بحسب العنوان المشار إليه في المتن. [المترجم]

التاريخ والترجمة

فنوع من الرد من قِبل كُتّاب مثل شيشرون وهوراس والذين ألهمت تجربتهما الخاصة في الترجمة تحليل الممارسة في حدودها النظرية، أو الذين أدت ترجمتهما إلى رد فعل يشعُر المترجم معها أنه مجبر على الدفاع عما صنع. ويتركز الأمر غالباً في نقاش عمليات واستراتيجيات معينة. وأمّا الثاني، فنوع أكثر قرباً إلى الفلسفة ويشتمل على تأمل في طبيعة الترجمة وتأثيرها بوجه عام. وغداً الوقوف على الكتابات المتأخرة عن نظرية الترجمة متاحاً بشكل مناسب في منتخبات الكتابات التاريخية مثل (شولت وبيغونيه، 1992)، و«قراء القرن الواحد والعشرين» (فينوتي، 2000)، ومختارات عن نظريات الترجمة (جنتزلر، 2000/1993). أمّا كتابات المنظرين الأوائل فقلّ أن يَنبَسِرَ تَنَبُّعُها. وثمة كتاب يشكل مصدراً مفيداً إذ يتضمّن مقتطفات وقوائم بالمصادر والمراجع (لوفيفير، 1992c) وجرداً عاماً (أموس، 1973/1920)، ولكن للنظر في دراسة حالة معينة نظراً تفصيلياً، من الضروري الاطلاع على الأعمال الكاملة، لنقل أعمال لوثر أو جيروم أو القديس أوغسطينوس وذلك لاكتشاف كل ما قالوا عن نظرية الترجمة. ولكن لنعدّ إلى النماذج الكلاسيكية.

فلم يُترجم الأدب فقط من مصادره الغنية التي أتاحها العالم القديم؛ بل كَيْفَتِ الآدابُ القومية أشكال الأدبين الإغريقي والروماني. فالملمحة كنوع أدبيّ مثلاً "تُترجم" عن سمات الأسلوب التقليدي في بعض وجوهه مثل استحضار أشكال التأمل أو المرجعيّات المتعلقة بالآلهة. ولقد أدت الترجمة ومحاكاة الآداب الإغريقية واليونانية على الدوام دوراً كبيراً في تطوير الآداب الأوروبية، كما أنّ معظم الأدب العالميّ تمتلك نماذج كلاسيكية يجري الرجوع إليها بشكل متواتر. فأشكال الأدب الناجحة والمتجددة في لغة معينة غالباً ما تُترجم إلى لغة أخرى. وبعُدُ الملمحة جاءت السنونية، وهي مثال آخر جيّد لهذه الظاهرة، وقد بدأت حياتها في إيطاليا في القرن الرابع عشر، لاسيما من خلال بترارك، ثم وصلت إلى الأدب الإنجليزي من خلال ترجمات طوماس وايت (ماصون، 1959) وآخرين في القرن السادس عشر. وقد وثّق جيداً ما أحرزته من تقدّم وكذلك وثّقت طرق الترجمة في دراسات شعر النهضة الإنجليزي عامةً أو في دراساتٍ عن بترارك ووايت على وجه الخصوص. أمّا الأشكال الشعرية الأخرى مثل

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

شعر الكوبلا copla الإسبانية (برنان، 1962/1951:373) أو الهايكو haiku الياباني فقد ظهرت لها مُشابهات في لغات أخرى. وهناك أمثلة عن أشكال لم تُترجم مثل الشعر الفارسي في رباعيات عمر الخيام الذائعة الصيت والتي أعاد إبداعها في الإنجليزية شاعر العهد الفكتوري إدوارد فيتزجيرالد (انظر لوفيفر، 1992c:32) ثم تُرجمت لاحقاً بالتعاون بين عالم فارسي وشاعر (أفري وهيث ستوبس، 1979). لم يكن للشكل نظير، ولكن تم نقل المحتوى بنجاح من ثقافة إلى أخرى من خلال مهارة وإبداع الكاتب/المترجم. من السهل أن تجد الملامح التاريخية في أدب معين، وهي تزودنا بمعلومات عامة عن المواضيع الأكثر أهمية مما يُعنى به طالب علم الترجمة. ويغدو البحث أكثر تحديداً عند تعيين المؤلفين فرادى والحركات الأدبية على وجه التدقيق.

إن دراسة مَنْ نسيمهم كُتّاب "العالم القديم" أو الكلاسيكيين ونشر أعمالهم في لغاتهم ذاتها وفي لغات أخرى، قد أفضى إلى ترجمات مميزة تشكّل تاريخياً دراسات حالة. فما الذي تُرجم من آثار دانتي، وغوته، وشكسبير، وايبسن، وتشخوف، وموليير، ووانغ شين، وتولستوي؟ كيف وقع تلقّي ذلك في الثقافة المستقبلية؟ ما المقام الذي احتلته ضمن المنظومة الأدبية المتعددة في اللغة المستهدفة؟ فقد تُرجمت مثلاً مسرحيات هنريك ايبسن إلى عدة لغات عالمية، أحياناً مباشرة من اللغة النرويجية وفي بعض الأحيان من الترجمات الإنجليزية. ويتضمن كتاب بريان (1984:413) قائمة بتلك الترجمات. لقد كان لمسرحيات ايبسن في الصين تأثير عظيم في كلٍّ من الأشكال الدرامية والتفكير الاجتماعي في مطلع القرن العشرين. وكما تُفصل الكتب في تأثيره في الآداب الأخرى من خلال الترجمة، فإن ثمة مواقع على الشبكة تُعطي معلومات عن حياته وأعماله وعروضاً ومراجعاتٍ عن ترجمات مسرحياته. فإذا أدخلت اسم ايبسن في أحد مُحركات البحث الشائعة على الحاسوب فسَيُنتجُ عن ذلك آلاف المراجع. وهذه تحتاج بالطبع إلى من يُحصّ فيها لتكون مفيدة بوصفها أداة بحث، ويحتاج المرء إلى صبر كبير لغزلة هذه المادة التي تُشكّل نقطة انطلاق ممتازة. والمفارقة أن التوفّر المفرط للمعلومات التي يمكن تحميلها اليوم يبدو أمراً مهماً كموضوع في البحث التاريخي، بمقدار ما كانت حالة ندرة المعلومات

التاريخ والترجمة

في العصر الذي لم يكن الحاسوب، كإحدى أدوات البحث، يُستخدَم على هذا النطاق الواسع. لقد تَمَّت ترجمة أعمال شكسبير إلى مُعظم اللّغات، وكان يَغْلِبُ في الثّقافة المستضيفة تقليدٌ في الطّريقة التي تتم بها التّرجمة. فِقْصَة تَمَثُلُ شكسبير في الأدب الفرنسيّ بمعيّار القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر مثلاً هي أحد التّحديات ومثار المنازعات (دوليل، وودسورث 1995:76) كانت المسرحيّات تُترجم جيّداً وفق مُواضع لغّة الهدف في بعض الثّقافات؛ أمّا في بعضها الآخر فإنّ المسرحيّات تُحقّق نجاحاً أكبر حين تُكيّف حيكتها وأشخاصها. وقد تكون المواقف التّاريخية تجاه النّصوص المترجمة من مصادر معيّنة نتاجاً للعلاقات السّياسيّة بين البُلدان. انظر تريفيدي (29: 1993) في مناقشة تَلَقّي شكسبير في مستعمرة الهند. والتّاريخ الأقرب إلينا ينطوي على تكييفات سيميائية في صيغة أفلام تبدأ من التّمثّل التّام من خلال اللّغة، وطريقة العرض والمرحلة الزّمنية، لتَصِلَ إلى إعادة البناء بالاعتماد على المراجع الثّقافيّة المعاصرة لهوليوود.

وفي أكثر الحالات فإنّ شخصاً مُهمّاً في مقامه الأدبيّ ضمن ثقافة ما سوف يُصبح مُترجماً أيضاً، ومن ثمّ قد يكون في بعض الأحيان مُنظراً في مجال التّرجمة. فقد كان وليم كاكستون (1422-1491)، الذي كان مسؤولاً عن إدخال الطباعة أوّل مرة إلى بريطانيا، تاجراً يوفّر مادّة لمطبوعاته عن طريق التّرجمة. وتُنتجُ مقدمات ترجماته وخاتماتها، لاسيما مقدمة اينيدوس (Crotch, 1956; Robinson, 1997b: 61)، تفكيراً ونظراً في حالة اللّغة الإنجليزيّة في ذلك الوقت، وفي الإشكاليّة التي كانت تُواجه المترجم بشأن مستوى اللّغة واختيار المفردات. ونذكرُ ضمن آخرين كُثْرَ اثنتين فقط هما جون ديدين (1631-1700) وعيزرا باوند (1885-1972) اللّذين كانا شخصيّتين أدبيّتين بذاتهما، وترجّما بوصف التّرجمة جزءاً من نشاطهما الأدبيّ، كما كتبّا عن التّرجمة.

القضايا الدّينيّة والفلسفيّة

نتناول هذه المساحة التّرجمة المُنبّقة عن نشر النّظم الفلسفيّة والدّينيّة من ثقافة ما إلى

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

أخرى. فالتصير والتأويل والرغبة في المعرفة قد اقتضت ترجمة النصوص البوذية أولاً من السنسكريتية إلى الصينية، ولاحقاً إلى اليابانية ثم الإنجليزية؛ كما أفضت إلى إخراج نسخة لاتينية للقرآن عن العربية، ثم لاحقاً نسخ منه إلى مختلف اللغات الأوربية؛ كما ولدت حاجة إلى ترجمة الكتاب المقدس من نصوص إغريقية ولاتينية إلى نسخة لاتينية واحدة، وفي النهاية إلى اللغات الأوربية المختلفة. والواقع أن نشر الفلسفات والديانات قد اعتمد في الألفيتين الأولى والثانية من الميلاد على نطاق واسع على أنشطة الترجمة أكثر منه على أي عامل آخر بعينه، وبالتأكيد اعتمدت أكثر المناقشات حول الترجمة على هذه الأنشطة.

إن تاريخ الكنيسة المسيحية يحكي قصصاً عن أناس مثل جيروم (342-420) وعن القديس أغسطينيوس (354-430) وجماعة ويكيليف (خلال العقد 1390) ومارتن لوثر (1483-1546) ووليم تيندال (1494-1536)، ومترجمي إنجيل الملك جيمس (1611) الذين كانوا جميعهم منخرطين في الترجمة وفي الدفاع عن النصوص المترجمة وتحليلها. وكان البابا داماسوس قد كلف جيروم بتحرير النصوص اللاتينية التي جمعت عن العهد الجديد في نسخة رسمية واحدة، وقد أنجز جيروم فيما بعد ترجمة العهد القديم وتحقيقه. وتصف رسالته إلى صديقه باماكوس "في أفضل مناهج الترجمة" (Schaff & Wace, 1979: the Best Method of Translating On Venuti, 2000: 21; Robinson, 1997h 23; 113). نوع النقد الموجّه إليه، وفي الوقت نفسه الدفاع عن بعض القرارات التي اتخذها في ترجمته. أما القديس أغسطينيوس وهو معاصر له، وتراسل معه، فقد كتب عن العلامات وصعوبة ترجمة غير المعروف منها والغامض في الكتب المقدسة (Gavigan, 1966).

وقد سبق أن ذكرنا تأثير مارتن لوثر من خلال ترجمة الإنجيل وهناك آخرون. مثل جان هوس (1372-1415) الذي ترجم الإنجيل إلى لغته الأصلية التشيكية وإعدام لاحقاً بتهمة الهرطقة (دوليل، وودسورث 1995: 140). ويقال إن مشروع هوس قد شجع ويكيليف على تنظيم اتباعه بشأن مشروع ترجمة الإنجيل إلى اللغة الإنجليزية. وتكشف مقدمة الطبعة الثانية من ترجمة ويكيليف في تسعينيات القرن الرابع عشر (1390) - والتي من الشائع أن كاتبها هو

التاريخ والترجمة

جون بورفي - عن الصعوبات التقنية التي عانى منها المترجمون الأوائل، ولكنها لا تذكر الاضطهاد الجسدي الذي تعرض له العديد منهم. لم تكن الترجمة في البدء سوى وسيلة للولوج إلى النص (وكان هذا بذاته مشكلة لأنّ الولوج إلى النصوص المقدسة لم يكن يعدّ أمراً مناسباً لأي فرد). ومع ذلك فقد تطوّرت الترجمة وفق اعتبار هام بوصفها تأويلاً؛ فغداً واضحاً تصوّر انحرافها بوصفه هرطقة. إنّ ترجمة الإنجيل كانت ومازالت ميداناً لعلم الترجمة الذي نتج عنه أكثر المناقشات حماسةً. وليس من المبالغة الادعاء أنّ هذا كان أساس انتعاش الاهتمام بعلم الترجمة في القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال عمل أوجين نايدا (1946) (1947). ويمضي في الوقت الراهن النقاش في حيز صار يسمى "النوعانية الحيادية" gender neutral أو "الترجمة المتضمنة النوعانية" (Carson, 1988, Polythress & Gruden, 2000; Strauss, 1998). ويجب التذكير أنّ الذين ينخرطون في ترجمة النص المقدس هم يفعلون ذلك غالباً وفقاً لفناعة دينية كبيرة. وبالتالي، فإنّ قضايا الترجمة ذات الصلة تصبح ذات أهمية حيوية كبيرة. من المفيد في هذا السياق أنّ نلاحظ في التقاليد الغربية أنّ أقدم السجلات حول القيام بالترجمة هو ربما قصة برج بابل في العهد القديم (سفر التكوين 11: 1-9)، وقد أخذت هذه الحكاية غالباً بوصفها كناية عن الترجمة نفسها (انظر Derrida's 'Des Tours de Babel', 1985; Steiner, 1975). وتُسَمَّل عادةً صورُ برج بابل كرمزٍ تصويريٍّ لنشاط الترجمة، أو كشعار للأقسام التي تُدرّس علم الترجمة أو لشركات الترجمة.

إنّ ترجمات النصوص المقدسة تتضمّن في مقدماتها ملخصاً قصيراً عن تاريخ الترجمة، انظر مثلاً مقدمة إنجيل الملك جيمس (Pollard, 1911: 301; Rhodes & Lupas, 1997)، أو تقديم أ. ج. أربيري لترجمته للقرآن (أربيري 1955: 25). وللإنجيل عدد من المجلدات المخصصة فقط لتاريخ ترجمته (بروس 1961، لونغ 2001، ويلر روبنسن 1940)، أما الكتب المقدسة للبوذية والهندوسية فإنّ المعلومات عن تاريخها أقلّ لاسيّما فيما يخص الترجمة، وهناك مجال أوسع للبحث في هذا الإطار.

إنّ عملَ أفرادٍ من المترجمين للقرآن مثل روبرت ريتينييسيس في القرن الثاني عشر، أو

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

جورج سال في القرن الثامن عشر يُشار إليه غالباً في أنحاء متفرقة من المجلدات الكبيرة (شاخت وبروزورث 98, 39: 1974). أما المترجمون للنصوص المقدسة من الهندوسية والبوذية والإسلامية واليهودية والمسيحية فقد نُقِشت في كتاب "المترجمون عبر التاريخ" (دوليل، وودسورث Chapter 6: 1995) حيث توجد اقتراحات لقراءة أوسع. وللحصول على معلومات أشمل بشأن ترجمة كل أنواع النصوص المقدسة انظر لونغ Long (2005). وسوف نناقش أمر مدارس الترجمة في القسم التالي لما لها من ارتباطات بتاريخ ترجمة النصوص الدينية والفلسفية.

التبادل العلمي

وتتضمن هذه المساحة نشاط الترجمة مرتبطاً باكتساب المعرفة ونشرها. وقد يُصادف حدوثه على نطاق صغير جداً في مشاريع محلية صغيرة فقط (مثل تجميع الوصفات والعلاجات)، أو يمكن أن يشتمل على مجالات واسعة في الطب والفلك والرياضيات والعلوم الطبيعية. وفيما يخص تاريخ الترجمة العلمية من الثقافة العربية فإن كتاب "تراث الإسلام" ¹ The Legacy of Islam لمؤلفيه (شاخت وبروزورث 1974) يعد نقطة انطلاق ممتازة لاختطاط مسالك لدراسات أشمل. وكذلك فإن كتاب "كمبريدج في تاريخ إيران" The Cambridge History of Iran (Frye, 1975) مصدرٌ جيد ينطوي على قدر من المعلومات عن مدارس الترجمة التي نشأت في إيران. وخلال القرون الوسطى وفي أزمنة متنوعة فيها، وبرعاية دينية أو ملكية غالباً، نذرت مجموعة من المترجمين نفسها لجعل النصوص الهامة بين أيدي من يتبعهم من المتقنين. أما "مدارس الترجمة" كما صارت تُعرَف فقد وُجِدَت في كلوني (شاخت وبروزورث 98: 1974)، وطليلة (بیم: 34: 2000)، وأشبيلية (دوليل، وودسورث 141: 1995). وكانت مدرسة

1 تراث الإسلام، تاليف جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، ترجمة إلى العربية: د. محمد زهير السهموري، د. حسين مؤنس، د. إحسان صدقي العمدة؛ تعليق وتحقيق: الدكتور شاكر مصطفى، مراجعة: الدكتور فؤاد زكريا؛ سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مايو 1978، جزءان. [المترجم]

التاريخ والترجمة

القلعة [دار القلعة]، أو كمبليوتيوم Complutum كما كانت تعرف باللاتينية، المكان الذي كان الكردينال اكسيمنس وفريقه يعملون فيه على إخراج إنجيل متعدد اللغات وذلك بُعْد أن نشر إيراسموس نسخته اللاتينية/الإغريقية من كتاب العهد الجديد عام 1515 (لونغ 2001:124). أما المترجمون الفرادى مثل إيتنن دُوله (1508-46) ونيكولاس كوليبير (1616-64) فقد خاضا معركة لمواجهة ما رأيا أنه تملك للنصوص أو، كما في حالة دُوله، ترجمة النصوص من قبل الممسكين بالسلطة. وكانت ترجمات دُوله قد تحدت غنوة المنزع الكاثوليكي المحافظ للسلطات الفرنسية، وقد تم قتله وإحرقه عام 1546 بسبب ترجمته افلاطون ترجمة حرّة عدت هرطقة. في حين ألّب كوليبير على نفسه حقّ زملائه حين ترجم ترجمة مشروحة عام 1649 كتاب "دستور الصيدلة" Pharmacopoeia، وجعله في مُتناول عامة الناس بنقله من اللاتينية إلى الإنجليزية. وكان هدفه هو الكشف عن المعلومات الطبية والعلمية التي كانت تخفى عن عامة الناس بسبب بقاء استعمال اللغة اللاتينية في الوثائق الطبية والعلمية.

إن الترجمة بغرض الحصول على المعرفة قد أثر أيضاً في اللغة إذ ترافق الأفكار الجديدة مفردات جديدة. وقد اقترضت معظم اللغات كلمات وتعابير، وبعض اللغات مثل اليابانية لديها نسبة كبيرة قد اندمجت جيداً حتى إنه بعد مضي الوقت أصبح من الصعب تمييزها (Bryson, 1990:178). إن علاقة الترجمة بالمعرفة وعلاقة المعرفة بالسلطة يقودنا إلى الحيز الأخير من تاريخ الترجمة وهو حيز الاستكشاف والغزو.

استكشاف وغزو

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر في أوروبا، نتج عن الاستكشاف والغزو مستعمرات أصبحت اللغة فيها جزءاً أساسياً من سلطة الغازي، بل إن السفر في ذاته نشط التبادل الثقافي واللغوي. وقلة قليلة هي البلدان التي لم يقع استعمارها في بعض فترات تاريخها من قبل قوة خارجية، وقد ولد فعل الاحتلال هذا بشكل متنوع نشاطاً ترجمياً وصراعاً من أجل الهيمنة بين اللغات وكذلك بين الشعوب.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

إن أحد أفضل السجلات الموثقة للغزو في مطلع العصر الحديث هو "التاريخ العام للأشياء في إسبانيا الجديدة" *Historia general de las cosas de Nueva Espana* الذي ألفه عالم الإناسة القسّ الفرنسيكاني برناردينو دي ساهاغون (ترجمه كل من اندرسون وديبل عام 1950)، والنسخة النهائية من التاريخ العام هذا، وهو جرد لأحداث الغزو، قد راجعها الكاتب في عام 1585، وثمة مقارنة مشوّقة بين النّسختين ونظرٌ في دوافعه للقيام بذلك (انظر كلين 1988:93). أمّا التاريخ نفسه فقد كُتب بشكل متوازٍ باللغتين الإسبانية والنّاهواتل Nahuatl وكان يهدف أن يكون أداة تعليم لغوية فضلاً عن كونه نصّاً إخبارياً. وكانت الفكرة لدى الفرنسيكان هي تعلّم لغة الناهوتل لغرض الاستعمار والغزو. وعندما تمّ الغزو أصبحت اللغة الإسبانية هي لغة الحكومة، وفي القرن التاسع عشر حلّت في نهاية المطاف محل الناهوتل في كل النصوص المكتوبة. (انظر لوكهارت 1991:22).

ومن الطريف أن نرى أن لغة المستعمر بمجرد فرضها على مستعمرة ما تأخذ مع مرور الوقت شكلاً مميزاً، وهجيناً يبعد بها عن أصلها اللغوي. فاللغة الإسبانية الكستيلانية تختلف عن اللغات المحكية في بلدان أمريكا اللاتينية، واللغة الفرنسية في فرنسا تختلف عن الفرنسية في الجزائر أو كندا أو الكمبيرون، والإنجليزية في اسكتلندا تختلف عن الإنكليزية الأمريكية. وثمة عشرات الأمثلة الأخرى. ومظهر هذا الاختلاف لم يصل إلى حدّ إعاقة التبادل الثقافي، ذلك أن البرازيل، وهي المستعمرة القديمة، تقدّم المسلسلات والشعر والروايات وبرامج التلفزيون للمستعمر السابق الأقل ناشطاً الآن وهو البرتغال. إن تتبع تاريخ آداب ما بعد الاستعمار يقتضي النظر في الترجمة ليس فقط بوصفها نقلاً لغوياً بسيطاً وإنما بوصفها تبادلاً ثقافياً (Bassnett & Trivedi, 1999:2) وبوصفها طريقاً لإبراز الهيمنة. ومن باب التوسع فإنّ أدب الرحلة وأدب المهجر أصبحا جزءاً من الدراسة بوصفهما "ترجمات" للثقافة، وهما بذاتهما غالباً نتاج ترجمي أو هما أشكال من الحوار بين المستعمرين والمستعمرين.

ملاحظة ختامية

إن جذّة موضوع علم الترجمة نسبياً، وطبيعته المتعدّدة الاختصاصات تعنيان أنّ البحث في تاريخ الترجمة ما زال في مراحلهِ المبكّرة ولمّا تجتمع أشتاتهُ بمعنًى من المعاني. ومؤدًى هذا أنّ ثمة عملاً كبيراً يجب القيام به وكذلك نطاقاً واسعاً للباحثين المتحمّسين للإسهام في هذا الحقل. والمشكلة الأولى هي تحديد موضوع الدّراسة؛ وبعد ذلك هناك حاجة إلى قراءة واسعة حول الموضوع لالتقاط أي مسار يكمن اختطاطه. فإذا كانت الرسالة هي للنظر في مساهمة إيراسموس في علم الترجمة مثلاً، فإنّه يمكن البدء بسيرة أو اثنتين من سيره، ثم المضي إلى ما كتبه هو بنفسه. أما الخيار البديل لهذا فهو أنّ فهارس الكتب التي تُفصّل تاريخ الحقبة الزمنية قد تكون مناسبة كنقطة انطلاق لرؤية ما هي المراجع التي ألفت عن إيراسموس. ويمكن أن تتضمن بعض الكتب فصولاً تحيل على أعماله أو على أجزاء من أعماله أو تفاصيل عمّا كان يربط بينه وتوماس مور أو هنري الثامن أو حركة الإنسانيين أو الملاحظات الفلسفية لورانزو دي فالّا.

لنأخذ مثلاً آخر، إذا كان المشروع هو أنّ نرى كيف أنّ الشاعر التشيلي بابلو نيرودا قد تُرجم إلى الإنجليزية، فإنّ المرء يجب أن يبدأ بالترجمات الإنجليزية لأعماله، وبقراءة المقدمات، وبالنظر في الأعمال الأخرى التي قام بها نفس المترجم. وإذا ما حالف المرء حظاً فإنّه سيكتشف أن المترجمين لعمله "مرتفعات ماتشيو بيتشو" *Las Alturas de Macchu Picchu* قد كتبوا كتاباً عن طرق الترجمة (فيلستينر 1981) وأنّ مُترجم عمله "خواكين موريتا: مجده وموته" *Fulgor y Muerte de Joachim Murieta* قد نشر مجموعة من مقدمات الترجمة التي قام بها.

وفي الغالب الأعم هناك مراكز بحث جامعيّة للدّراسات الأمريكيّة اللاتينيّة ودراسات الكاريبيّ أو دراسات العصور الوسطى تتناول بالدّرس ميداناً معيّناً، ولها منشورات مفيدة سواء أكانت في شكل كتب، أو في أوراق عمل منشورة في المجلّات، أو في المواقع الإلكترونيّة أو

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ضمن وقائع المؤتمرات. ويمكن للمقالات العلمية في المجالات المتخصصة أن تكون مفيدةً لجعل نطاق البحث أكثر تحديداً أو لاستكمال ما قد ما سبق إنجازهُ.

وفي الأخير لا بدّ من التذكير أنّه لكي يتمّ البحث في تاريخ الترجمة بشكل ناجح فإنّ المرء بحاجة للتعمق في عدد من الاختصاصات ذات العلاقة، ودراسة حالات نظيرة في سياقات أخرى. فالتاريخ، أو اللغات الحديثة، أو اللسانيات، أو علم الكلام، أو التربية، أو الفلسفة أو دراسات الحضارات القديمة هي مساحات تحتاج أن تُستكشف من منظور مقارن. قد يكون ذلك أمراً عسيراً ولكنه أيضاً مناسباً ممتازة للمشاريع التعاونيّة التي يجب أن تجعل علم الترجمة متميزاً تميزاً إيجابياً عن الاختصاصات الإنسانيّة الأخرى.

المصادر والمراجع

- Amos, F.R.R.(1973) Early Theories of Translation. New York: Octagon (original work published 1920).
- Anderson, A. and Dibble, C.E.(trans.) (1950) Bernardino de Sahagun: General History of the Things of New Spain. Salt Lake City: University of Utah Press.
- Arberry, A.J. (1955) The Koran Interpreted. London: Allen & Unwin.
- Avery, P. and Heath-Stubbs, J. (trans.) (1979) The Ruba'iyat of Omar Kayyam. Harmondsworth: Penguin Books.
- Bachmann, T.E. (ed.) (1960) On translation: An open letter. In Word and Sacrament: Luther's Works (Vol. 35; Part 1). Philadelphia: Muhlenburg Press.
- Bassnett, S. (1980/2002) Translation Studies (3rd rev. edn). London: Routledge.
- Bassnett, S. and Lefevere, A.(1998) Constructing Cultures: Essays on Literary Translation. Clevedon: Multilingual Matters.
- Bassnett, S. and Trivedi, H.(eds)(1999) Post-colonial Translation: Theory and Practice. London: Routledge.
- Baugh, A.C. and Cable, T. (1994) A History of the English Language. London: Routledge
- Beer, J. and Lloyd-Jones, K. (eds) (1995) Translation and the Transmission of Culture Between 1300 and 1600. Kalamazoo, MI: Medieval Institute Publications, Western Michigan University.
- Belitt, B. (1978) Adam's Dream: A Preface to Translation. New York: Grove Press.
- Botterill, S.(ed.) (1996) Dante: de Vulgari Eloquentia. Cambridge: Cambridge University Press.
- Brennan, G. (1951/1962) The Literature of the Spanish People. Cambridge: Cambridge University Press.
- Brink, C.O.(1971) Horace on Poetry: The Ars Poetica. London: Cambridge University Press
- Bruce, F.F.(1961) The English Bible: A History of Translations. London: Lutterworth Press.
- Bryan, G.B. (1984) An Ibsen Companion. London: Greenwood Press.
- Bryson, B. (1990) Mother Tongue: The English Language. Harmondsworth: Penguin Books.
- Burnley, D. (1992) The History of the English Language: A Sourcebook. London: Longman.
- Carson, D.A. (1988) The Inclusive Language Debate: A Plea for Realism. Grand Rapids Michigan: Baker Book House.
- Cline, S.L. (1988) Revisionist conquest history: Sahagun's revised book XII. In J.J. Klor de Alba, H.B. Nicholson and E.Q. Keber (eds) The Work of Bernardino de Sahagun. New York: The Institute for Mesoamerican Studies, Albany State University.
- Crotch, W.J. (ed.) (1956) The Prologues and Epilogues of William Caxton. E.E.T.S. London: Oxford University Press.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- Crystal, D. (2004) *The Stories of English*. London: Allen Lane.
- Delisle, J. and Woodsworth, J. (eds) (1995) *Translators through History*. Amsterdam: John Benjamins.
- Derrida, J. (1985) *Des tours de Babel* (English and French versions, J. Graham,trans.) .InJ. Graham(ed.) *Difference in Translation* (pp.165–207;209–248).Ithaca, NY: Cornell University Press.
- Ellis, R. and Oakley-Brown, L.(eds) (2001) *Translation and Nation: Towards a Cultural Politics of Englishness*. Clevedon: Multilingual Matters.
- Felstiner, J. (1981) *Translating Neruda: The Way to Machu Picchu*. Stanford: Stanford University Press.
- Gavigan, J. (ed.) (1966) *Augustine: On Christian Instruction*. Fathersofthe Church (Vol. 2). Washington: Catholic University of America Press.
- Gentzler, E. (1993/2001) *Contemporary Translation Theories*. London: Routledge.
- Hubbell, H.M. (ed.) (1949) *Marcus Tullius Cicero: de Inventione; de Optime Genere Oratorum; Topica*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Jean, G. (1992) *Writing: The Story of Alphabets and Scripts* (J. Oates, trans.). London: Thames and Hudson.
- Kaylor, N.H. (1992) *The Medieval Consolation of Philosophy: A Bibliography*. New York: Garland Publishing. Kelly, L.(1979) *The True Interpreter: A History of Translation Theory and Practice in the West*. Oxford: Blackwell.
- Lathrop, H. B. (1967) *Translations from the Classics into English from Caxton to Chapman 1477–1620*. New York: Octagon Books.
- Lefevere, A.(ed.)(1992c)*Translation/History/Culture: A Source book*. London: Routledge.
- Lockhart, J. (1991) *Nahuas and Spaniards*. Stanford, CA: Stanford University Press.
- Long, L. (2001) *Translating The Bible: From the 7th to the 17th Century*. Aldershot: Ashgate.
- Long, L.(ed.) (2005) *Holy Untranslatable? Translating Sacred Texts*. Clevedon: Multilingual Matters.
- Mason, H.A. (1959) *Humanism and Poetry in the Early Tudor Period*. London: Routledge and Kegan Paul.
- Munday, J. (2001) *Introducing Translation Studies: Theories and Applications*. London: Routledge.
- Ouyang, E. (1993) *The Transparent Eye: Reflections on Translation, Chinese Literature, and Comparative Poetics*. Honolulu: University of Hawaii Press
- Pollard, A.(ed.) (1911) *Records of the English Bible*. Oxford: Oxford University Press.
- Polythress, V.S. and Gruden, W. (2000) *The Gender Neutral Bible Controversy: Muting the*

التاريخ والترجمة

- Masculinity of God's Words. Nashville, TN: Broadman and Holman.
- Potter, S. (1990) Our Language. Harmondsworth: Pelican.
 - Pym, A. (2000) Negotiating the Frontier: Translators and Intercultures in Hispanic History. Manchester: St Jerome.
 - Rhodes, E.F. and Lupas, L.(1997)The Translators to the Reader. New York: American Bible Society.
 - Robinson, D. (ed.) (1997b/2001) Western Translation Theory from Herodotus to Nietzsche. Manchester: St Jerome.
 - Schacht, J. and Bosworth, C.E.(1974)The Legacy of Islam. Oxford: Clarendon Press.
 - Schaff, P. and Wace, H. (eds) (1979) Letter to Pammachius no. Iviii. In Nicene and Post-Nicene Fathers (Vol. 6): St Jerome. Michigan: Eerdmann.
 - Schulte, R. and Biguenet, J.(eds) (1992) Theories of Translation: An Anthology of Essays from Dryden to Derrida. Chicago: University of Chicago Press.
 - Shapiro, M. (ed.) (1990) De Vulgari Eloquentia: Dante's Book of Exile. Lincoln: University of Nebraska Press.
 - Steiner, G. (1975/1998) After Babel: Aspects of Language and Translation. Oxford: Oxford University Press.
 - Strauss, M.L. (1998) Distorting Scripture? The Challenge of Bible Translation and Gender Accuracy. Downers Grove, IL: Intervarsity Press.
 - Trivedi, H. (1993) Colonial Translations: English Literature and India. Calcutta, India: Papyrus
 - Underwood, S. (1998) English Translators of Homer. Plymouth: Northcote House Publishers.
 - Venuti, L. (ed.) (2000) The Translation Studies Reader. London: Routledge.
 - Wheeler Robinson, H. (ed.) (1940) Ancient and English Versions of the Bible. Oxford: Oxford University Press.
 - Williams, D. (ed.) (1991) Peter Brook and the Mahabharata: Critical Perspectives. London: Routledge.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

تدريس الترجمة

أو تكوين المترجمين¹

ترجمة: د. ملكة أبيض

إذا كانت هناك تساؤلات منذ البداية حول الأسلوب الأفضل للترجمة، فالسؤال حول كيفية تدريس الترجمة لم يبدأ فعلاً إلا منذ عدة عقود. أضف إلى ذلك، وقبل طرح هذا السؤال، كان هناك مجال للتساؤل عما إذا كان من الممكن تعليم الترجمة. وهذا هو بالفعل سبب التعجب الذي أطلقه "جان بول فيناي Jean Paul Vinay" عام 1957 قائلاً: هل نستطيع تعليم الترجمة؟² ذلك أن ما هو مسلّم به اليوم تقريباً، لم يكن كذلك آنئذ. ففي ذلك الوقت لم يكن تكوين أشخاص لممارسة مهنة المترجم المحترف أمراً مسلماً به. ولتشر بهذا الصدد إلى أن حجة المفكرين المتمثلة في عدم الحاجة لمشروع منهجي للتكوين كانت سليمة آنئذ: فكون الترجمة تعدّ (كما لو كانت) فناً، يعني أن تعليمها غير ممكن. ذلك أن تعليم الموهبة الفنية غير ممكن، وهذا ينطبق بدرجة أكبر على النبوغ في الفن.³

إن أنصار هذا الموقف ينسون أن النشاط الترجمي لا يقتصر على النصوص الأدبية (أو الجمالية)؛ بل يتعامل، في الواقع، مع أنواع ومجالات عديدة، وفيها الاهتمامات العملية والمتعلقة بالاتصال، وهذا يعود إلى بدايات الترجمة. مما دفع الناس تدريجياً إلى اتخاذ قرار بأن عالمهم يجب أن يتوزع إلى اثنين: عالم الطبيعة، من جهة، وعالم الثقافة من جهة أخرى:

¹ Gamar, Jean – Claude, Traduire ou L'Art d'interpréter, Tome I: Principes, Presses de l'universite du oue'bec, Canada, 1995.

² "Peut – on enseigner la traduction?" Journal des traducteurs, Vol. II, N4, Montreal, P. 141.

³ Gamar, J. C., op. cit. p. 87.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الفنون والآداب، من جهة، والعلوم والحياة العملية، من جهة ثانية. وهكذا فإن الاهتمامات المتعلقة بالترجمة عكست هذا الاتجاه الفكري، وأصبحت الترجمة التي تسمى "أدبية" من اختصاص الجامعة، وبرامج تعليم اللغات الأجنبية أو الميته؛ أما الترجمة العملية (التي تضم الترجمة التجارية والتقنية) فأصبح تعليمها يجري في مدارس ومعاهد متخصصة، لا في الجامعة إلا في حالات استثنائية. وقد تأثر تعليم الترجمة طويلاً، بحسب ما كان يُقدّم هنا أو هناك. أضف إلى ذلك، أنه بقي مطبوعاً إلى حد بعيد بتقاليد تعليم اللغات القديمة (اللاتينية واليونانية)، مع أن الاهتمام بدأ أيضاً، منذ مدة طويلة نسبياً، بتعليم اللغات الحية أو الحديثة (بالمقارنة بالكلاسيكية).

ومهما كانت الجدارة - التي لا يمكن نكرانها - لهذه التربية الكلاسيكية، فإن غرضها - سواء شئنا أم أبينا - كان لغوياً أكثر منه مهنيّاً: وهو يتمثل في تعليم اللغات الأجنبية، واكتسابها، وإتقانها، بغية تدريسها بالدرجة الأولى. فقد كان موضوعها ثقافياً قبل كل شيء، وهو يعمل بحسب تقليد إنساني تبقى الجامعة متعلقة به.

هذه الهوة بين التقليد المنحدر من الماضي - مهما كان لامعاً - والضرورة التي فرضها الحاضر، راحت تتسع ببطء في النصف الأول من القرن العشرين. وجاءت الحرب العالمية الثانية فعملت على الكشف عنها وتعميقها. فحركات الجيوش عبر العالم، من أوروبا إلى اليابان، جعلت من الواضح أن التعليم التقليدي للغات، حتى اللغات الحية، لم يعد ملائماً للحالة الحاضرة، وأن الحالة الجديدة تتطلب تعليمًا جديدًا. وعمل الأمريكيون، الذين واجه دخلهم القومي ثم رجال الأعمال لديهم، أحوالاً لغوية لم يكونوا مهئين لها، أو كانوا سيئي الإعداد لها، على التكيف مع الظروف، وإيجاد الصيغ التربوية المناسبة، أي البسيطة والكفوءة، وراحت الفجوة تتعمق بين تعليم الترجمة عن طريق تعليم اللغات، وتعليمها لذاتها. وهي باقية في قلب المشكلة التي يطرحها تكوين المترجمين.

المدارس الأولى للترجمة

منذ أوائل أربعينيات القرن العشرين ظهرت بوادر التربية الحديثة في مجال الترجمة. ومنذئذ لم يتوقف تعليم الترجمة عن التطور، على الإيقاع الجامع للمكتشفات العلمية، والمؤلفات في نظريات الترجمة التي تفتح، تحت غطاء المبادئ النظرية، مجال "طرائق الترجمة" الموجه إلى سوق مشرع الأبواب.¹

تاريخياً، بدأ تدريس الترجمة في أوروبا، في "مدرسة الترجمة" في مانهايم عام 1930. وفي عام 1933 دخل تعليم الترجمة إلى الجامعة حين تحولت هذه المدرسة إلى معهد في "جامعة هابيلبرغ". وفي عام 1940 أنشئت "مدرسة الترجمة التحريرية والشفهية" في جنيف. وفي عام 1952 أنشئ "معهد اللغة والترجمة" في ميونيخ، وظهرت "المدرسة العليا للمترجمين التحريريين والشفهيين" في جامعة باريس عام 1954. أما في كندا فقد رأى البرنامج الجامعي الأول النور عام 1951 في قسم اللسانيات في جامعة مونتريال. ثم استطلت القائمة حتى بلغت عشرين مركزاً ومدرسة ومعهداً جامعياً للترجمة تجمعت في إطار "المؤتمر الدولي لمديري المعاهد الجامعية للمترجمين والمترجمين الشفويين".

إن إنشاء المدارس الجامعية الأولى للترجمة في أوروبا وكندا، لم يحلّ مسألة الصيغة التربوية المأمولة. فتعليم الترجمة ما يزال مطبوعاً إلى حد بعيد بالتقليدية والكلاسيكية في بلدان عديدة، مما جعل المؤتمر العام لليونسكو، المسمى مؤتمر نيروبي، يصوغ في المادة 11 من توصياته، الإعلان التالي:

"على الدول الأعضاء أن تعترف بالمبدأ القائل إن الترجمة مادة دراسية مستقلة يجب أن يكون تعليمها متميزاً عن التعليم اللغوي حصراً، وأن يشكل تكويناً متخصصاً".²

وإذا كانت الترجمة مادة دراسية مستقلة، وهو ما نحن متعلقون بتأكيد؛ وإذا كان تعليمها

¹ المرجع نفسه.

² Actes du congrès sur la traduction, l'universitaire et le praticien, Editions de l'universite d'ottawa, 1984, p. 271.

يجب أن يكون منفصلاً عن التعليم اللغوي التقليدي، فإن علينا إذن أن نبتكر نموذجاً من التكوين الخاص، المتخصص، المستند إلى منهجية مناسبة، يهدف إلى تخريج مترجمين بصورة عامة (أي مترجمين "عامين" ومترجمين "متخصصين")، بحسب حاجة السوق المحلي، والإقليمي، والوطني، وحتى الدولي. وهذا يفرض أيضاً أن يجري العمل على حل كل المشكلات التربوية.. وبتعبير آخر، بحسب كلام جان داريلنيه، "إن المطلوب هو التوفيق بين طريقة تصورنا للترجمة وطريقة تعليمنا لها".¹ وهو يفترض سلفاً، أن مدرس الترجمة، شأنه شأن كل مدرس جدير بهذا الاسم، يجب أن يكون قد فكّر بشأن تدريسه، ودون أن نمضي إلى ضرورة إنشاء منهج نظري، أن تكون نظريته الخاصة بشأن الترجمة "تمتلك على الأقل، جنيئاً لنظرية حول المادة التي يدرسها". مثال ذلك: هل عليه أن يختار ترجمة المعنى، أو - على العكس - الترجمة الحرفية؟ والمعروف أن كلا الطريقتين تملكان العديد من الأنصار.

إن الإجابة عن مسائل من هذا القبيل لا تعود إلى المدرّس، بل تُفرض عليه من الضغوط (الاجتماعية، واللغوية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، الخ..) في المجتمع الذي يعمل فيه، وبحسب ما يكون السياق المحلي وحيد اللغة، أو ثنائي اللغة، أو متعدد اللغات، مثل كندا، وبلجيكا، وسويسرا. والمخاطر المتأثية من الخيارات المتخذة تطرح معضلة أمام كل مدرس يعمل في سياق مماثل؛ وهي تشكل رهاناً تربوياً أساسياً يستطيع تحديد المستقبل المهني والشخصي للطلاب.

الرهان التربوي للترجمة

يتمثل الرهان على الصعيد الأخلاقي، أولاً، في اختيار نوع التعليم الذي ينبغي إعطاؤه للطلاب: هل علينا تكوين مترجم عام، أم مترجم متخصص، أم علينا بكل بساطة، تكوين إنسان ذي ضمير حي؟ إنه الخيار الأساسي بين الاحتراف، والتخصص، وعالمية التكوين، وهو رهان يؤثر، على الصعيد الاجتماعي والثقافي، في مستقبل الطالب، ويجعل دخوله إلى سوق

¹ المرجع نفسه.

..... تدريس الترجمة أو تكوين المترجمين

العمل أقل أو أكثر صعوبة، ويحدد مدى اندماجه في المجتمع الذي سيدعى للعيش فيه بصفته عضواً في جماعة إثنية، وإسهامه في تحقيق أسلوب حياة مشترك.

هذا الرهان يمكن إرجاعه إلى البديلين التاليين:

- إما استهداف أغراض محددة، ولكنها واقعية، لأنها "مهنية"، تتمثل في تكوين متخصصين، والأفضل بالجملة، والتمسك بالمعيار السائد، مع استبعاد محاولات الإصلاح والتغيير. إنها رؤية عالم جامد ثقافياً، أي محافظ، ولكنها مطمئنة للفكر، لأنها لا تثير تساؤلات وشكوكاً.
- وإما جعل الثقافة - وفيها اللغة - تنتنس بحرية على إيقاع زمننا، الذي يعرف الجميع أنه جامع. هذه الرؤية مقلقة نسبياً، لأنها تحمل اللابقيين. ولكن الإنسان يخشى اللابقيين! إنه يبحث في كل شيء تقريباً عن الراحة النفسية التي يوفرها الإيمان بواقع محدد أكيد، مبني على وقائع محسوسة وقوانين لا تقبل الطعن.

وكلا البديلين يرجعان بنا إلى الجدل الأزلي: جدل القدامى والمحدثين الذي يعود دائماً إلى الظهور تحت أشكال متجددة. ويهمننا في هذه اللحظة السريعة أن نشير إلى أن أساتذة الترجمة إذا كانوا يختلفون بشأن الطريقة المثلى لتعليم الترجمة، فإنهم يتفقون بصورة عامة حول ما يجب أن يمتلكه المترجم ليمارس نشاطه في أفضل الظروف المتاحة وهو: معرفة جيدة باللغتين (لغة الانطلاق ولغة الوصول)، وثقافة عامة كافية. ذلك أن معضلة تكوّن المترجم تتلخص - نظرياً - في فئتين كبيرتين من المهام:

1. الفهم (فهم لغة النص المصدر/ أو نص الانطلاق)؛
2. إعادة التعبير (في لغة النص الهدف/ أو نص الوصول).

ولتمكين المترجم من أداء هاتين المهمتين بنجاح، هناك مسلمة رئيسة نقول: إن الثقافة العامة والمعرفة اللغوية هما الأساس الذي تستند إليه كفاءة المترجم وأدائه. من هنا فإن تكوين المترجم يجب أن يسلك هذا الطريق.

مشكلات منهجية في تكوين المترجم

سنتوقف فيما يلي عند سبع فئات كبرى من المشكلات التي يواجهها أستاذ الترجمة خلال وضع طريقة للتعليم تُسَدُّ حاجات الطلاب. هذه المشكلات تبدو لنا ذات طابع عالمي لأنها استخلصت من برامج تكوين المترجمين في نحو 20 بلداً وإقليماً من أطراف العالم، وقدمت إلى المشاركين في "اللقاء العالمي الرابع لأقسام الدراسات الفرنسية في جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي (15-19 كانون الأول/ديسمبر 1988)". هذه الفئات هي:

1. طرائق تدريس الترجمة.

2. لغة الانطلاق.

3. لغة الوصول.

4. الثقافة العامة.

5. التوثيق والمصطلحات.

6. تقويم الترجمة.

7. ممارسة الترجمة.

1. طرائق تدريس الترجمة

يُعدُّ فيناي وداربيلنيه - كما بينا في دراسات سابقة - من الأوائل الذين أفتعوا العالم الجامعي بضرورة تعليم الترجمة بحسب طريقة صارمة، تتكيف مع المجتمع وحاجاته الحالية، وتستند إلى مبادئ قابلة للتطبيق في تعليم اللغات الحية ضمن منظور الترجمة. إنها إجراءات سبعة عرضها العالمان في كتابهما: "أسلوبية مقارنة بين اللغتين الفرنسية والإنكليزية Stylistique Comparée du français et de L'anglais" الشهير في جميع مدارس الترجمة في العالم، مهما كانت اللغات التي تعلّم فيها.

وهذه الإجراءات هي:

آ. الاقتراض L'emprunt: "منهج في الترجمة يتمثل في نقل كلمة أو تعبير من لغة أخرى إلى

..... تدريس الترجمة أو تكوين المترجمين

النص المترجم دون تغيير، إما لأن لغة الوصول لا تملك مقابلاً للكلمة أو التعبير، أو لأسباب بلاغية".

ب. الاقتباس Le calque: "يمكن تعريفه بأنه ترجمة لاقتراض عنصر واحد أو أكثر. ويُميز عادة نوعان من الاقتباس: اقتباس التعبير واقتباس البنية. وهذا الأخير يُدخل في لغة الوصول بنية غير اعتيادية". مثال لاقتباس التعبير في العربية:

إعطاء الضوء الأخضر Donner le feu vert

ومن أمثلة اقتباس البنية:

Francophonie

فرنكوفونية

Electromagnétique

كهربية

ج. الكلمة بكلمة والترجمة الحرفية Le mot à mot et la traduction littérale كثيراً ما ينظر إلى هذين المصطلحين بصفتهم مترادفين، على أن هناك فارقاً صغيراً بينهما.

فمنهج الكلمة بكلمة يمكن تعريفه بأنه "اقتباس تام يطبق على جملة أو جزء من جملة، وهو يسمح بالانتقال مباشرة من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول بمجرد احترام النواحي المتعلقة باللغة. وهكذا فإن جملة:

L'enfant mange le déjeuner تكتب: الولد يأكل الغداء.

ومن الملاحظ أن استعمال هذا المنهج يبقى محصوراً في حدود جمل قصيرة نسبياً، وذات بنية بسيطة. وقد يصبح مستحيلاً إذا ما حدث اختلاف طفيف في الجملة الأصلية، كما يتبين في المثال التالي:

L'homme a prié dieu فإنها تترجم: تَضَرَّع الرجل إلى الله.

ذلك أن الكفاءة اللغوية للمترجم ستنبهه إلى أن الفعل العربي (تضرع) يحتاج إلى حرف جر قبل مفعوله، وأنه يُفضَّل للجملة الفعلية في اللغة العربية أن تبتدئ بالفعل.

ويلخص أحد الباحثين الفرق بين المنهجين بقوله: "حين نقارن الترجمة الحرفية بالترجمة

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

كلمة بكلمة، تكون الترجمة الحرفية تلك التي تأخذ بالحسبان الظواهر اللغوية (النحوية والصرفية) اللازمة لإنتاج بنية صحيحة انطلاقاً من ترجمة كلمة بكلمة لا تملك هذه البنية".

د. الإبدال **La transposition**: منهج في الترجمة يتمثل في التوصل إلى تكافؤ عن طريق تغيير الزمرة النحوية"، مثال ذلك:

في الفرنسية Silence (اسم).

في العربية أُسكت (فعل).

هـ. التعديل **La modulation**: نوع من الإبدال يعمل على صعيد الزمر الفكرية لا النحوية. وهناك نوعان من التعديل:

تعديل في اللفظ، مثل في الفرنسية: J'ai froid في العربية: أنا بردان، أو أشعر بالبرد.

وتعديل في الدلالة أو التناول، مثل: bonne nuit تصبح على خير.

و. التكافؤ أو التطابق **L'e'quivalence**: حين يُنظر للموضوع بصورة عامة، يمكن القول إن كل ترجمة تمثل نوعاً من التكافؤ، ولكن هذا المصطلح يستعمل في إطار مناهج الترجمة بصورة خاصة، للدلالة على "المنهج الذي يسمح بالتعبير عن حالة معينة عن طريق الاستعانة بوسائل بنيوية وأسلوبية مختلفة كلياً".

وجدير بالذكر أن التكافؤ يشبه التعديل من حيث أنه يعتمد إلى تغيير وجهة النظر والتناول. وهناك تعديلات جامدة ثبتت بالاستعمال، مثال ذلك:

أشهر من نار على علم **Une personne célèbre**.

ز. التكيف **L'adaptation**: إن الأثر الأدبي هو بالتأكيد ميدان يستطيع التكيف أن يأخذ فيه مداه الكامل، مثال ذلك التكيف للمسرح أو للسينما. على أن المترجم لنص تقني أو علمي يضطر أحياناً إلى أن يستبدل بنظام وحدات معين (الوزن، الطول، الطاقة... الخ) نظاماً آخر، فيمكن حسابان ذلك نوعاً من التكيف.

..... تدريس الترجمة أو تكوين المترجمين

وهكذا يمكن تعريف التكيف كما يلي: "منهج في الترجمة يتمثل في الاستبدال بالحقيقة الاجتماعية - الثقافية للغة الانطلاق حقيقة أخرى تخص الثقافة الاجتماعية للغة الوصول".

ومن الممكن للتكيف أن يتناول نصاً طويلاً أو فقرة، أو جملة، ومن أمثلة ذلك:

في الفرنسية Salut

في العربية السلام عليكم.¹

وفي نهاية هذه الفقرة، لابد من الإشارة إلى أن فيناي وداريلنيه لم يكونا يريان في هذه المقترحات طريقة أو منهجاً شاملاً بل مجرد إجراءات مساعدة لتحسين أداء المترجم أو لتقويم عمله.

وبالرغم من الانتشار الذي حظيت به الترجمة، فإن تقدم تدريسها لا يوازي التطور الهائل على الصعيدين العلمي والتقني. ويجب الاعتراف بأن بعض المدارس ما تزال تعطي أهمية كبرى للتكوين النظري، على حساب التدريب العملي؛ كما أن أخرى تركز بقدر أكبر على الجانب العملي، وتهمل المعارف العامة التي تشكل عناصر رئيسة في تكوين المترجم. وتتمثل الصعوبة هنا في إيجاد توازن بين النظر والعمل.

وهكذا، فإن الترجمة ما تزال تبحث عن منهجية، وهذه حالة تجعلها متأخرة عن غيرها من العلوم الإنسانية، فكيف بها بالمقارنة بالعلوم الدقيقة؟

2. لغة الانطلاق

ترتفع شكوى عامة لدى مدرسي الترجمة في كل مكان، من أن الطلاب، لدى خروجهم من التعليم العام لا يمتلكون لغة الانطلاق (اللغة الأجنبية) بالمستوى المتوقع من مترجم. وعدم فهمهم لبعض أقسام النص المطلوب ترجمته، يسفر عن ترجمة مشكوك بها، تحتوي العديد من الأخطاء التي ترجع إلى عدم معرفة لغة الانطلاق. وهذا يشكل بنظر أصحاب العمل النقص

¹ أبيض، ملكة، قاموس الترجمة، أملية غير مطبوعة، جامعة صنعاء.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الأكثر خطورة في تكوين المترجم، ويعزى في العادة إلى ضعف تدريس اللغة أو اللغات الأجنبية في مراحل التعليم ما قبل العالي، مما يحمل معاهد تعليم الترجمة أعباء إضافية لتدارك النقص.

3. لغة الوصول

ربما كان من المستغرب رؤية لغة الوصول مدرجة بين المشكلات المنهجية التي يطرحها تعليم الترجمة. ذلك أن لغة الوصول تمثل غالباً اللغة الأم للمترجم. لذلك يمكن التساؤل: أين تقع المشكلة؟ الواقع أن المشكلة أكثر خطورة مما نعتقد. وهي لا ترجع كلياً للطلاب، بل إلى المجتمع بدرجة كبيرة، وإلى تطوره منذ الحرب العالمية الثانية، وإلى هيمنة الثقافة الشفهية، والسمعية - البصرية، وسيطرة الصورة؛ وكل ذلك على حساب الثقافة التحريرية، والتمكن من قواعد النحو والصرف والإملاء، وتراجع التعبير والإنشاء في نهاية الأمر، وهذه الظاهرة عالمية. لقد لاحظناها على نطاق واسع في بلدان عديدة، نامية ومتقدمة.

ومع أخذ النسب بالحسبان، يلاحظ أن المهندس، أو الطبيب، أو المحامي يتقنون أسس لغتهم أقل من ذي قبل، وربما كان ذلك أقل خطراً (نسبياً) من وجود هذا الواقع لدى المترجمين الشفهيين، والتحريريين، والمنشئين والمراجعين... ولدى من يفترض فيهم إتقان اللغة كالصحفيين، والعاملين في وسائل الإعلام بصورة عامة. إن كل ترجمة، في أي مجال كانت، تستعمل إعادة التعبير والإنشاء. وسواء أكان المترجم يميل إلى إعادة تعبير أدبية، أو يهدف إلى كتابة نص عملي (تقني أو تجاري)، فإنه ينشئ أو يعبر. من هنا، فإن عليه إن يكون متمكناً من هذه التقنية، وأمام الثغرات الملاحظة في معظم مدارس تكوين المترجمين، يضطر القائمون عليها إلى إدراج مقررات في القواعد والإنشاء لتقوية معارف الطلاب في اللغة الأم، وتمكينهم من إعادة التعبير بها عن نص الانطلاق بأسلوب مقبول.

4. ثقافة المترجم

موضوع آخر يشكو منه أرباب العمل، شأنهم شأن الأساتذة؛ وهو يتمثل في نقص الثقافة

..... تدريس الترجمة أو تكوين المترجمين

العامة للمترجمين. وهناك أسباب كثيرة لذلك، منها تراجع الدراسات الإنسانية والأدبية، وضعف الاهتمام بالتاريخ، والفلسفة، والجغرافيا، وهي تفسر جزئياً الضعف النسبي للثقافة العامة لدى الطالب حين يدخل الجامعة، وحتى يخرج منها؛ في حين تتمثل الوظيفة الأولى للمترجم في نقل الرسالة المتضمنة في نص الانطلاق. وهذه الرسالة، في غياب مستوى كاف من الثقافة العامة، يمكن أن تصبح ناقصة، أو خاطئة، حين يقصر المترجم أو يخطئ في فهم التلميحات الثقافية.

ولكن لماذا لا نعرف الثقافة العامة لنحدد ما نتوقعه من المترجم؟

إن معجم لاروس Le Grand Larousse يقترح التعريف التالي: "الثقافة العامة هي مجموع المعارف، التي تنتمي إلى مجال الفكر، والتي تعد ضرورية قبل كل اختصاص".

ولابد من الإشارة هنا، إلى أن هذه الثقافة في تطور دائم؛ فثقافة إنسان القرن الواحد والعشرين لا يمكن أن تتكون من معرفة التراث الأدبي وحده؛ بل تتطلب معرفة بالوقائع والأحداث الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، والتقنية المعاصرة.. كما أنها تتطلب إضافة المهارات العملية إلى المعارف النظرية.

والمترجم، بسبب دوره الوسيط بين اللغات، وبالتالي بين الثقافات، يجب أن يمتلك الأدوات الفكرية التي تسمح له بوضع اللغة في خدمة المجتمع.

وفي سبيل تحقيق ذلك، ينبغي إدراج مقررات دراسية في الثقافة العامة، تستطيع توفير حلول لمشكلة هذا النقص في المعارف العامة لدى المترجمين.

5. التوثيق والمصطلحات

ترجع مشكلة التوثيق والمصطلحات في مجال الترجمة إلى تكاثر المفردات الجديدة الناجم عن التطور المشهود في الصنائع والتقنيات؛ حتى إن المراجع أصبحت تلاقي صعوبة في متابعة هذا التطور السريع. وهكذا فإن الأساتذة يواجهون اليوم مطلباً مزدوجاً: إن عليهم، من جهة، توفير مواد تربوية مناسبة للاستعمال في الصف، وفي سبيل ذلك،

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

عليهم جمع أكبر قدر، وأحدثه، من هذه المواد، ودراسته للتحقق من صلاحيته.
ومن جهة أخرى، عليهم إعداد طلابهم للبحث التوثيقي بتوجيههم إلى المراجع ذات العلاقة
باهتماماتهم، وتدريبهم على استعمالها للتوصل إلى التوثيق الصحيح.

6. تقويم الترجمة

يقترح عدد من الباحثين صيغاً لتقويم النصوص. وهذه تنطلق من تقويم كيف الترجمة أو
جودتها، بالاستناد إلى:

- الأمانة لرسالة نص الانطلاق (المضمون)؛
- الشكل الذي جرى التعبير به عن الرسالة.

هذان هما المعياران الأساسيان اللذان أنتجا الطرائق الرئيسية للحكم على جودة ترجمة ما.
وهما يتفرعان، من ثم، إلى معايير ثانوية بحسب الحالة: ترجمة ذات طابع تربوي، أو جمالي،
أو عملي، الخ؛ مثال ذلك إن مكتب الترجمة التابع لحكومة كندا يستند في قبوله للنصوص
المتترجمة إلى مبدأ يقول: حتى يكون النص المترجم مقبولاً يجب على الترجمة "أن تؤدي
رسالة نص الانطلاق بدقة، وبلغة سليمة، وأصيلة، وملائمة للموضوع وللجهة المستقبلة".

مع العلم أن هناك جدلاً دائماً حول ما يوصف بـ "الخطأ" في الترجمة، وحول ما إذا كان
الخطأ في تفسير المعنى يضر بالنص أم لا. فهناك فرق فيما إذا كان الخطأ في نص أدبي أو
نص علمي أو قانوني. ومثال ذلك أن الأخطاء التي تعزى إلى ترجمة "بودلير" و"مالارمييه"
لآثار "إدغار آلان بو" لم تضر بالنص الأصلي، بل إن قراءة الترجمة أدت إلى متعة كبيرة،
على أن الأمر يختلف في حال ترجمة وثيقة تأمين، إذا ما حدث خطأ في صياغة بند من بنود
المسؤولية، أو في تعليمات لتشغيل جهاز معين - فإن النتائج التي تحدث عن الخطأ تكون
خطيرة في هذه الظروف.

7. ممارسة الترجمة

من المسلم به التأكيد أن المرء لا يصبح مترجماً إلا عن طريق الترجمة. فكل نشاط يتطلب معرفة بالعمل والتقنية، يمر من خلال ممارسة مكثفة ويومية بصورة عامة. ونحن نعرف أمثلة العاملين على الآلات كالعازفين على البيانو والكمان وغيرهم، الذين يخصصون مدة من الوقت يومياً للعزف على آلاتهم، وإجراء تمرينات، وتكرارات مستمرة، بالرغم من أنهم قد يكونون موسيقيين مشهورين. والمترجم، شأنه شأن الموسيقي، عليه أن يتمرن بغية الاستمرار في مهنته، سواء أكان مترجماً في مؤسسة، أو موظفاً حكومياً، أو مستقلاً.

إن المسألة تبدو مسلماً بها. على أن الواقع لا يسير دوماً على هذا النحو. وما يزال هناك عدد من مراكز تكوين المترجمين في العالم، لا يركز على اكتساب المهارة المهنية، مما يسفر عن اختلال كبير أحياناً بين التكوين وحاجات العمل.

من هنا، كان على الجهات التربوية التفكير في صيغ للتعليم تُسدُّ هذه الحاجات الجديدة، بصورة "تدريب" يقدم للطلاب خلال الدراسة، أو بعد التخرج.

على أن صيغة "التدريب" وحدها ليست كافية. ويمكن، بل ينبغي، دعمها بفعاليات مكملة أخرى ذات طابع مهني. ومن الممكن تنظيم أيام عامة للتفكير لـ (المدرسين وأصحاب العمل والطلاب)، أيام للترجمة أو للمراجعة، أو لتصحيح امتحانات مهنية على سبيل المثال) أو للتوثيق والمصطلحات.. وصيغة التدريب هذه يمكن أن تتخذ أشكالاً متعددة، من الأكثر بساطة (التدريب القصير ليوم دراسي واحد) إلى الأكثر تعقيداً (تدريب طويل الأمد، لمهارات متعددة، بالتناوب، والتنقل بين أمكنة متعددة) وذلك يطرح مشكلات التنظيم والتنسيق، والتعاون، ولكن كل صعوبة يمكن حلها، والنتائج جديرة ببذل كل الجهود الممكنة.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

عِلْمُ التَّرْجَمَةِ فِي ضَوْءِ الْعُلُومِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ

د. عادل داود

كلية الآداب - قسم اللغة الفرنسية

جامعة البعث - سورية

مقدمة

تطورت العلوم واتسعت حقول بحثها، بل باتت تمتد إلى الحقول المجاورة، فتَشَقُّ إلى منابع العلوم الأخرى سبلاً، تستقي منها غذاءً لنسغها، يكمل نموها ويزيد ثمارها ألقاً. وقد تختلف أَرْضِيَّة هذه العلوم، غير أنها تتقاطع في دروبها عبر مسرب أو أكثر من مسارب بحثها. فألقت العلوم المعرفية بظلالها على عدد كبير من العلوم الحديثة، من نحو: علم الأعصاب وعلم الأحياء والفيزياء والمنطق والفلسفة والرياضيات والمعلوماتية والذكاء الاصطناعي وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأعراق البشرية واللغويات وعلم الترجمة... ويسمح التطور الحاصل في العلوم الإنسانية بادعاء تَظَلُّلِ دراساتها بمنهج مدروس، يهب نتائجها قدراً كبيراً من العلمية، من جرّاء تهجين فروعها بعناصر البحث في العلوم المعرفية. فكان يؤخذ على العلوم الإنسانية سابقاً سمتها الانفعالية والتجريدية؛ فهي تدرس تفكير الإنسان المتكلم والمتفاعل مع محيطه، أي تدرس هذه العلوم الإنسانَ وتصوراته الداخلية التي يرسمها عن الواقع الخارجي. ويمكن أن تختلف الصور الذهنية من شخص لآخر، فتبدو صحيحة أو خاطئة، وواضحة أو غامضة... إذ يَحُولُ هذا التعريف بالعلوم الإنسانية دون إسباغ سمة ثابتة راسخة عليها، لأن نتائجها متغيرة وخاضعة للانفعالات والسمات الذاتية. بيد أن العلوم الإنسانية دأبت على وضع معايير لدراسة طريقة تفكير الإنسان والأسس التي تحكمه، والمسببات التي تأتي بنتائج معينة في ظرف محدد. والغاية من ذلك فهم طبيعة التفكير، والمضي في تحليل النفس البشرية لتفسير تصرفات

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

البشر، واكتشاف سبل علاج الأمراض ذات المنشأ النفسي. ويدعم هذا الدأب المستمر مسيرة الارتقاء بعلوم الإنسان إلى مصاف الدراسات الدقيقة. فوجد علماء العصر الحديث في العلوم المعرفية -التي سنأتي على تعريفها وتحديد تفرعاتها- وسيلةً لإسباغ شيء من المرونة والدقة على العلوم الإنسانية وعلى دراسة التواصل البشري، بمراقبة عمل الذهن ومعالجته للمعلومات الواردة عبر الأعصاب. فاللغويات أتت على أعتاب العلوم المعرفية تنهل منها دراسة الكلام وكيفية إنتاجه، للتوصل إلى فهم رسائل الكلمات المتسقة في جمل والمُعالَجة في وقت قصير جداً في الدماغ. ثم أرادت الترجمة الانشقاق جزئياً عن اللغويات والاستقلال في علم يدرس مناهج النقل اللغوي وطرقه، ويصنف أخطاءه، ويقترح السبيل السديد في نقل قصد الكلام وصور البيان، فوجد أيضاً في العلوم المعرفية شيئاً من ضالته، لتقترن دراسة الترجمة ابتداء من منتصف القرن العشرين بدراسة التصورات الذهنية وعلوم اكتساب المعرفة. وهذه المزوجة بين العلوم المعرفية - خصوصاً- والترجمة، جعلت الأخيرة مسبوقة بِسمة العلم. وسيسعى هذا البحث إلى تقديم صور استفادة الترجمة وعلمها من علوم الدماغ وبناء المعرفة، وخطط استثمار هذه الفوائد في الترجمة ونظرياتها الحديثة. ويجدر التوقف في البداية عند بعض المحطات الفلسفية والعلمية التي نتناول أقسام الدماغ ونشاطه ووظائفه، ابتداء من العهد القديم ووصولاً إلى الزمن المعاصر.

دراسات الدماغ والإدراك والمعرفة

حظي العقل وعمله باهتمام ودراسة كبيرين منذ زمن سحيق، وطور أسس الدراسة في علوم الدماغ الباحثون الغربيون بمختلف مشاربهم العلمية والأدبية. وتجدر الإشارة إلى تقديم القدماء أيضاً بصمات بارزة في سبر أغوار الدماغ وتفصيل دقائقه، على قدر ما أرشدتهم بحثهم البدائي إلى ذلك سبيلاً. فدرس **المصريون القدماء** في العصر الحجري الحديث الجهاز العصبي والخلايا الدماغية. واعتقدوا أن القلب مقرُّ الانفعال والتفكير، فمثّل - بنظرهم- أهم عضو في الجسم. وأدلى **الإغريق** بدلوهم للغور في العقل والنفس. فقدم الطبيب والفيلسوف

اليوناني جالينوس كتباً عن تشريح الجسم، وعرض عظام الجمجمة بالتفصيل، مبيناً أن الأعصاب تبدأ من المخ. وأكد أبو الطب أبقراط أن التفكير والذكاء موطنهما الدماغ، وهو أيضاً مركز الإحساس. وتحدث بعده الفيلسوف أفلاطون عن الروح والعقلانية، فحدد عمل الدماغ في الجانب المنطقي من الروح. غير أن أرسطو خالف شيئاً ما فلسفة معلمه أفلاطون، وأبدى تعاطفاً مع رأي المصريين لما عدّ القلب منطلقاً للتفكير والإحساس والحركة، أما الدماغ فوظيفته تبريد الدم المتوجّه إلى القلب. وآمن بذلك نفر من الناس والعلماء لزمان طويل بعد أرسطو. وبين المفكر والفيلسوف الأفريقي الكميون ارتباط الحس بالدماغ. إذ وضّح أن الدماغ موضع الفكر والذكاء والفتنة. ورأى الطبيب والفيلسوف ابن سينا أن الدماغ يتلقى ما يطبع في الحواس الخمس، فيدركها بتجريد المادة. فأكد في (كتاب الشفاء) أن الإدراك «إنما هو أخذ صورة المدرك بنحو من الأنحاء فإن كان الإدراك إدراكاً لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المادة»¹. فالصورة المجردة عن المادة تتطبع في العقل، وتلك وظيفة العقل؛ أي استقبال ما يأتيها من صور المعقولات المجردة، لأنّ الذهن يستنبط المعنى من الصورة المدركة. وساد تغليب الانطباعات الحسية على كل معرفة في القرن الثامن عشر عند دايفد هيوم وإيمانويل كانط. فتكمن المعرفة وفقاً للفيلسوف كانط في تركيب عقلي، يُبنى من صور ومقولات كائنة في العقل. والمعرفة اتصالاً بالموضوعات الخارجية عن طريق الحواس التي تستلهم من مقولات العقل فهماً وإدراكاً لهذه الموضوعات. فبحث كانط في خصائص العقل، وتصور عمله وحدوده، ساعياً إلى توضيح سبل اكتساب المعرفة الإنسانية.

ونلاحظ مما تقدّم أن معظم الذين تحدثوا عن الدماغ وعمله وتشريحه وعلاقته بالحواس حملوا في الغالب وسم الفلاسفة، الذين قادتهم دراسة النفس البشرية إلى الدخول في تفاصيل طبية وفيزيولوجية. فتداخل الاختصاصات يأتي على نحو طبيعي وتلقائي، وبذور البحث البيئي التي وجدت منذ سالف الأزمان، نمت مع التقدم في العصور. بيد أن النظرة الفلسفية ظلت

¹ ص 59.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

حاضرة بقوة، وزاد البحث في الوشائج التي تُنسج بين العلم بالشيء والشيء ذاته. فتضافرت جهود العلماء، وسخرت لخدمة مناهج البحث الهادفة إلى تحديد طبيعة الدماغ الإدراكية من الناحيتين الحيوية والتصورية.

وأولى أفرام نعوم تشومسكي، عالم اللسانيات والفيلسوف والناقد الأمريكي، اهتماماً بارزاً لمسائل اكتساب اللغة. إذ لمعت دراساته في اللغة - التي تُدرج في مجال علم النفس المعرفي - في الربع الأخير من القرن العشرين؛ فتحدث في نظريته الموسومة بـ "النحو الكلي" عن المعرفة اللغوية وطريقة اكتسابها واستعمالها؛ ليتبين له أن اللغة تعبيرٌ عن صور عقلية مجردة لاشعورية، تكونها الطبيعة الإنسانية فتوجه استعمالات اللغة، متأثرةً في ذلك بعدد من العوامل النفسية والاجتماعية. فالناس جميعاً يولدون حاملين ملكة لغوية فطرية، ومزودين بمبادئ ومتغيرات تحكم شكل اللغات، وتتسبب في تشابهها. وتُظهر مشكلة الانتقال إلى لغة ثانية ضرورة بناء تصورات مجردة في ضوء ما يُصادف في هذه اللغة. فتُضبط حينئذ متغيرات تكون الصورة العقلية فيها وفقاً لمعطيات اللغة الأم، وبالرجوع إلى السبل العامة للفهم وحل المشاكل التي تعترض العقل.

وتمكن الطبيب الفرنسي بول بيبير بروكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من تحديد المنطقة المسؤولة عن وظائف اللغة، وبيّن أنها تقع في الفص الأمامي من المخ (في الجانب الأيسر غالباً). وتعاون منطقة بروكا مع الفك واللسان والحنجرة وعضلات الوجه للتمكن من إصدار الكلمات المصنوعة في جمل مفهومة. فإن تعرضت هذه المنطقة للأذى جعلت المرء عاجزاً عن تحديد مسميات الأشياء، بالرغم من إدراكها في الحقيقة. ثم حدد الطبيب الألماني كارل فيرنيك المختص في علم النفس والأعصاب منطقة تقع أمام منطقة بروكا، سميت منطقة فيرنيك، تتيح السماع وتعرف الكلمات والأشياء للرد عليها. ويكون عملها مرتبطاً بالذاكرة القصيرة الأمد خصوصاً، لاستيعاب اللغة المحكية أو المكتوبة. فالمنطقتان تتأوبان في استقبال الكلام (فيرنيك) وإطلاقه (بروكا).

..... علم الترجمة في ضوء العلوم العصبية والمعرفية

وَدُمِجَت دراسة الجهاز العصبي القرنين العشرين والواحد والعشرين مع فرع جديد تمخض عنه، وهو العلوم المعرفية أو علوم الإدراك؛ إذ تنتظر هذه العلوم في عمل الدماغ وتفاعله مع التأثيرات النفسية، لإدراك الكلام والتواصل وفقاً لمحتويات الذاكرة، والعوامل الفيزيولوجية الداخلية، والمؤثرات المحيطية الخارجية. فتتداخل هنا العلوم المعرفية مع علوم اللغة التي لم تعد تقتصر على دراسة الكلمات واستعمالها النحوي، بل صارت تلتفت نحو دراسة ظواهر تحليل الخطاب واستيعابه، ووضع الكلام في سياقه وفهمه وتخزينه في الذاكرة، أي أمست اللغويات تدرس اللغة بصفاتها حاملةً للفكر وناقلةً للمعرفة، وناضحةً بإناء النفس والعقل. وأدرجت العلوم المعرفية في الترجمة عن طريق دراسة النماذج التصورية، والانتقال من التواصل باللغة ذاتها إلى التواصل بين لغتين، أو بالأحرى بين طرفين بشريين مختلفين معرفياً وإدراكياً.

والحاصل أن الدراسات عن الدماغ لم تنقطع منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد إلى يومنا هذا. بيد أنها زادت تشعباً وتخصصاً، فظهر علم الأعصاب الحديث الذي أضحي علماً مستقلاً، واكتشف الباحثون أدوات وأجهزة تعرض داخل الدماغ من دون تشريحه، من نحو: جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي، والتصوير بالانبعاث البوزيتروني وغيرهما... فتكمن الوظيفة الأولى لهذه الأجهزة في الكشف عن الأمراض وتشخيصها، لكنها شرعت الأبواب أيضاً أمام دراسات أخرى، كتحرف على نشاط مناطق الدماغ في أثناء الكلام والانتقال بين اللغات، وغير ذلك...

الأجهزة الحديثة ونفعها في الدراسات اللغوية وعلم الترجمة

بين العلم الحديث أن النشاط الدماغي يتمثل من الناحية الفيزيولوجية في نقل الأعصاب للإشعارات، من المخ والنخاع الشوكي وإليهما. ويكون الإشعار إما كهربياً (وهو الأهم) أو كيميائياً أو ميكانيكياً أو حرارياً. ويجهد الباحثون في تطوير الأجهزة الطبية، لتحسين قدرتها على تتبع التيار الكهربائي وقياسه في أثناء مرور الإشعار في العصب؛ إذ طوّرت ابتداء من

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الربع الأخير من القرن العشرين أجهزة ترصد عمل الدماغ، وتقدّمه على نحو صور حاسوبية لها دلالاتها الوظيفية.

فأحد استعمالات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي النفاذُ إلى الجهاز العصبي المركزي والدماغ بإحداث مجالات مغناطيسية متغيرة في الجسم، تُنتج صورة ثلاثية الأبعاد عن منطقة معينة. فيوضح هذا التصوير الوظيفي - على سبيل المثال- نشاط (منطقة بروكا) المتصل بمهام الكلام الإدراكية والمعرفية والتفسيرية، مبيناً كيفية ارتباط هذه المنطقة بنقاط منتشرة في الدماغ، للتمكن من النطق والفهم. والمستخلص هو أن اللغة وإدراكها عمليتان متشعبتان تشملان شبكات واسعة في أرجاء الدماغ. وربما يتيح هذا الجهاز مستقبلاً رصد النقاط المرتبطة بتكلم لغة ثانية أو الترجمة فيها.

ويستهلك الدماغ في العموم مادة الغلوكوز الموجودة في الدم، ويزيد استهلاكه لها عند نشاطه. وثمة جهاز يسمى **جهاز التصوير المقطعي باتبعات البوزيترونات**، وظيفته النظر في الوظائف الدماغية وتحديد المناطق المشغلة في الدماغ، وذلك بحقنه بأزواج من الأشعة غاما (مصدر الإلكترونات الموجبة "البوزيترونات") وربطها بالغلوكوز. فتُسجل قياسات الأشعة غاما - المرتبطة بالغلوكوز - الصادرة عن الدماغ بوساطة صورة ثلاثية الأبعاد، تظهر على شاشة الحاسوب المتصلة بالجهاز. ويسمح ذلك بعرض عمل الدماغ من الناحية العصبية في أثناء الكلام باللغة الأم، والترجمة بين لغتين. فأظهرت النتائج أن الدماغ ينشط بطريقة مختلفة عند الترجمة، لا تشبه كيفيته حين الحديث بلغة واحدة، أو لما يتقن الشخص لغتين ويتكلم كل لغة على حدة؛ فيقول بريكلز بابافاسيليو: "ينمّ ذلك على سبيل تختلف جزئياً على الأقل. فالترجمة وحدها كانت في الواقع مصحوبة بارتفاع في النشاط على صعيد المناطق الدماغية المرتبطة باتخاذ القرار، وبانخفاض في نشاط المناطق المرتبطة بمعاني الكلمات. وزادت الترجمة أيضاً نشاط المناطق الدماغية المرتبطة بالنطق. وبخلاف ذلك، رافق الانتقال بين اللغتين، ارتفاع في

نشاط المناطق الدماغية المرتبطة بإعادة الترميز الصوتي¹.

وللعيون دور في دراسة وجهات النظر والتركيز والفهم. فيوجد جهاز وظيفته **تعقب حركة العين**، يُطلق عليه بالإنكليزية (Eye Tracking System). ويُستعمل هذا الجهاز في دراسة لغة العين ودلالاتها الذهنية ومؤشراتها الثقافية، ودورها في التواصل البشري. فيحول لمحات العين السريعة إلى خطوط ترسم على شاشة الجهاز الموصول بالحاسوب. وجرى بفضل التوصل إلى نتائج مهمة، منها:

- اختلاف مدة نظر بعض الأشخاص إلى بعض، واختلاف طريقة النظر أو الرنو من موطن ثقافي إلى آخر؛ فدلالات التوقف في النظر ولغة العيون ليست متطابقة في الغالب.
- اكتشاف اختلاف الأشخاص في أسلوب قراءتهم لنص مكتوب باللغة الفرنسية بغية فهمه، إذ لا تلتزم في الأحوال جميعها خطأً أفقياً منتظماً². ويمكن إجراء البحث ذاته على أشخاص عرب لتبيين كيفية انتقال بصرهم في النص، والخروج بنتائج عملية يوصى بها الكتاب ليضع هؤلاء المعلومات التي يريدون تسليط الضوء عليها في مواضع يركز فيها القراء نظرهم، سواء في الكتابة باللغة الأم أم في الترجمة؛ إذ يجدر بالمترجم أيضاً الالتزام بهذه القواعد عند النقل بين اللغتين.
- تأكيدُ خضوع التلقي والفهم لتأثير الحواس أولاً، فعند عرض صورة وردة - مثلاً - مرفقة بالكلمة "سقاية"، يتوجه النظر - وفقاً لجهاز تعقب العين - نحو نهاية الوردية في أسفل ساقها، وحين تظهر الوردية ذاتها يرافقها نطق كلمة "عطر"، يتوجه النظر تلقائياً إلى أعلى الوردية حيث مصدر العبير³.

¹ ص 34-35. قمنا بترجمة الاقتباس من اللغة الفرنسية.

² تبين أن جلّ قراء اللغة الفرنسية ينظرون أولاً إلى بداية النص (أعلى النص ويساره)، ثم إلى نهايته، ثم إلى نهاية الفقرات ابتداء من الفقرة الأولى، ويستخلصون على هذا النحو فكرة النص، ويشرعون بعدها في تجاهل النص أو قراءته كله.

³ طبقت هذه التجربة علينا عام 2006 في السنة الأولى من الماجستير في "علم الترجمة والعلوم المعرفية" بجامعة كان باس نورماندي (فرنسا).

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ويجدر إجراء أبحاث تختص بدراسة تنقل بصر المترجمين في النص الأصلي لاستيعابه، ودراسة طريقة قراءتهم الأولى لمجمل النص بهدف استيعاب المعنى في بدء النشاط الترجمي، وما يلي ذلك من قراءة وحدات المعنى، وترجمتها أخيراً الواحدة تلو الأخرى. فالغاية من تعقب نظر المترجمين التوصل إلى نتائج موضوعية عامة عن أمثل الرؤى في تسلسل عملية الترجمة بمراحلها الثلاث: القراءة الشاملة، والترجمة، ومراجعة النص المترجم. ولكن يبقى الجزم بالطريقة المثالية لقراءة نصوص اللغات المختلفة أمراً شائكاً، نظراً للخصوصيات المرتبطة بطبيعة كل لغة، وفضلاً عن الفروق الشخصية بين المترجمين.

إن عقول البشر تمتلك جميعاً طريقة عمل واحدة من حيث المبدأ، ولكن يبدو أن اختلاف المشارب الثقافية واللغوية تطوّر الحواس والصور الذهنية لمكونات الواقع المحيط. فتُظهر أجهزة دراسة النشاط العصبي في الدماغ سبل تناسق الدارات العصبية، واتصال الخلايا الدماغية فيما بينها، ودورها في بناء العمليات الإدراكية من تعلم وتذكر وتواصل لغوي. وتسعى الترجمة، التي تُعرّف في جوهرها بأنها تواصل فكري أولاً، إلى نقل تصورات دلالية تضمها جمل مناسبة ومكافئة.

العلوم المعرفية ونظريات الترجمة

أسهم التطور في علوم الدماغ والإدراك في تصحيح النهج النظري والعملي للترجمة، وزاد من الغور في طبيعة العمل الترجمي ودقائقه. وأبرزُ النتائج التنظيرية في هذا المضمار قدمته مدرسة باريس.

النظرية التأويلية

وضع هذه النظرية المترجمتان والباحثتان في اللغويات وعلم الترجمة دانيكا سيلسكوفيتش وماريان لدرر اللتان عملتا في المدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين بباريس. وأصدرتا كتابهما *Interpréter pour traduire* (التأويل من أجل الترجمة) عام 1984، لعرض تفاصيل النظرية التأويلية التي تسمى أيضاً نظرية المعنى أو نظرية مدرسة باريس.

نقل "المعنى" سبيلاً للترجمة

يستند المنهج السليم في الترجمة إلى معرفة سابقة بواقع كاتب النص الأول اللغوي والأدبي والثقافي. وبعد أن يفلت النص من كاتبه الأصلي، ويمسي مادة عمل المترجم، يتعين على هذا الأخير المضى به مضموناً وشكلاً إلى القراء الأجانب، مستعملاً لغتهم ومفاهيمهم. فينبغي للمترجم أن يحمل في حقيقته المعرفية كمّاً واسعاً من المعلومات اللغوية والدلالية، لتُتاح له قراءة النص بإمعان، وفهم المعن والاسدلال إلى المضمر فيه، لأنه يجب مراعاة الظاهر والكامن معاً لبلوغ القصد الحقيقي. ويجري بعدها تسخير إمكانات اللغة الهدف وتصوراتها لإعادة إنتاج الفحوى، مكتسباً بحلة جديدة ومضمون مماثل؛ فإن أحدث صدى ذهنياً مطابقاً لدى قارئ الترجمة، فالسبيل المتبّع صائب، وكفى بالترجمة فخراً أن تقدم قصداً يولد الأثر عينه في نفس القارئ. ويكون المعنى وفقاً للإصدار الأول من النظرية التأويلية ذا سمة غير كلامية في الغالب.

"التجريد الكلامي"

تحمل مسألة الإدراك أهمية كبيرة في كل عمل تواصل. وتتوسل بسبيلين، هما: الإدراك الداخلي للوسيلة اللغوية، والإدراك الخارجي للحقيقة المتعدية لحدود اللغة والنص المطروح للترجمة. فتبين دانيكا سيلسكوفيتش أن الفهم عملية متسلسلة لا تجري دفعة واحدة، بل تمر بثلاثة أطوار، هي: قراءة النص الأصلي قراءة معمقة أولاً. وصياغة الفحوى بكلمات جديدة موافقة لكلمات النص الأصلي أو مكافئة لها بالمضمون ومخالفة بالشكل ثالثاً. وبين الطورين - وفقاً للباحثة - مرحلة وسيطة فاصلة بين فهم النص باللغة الأصلية وكتابته بلغة الترجمة، لإفهام القارئ الأجنبي ما فهمه المترجم؛ وهذه المرحلة هي التجريد الكلامي (Déverbalisation)، أي تجريد المضمون عن قالب اللغوي. فيُعزل الفحوى عن الكلمات، التي قد تكون حمالة أوجه. فالفكرة المجردة نفاذ في لب المعنى لاستخلاص الصورة الحقيقية التي قصدها كاتب النص الأصلي.

ولكن تعرّض هذا المفهوم لسيل من الانتقادات التي رأت في الحديث عن الطور التجريدي تنظيراً افتراضياً. فلا يمكن إثبات وجوده لأن في ذلك ادعاء بإمكانية النقاط الصورة الحدسية، والولوج إلى عمق الدماغ لمتابعة مدة قصيرة تفصل بين الفهم وإعادة صياغة الفكرة لغوياً. ويبقى ذلك غير متاح بوساطة الأجهزة المخترعة إلى الآن؛ لذا لا يمكن تأكيد حدوثه على المستويين النظري والعلمي. ويعتقد المختصون في العلوم المعرفية أن الفكرة لا وجود لها بلا سند كلامي، ولهذا السبب لا يتذكر المرء أي صورة أو ذكرى من طفولته قبل امتلاكه القدرة على الكلام. فالفهم يجري مع الكلام وبوساطته، لا بمعزل عنه. ويرتبط التفكير الباطني باللغة أيضاً، فالوظائف الإدراكية والحسية عمل يقوم به المخ، وللغة دور مؤثر في هذا العمل.

والحق أن المختصين في علوم اللغة والترجمة ما زالوا يتطرقون إلى مفهوم التجريد الكلامي في شروحهم النظرية للطلاب. فيقدمون به جانباً تعريفاً للتصور المتوغل في اللغة والواجب مراعاته في الترجمة. والحديث عن هذا المفهوم يساعد المدرسين في شرح عدم تلقائية الترجمة، وضرورة مرورها بتفكير متأن ناقد للكلام ومنعزل عن إطار النص الضيق. وبلغ الأمر ببعض معلمي الترجمة¹ إلى إجراء تمرين تعليمي يعرضون فيه نصاً قصيراً على المتدربين، ثم يطلبون منهم ترجمته من دون النظر إليه، وهذه حالة من تجريد الفكرة عن اللغة، هدفها التربوي لفت انتباه الطلاب إلى أهمية نقل القصد الجوهرية ووحدات المعنى الموجودة في النص أولاً.

"وحدات المعنى"

يُستخلص المعنى المقروء أو المسموع من قطع مختلفة الحجم، تتفاوت بين الكلمة الواحدة والجمل العديدة في اللغات الأوروبية خصوصاً حيث يشيع تقديم جمل اسمية (تعريفية أو وصفية) على الجملة الفعلية، لإبراز حدث معين أو لتغيير إيقاع الكلام أو لتلافي طول الجملة التي تضم الفعل.

¹ تيمناً بمدرسي الترجمة في مدرسة باريس.

..... علم الترجمة في ضوء العلوم العصبية والمعرفية

وتحدثت دانيكا سيليسكوفيتس و ماريان ليدرر عن "وحدات المعنى" ودورها في الترجمة، فبينما لزوم عدم إقدام المترجم على نقل أي جزء من النص قبل اكتمال معناه في ذهنه. فالنقل لا يطل سوى مجموعة موحدة تعطي معلومة كاملة، بالحد الذي يسمح بإرسال إشعار إلى الدماغ متمثلاً بحدوث نقرة قصيرة فيه، تتمّ على تلقيه سيالة عصبية، قوامها رسالة ذات معنى. فتتألف وحدات المعنى إذن من أصغر تجمع للكلمات، يتيح فهماً لفكرة يقدمها عدد غير محدد من الكلمات. والمستخلص هو أن المترجم يبدأ بنقل الكلمات حين تصل دماغه رسالة أو معلومة، وقد يحسن المترجم صنعا حين يتأني في استيعاب أكثر من وحدة كلامية في مقطع واحد، ليجمع حصيلتها الدلالية في ترجمة موحدة بشكلها وروحها. ويستعمل المترجم في واقع الحال ذاكرتيه (القصيرة والطويلة الأمد) لإنجاز مهامه في الفهم والإفهام.

دروب الذاكرة والتصور في الترجمة

يكون المترجم الحق متلقياً مرهف الحس ودقيق الفهم، دماغه منشط في أثناء الفهم، وتفكيره متراوح تلقائياً بين نمطي الذاكرة: القصيرة الأمد والطويلة الأمد.

أنواع الذاكرة

قسّم الباحث الكندي في علم النفس المعرفي وعلم الأعصاب **إندل تولفنج** (1972) الذاكرة إلى نوعين، هما: الذاكرة العرضية المؤقتة (المرتبطة بالحدث الآني)، والذاكرة الدلالية (المرتبطة بمعرفة الشخص عموماً). وأطلق العالم البريطاني **آلان بادلي** (1974، 1996، 2000) على الذاكرة المؤقتة اسم (ذاكرة العمل)، وهي تتيح القيام بعمليات ذهنية معرفية متفاوتة في التعقيد، من نحو: التعلّم والمُحاجة والفهم. ورأى أن الفهم يحدث بفعل الانتباه المركزي، والصوت المجهور (اللغة)، والتحديد الزمني والمكاني. فيتفاعل ما ينشأ في ذاكرة العمل مع مخزون الذاكرة الدلالية عبر التصورات الذهنية، التي تقضي في آخر المطاف إلى استيعاب المحتوى المقروء أو المسموع.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وتقترب طريقة عمل العقل البشري بهذا من الذكاء الاصطناعي وتركيبية الحاسوب اللذين يركزان إلى الذاكرة المؤقتة (القصيرة الأمد أو العرضية) في أثناء عمل الجهاز، مع الاستعانة بأنظمة الذاكرة الدائمة المخزنة سابقاً في اللوحة الأم، التي تمتد المعالج - في حدود استطاعتها - بما تحتاجه من قدرة على التشغيل ومعالجة المعلومات. أما برامج الترجمة الآلية (الترجمة بمعونة الحاسوب) فتعتمد على مبدأ الملاءمة والانتقاء وذلك بتحليل إلكتروني لنتالي الكلمات في كل جملة على حدة، وتقدم نتائج سريعة وفقاً لمحددات رمزية وتعبيرية أدرجت فيها. ولكن تظهر النتائج الفعلية أن تطور المترجم الآلي لا يغني عن المترجم البشري صاحب الإحساس والتفكير والمحاكمة العقلية.

استعمال الذاكرة في الترجمة

الفرق جلي بين الأنظمة الإلكترونية التي تعمل حسب معطيات علمية جامدة جرى تحديدها عند التصميم، والنظام الدماغي البشري الذي يعمل بكيفية استدلالية تقود تبعاً إلى بلوغ قرارات دلالية ولغوية عند التلقي والإرسال. فيستعين المترجم بذاكرته القصيرة الأمد لتفسير ما يقرؤه في سياق النص، وربطه بما سبق، ومتابعة قراءة ما يلي. ويسترشد في هذه الأوقات أيضاً بمخزونه المعرفي المحفوظ في الذاكرة الطويلة الأمد، والمتمثلة بالمعارف اللغوية والثقافية والموضوعاتية. فإن كان شكل الجملة ومضمونها "بسيطاً"، أي لا يحمل بعداً ثقافياً منفرداً أو صورة مجازية أو معلومة يجهلها المترجم، فذاكرة العمل تفي بالغرض مع رجوع بسيط إلى الذاكرة الطويلة الأمد. أما إن تطلّب المضمون جهداً لغوياً وفكرياً للفهم والتذكر، وكان في بناء النص بعض التعقيد أو إضماراً للمعنى، وكان سياقه ذا خصوصية ثقافية أو معرفية، فاللجوء إلى الذاكرة الطويلة الأمد أقوى في هذه الحالة، والزمن المستغرق لأداء مهمة الترجمة أطول بالتأكيد.

فأدوات عمل المترجم في العموم هي إتقان اللغة، وتفسير وحدات المعنى الواردة في النص الأصلي، لأن غاية الترجمة صنع وحدات من المعنى مكافئة لروح النص ذهنياً وثقافياً،

..... علم الترجمة في ضوء العلوم العصبية والمعرفية

ولجسده كلامياً. وإن قصُرت معرفة المترجم وذاكرته القصيرة والطويلة عن إدراك الفحوى، قام بجهد استدلالي في حدود سياق النص والموضوع. ولا يجد المترجم مناصاً من اللجوء إلى البحث عن المعنى خارج النص، بسؤال مختصين في الاختصاص الذي يتبعه النص أو بقراءة نصوص مشابهة تتحدث عن الموضوع ذاته بلغة الترجمة في الموسوعات والكتب والمواقع الإلكترونية.. وبعد هذا كله، لا يتخذ المترجم دائماً قراراً عقلانياً محضاً، فقد يأتي مترجم آخر بقرار مغاير وترجمة مختلفة، ولا يمكن الانحياز إلى إحدى الترجمتين والجزم بأنها الأفضل، فالأمر منوط بأهداف الترجمة والمهمة الموكولة إليها؛ إذ لا تخلو الترجمات من توجيه المعنى وتحويره بقصد أو عن غير قصد؛ لأن المترجم في النهاية كائن بشري، تحكم تفكيره عقلانية محدودة تتأثر بعناصر متعددة شخصية وثقافية وسياسية ودينية واجتماعية وتاريخية. فتؤثر هذه العوامل في قرارات المترجم الممتثلة، شأنها شأن كل قرار، لحكم العاطفة والناحية الانفعالية ومثيراتها التصورية الراسخة في الذهن.

التصورات الذهنية

درس عالم النفس المعرفي البريطاني فيليب جونسون ليرد (1983) الارتباط بين النفس والتفكير والعاطفة واللغة. ثم وضع نظرية "النماذج الذهنية" محدداً عناصر تكون هذه النماذج من أفكار وصور ومعتقدات وذكريات، مبيناً تأثيرها في الفهم، لتكون نقطة الانطلاق في المحاكاة العقلية والاستدلال.

والحاصل أن كل مفهوم أو عمل يسبقه تصور عن ماهية العمل وخطة القيام به ونتيجته. ونورد في ذلك مثلاً توضيحياً على زهرة رآها شخص في الحديقة وأراد أن يقطفها. فهذا الشخص يفكر أولاً كيف سيقطفها، ثم يحفظها في الماء أو يقدمها لأحد، وإن قدمها لشخص كيف سيتلقاها ذاك الشخص، وإن احتفظ بها، فأين يضعها.. فذاك نموذج عقلي كامل يتركب في الذهن لا شعورياً.

وتتألف التصورات من عناصر جوهرية يرتبط بعضها ببعض بصلات تعيّن حالة الشيء

المتصور والوظيفة الممنوحة له. فالشيء ذاته قد يحمل تصورات عدة يرتبط كل منها بحالته في ظرف معين. وقياساً على ذلك يمكن أن تحمل الجملة ذاتها تصورات عدة، فيُنْتَقَى في النهاية أكثر تصور مقارب - في منظور المتلقي- للواقع والظرف المحيط. وتختلف الصور الذهنية عند الأشخاص متأثرة بالعوامل الاجتماعية أو الفردية أو العمرية... (أي النفسية والمعرفية). ونضرب مثلاً، اختلاف دلالات الألوان تبعاً للمواقف والرمزية الثقافية.

فالنموذج الذهني أساسٌ إدراكي يمثل جوهر المفاهيم وسماتها في الدماغ. والمستنتج أن الدماغ لا يصور حقيقة الشيء الواقعية الأولى، وأن النماذج الذهنية تفصل بين المعرفة العامة، والمعرفة النافذة في موقف محدد. لذا ينبغي أخذ الحيطة في تفسير الرموز والتصورات عند الانتقال من ثقافة إلى أخرى، ومن لغة إلى أخرى.

ترجمة التصورات الذهنية

لا يتحقق الإدراك إلا بالتصور والحدس. ويبدو تقني أثر النموذج الذهني ذا أهمية في الفهم الدقيق، قبل الشروع بالترجمة. وربما يوضّح مفهوم الصور الذهنية الحالة الوسيطة التي ترافق الفهم، على نحو أبلغ من تجريد الفكرة عن قلبها اللغوي التي تقدم ذكرها.

ويُنصَح المترجمون برسم مخطط للنص الأصلي، يعرض أفكاره وصوره الدلالية والمجازية بترتيب مبسّط، أي برسم الصور الذهنية التي تتركها القراءة المعمقة للنص في مرحلة الفهم، لتكون خطأ مرشداً في مرحلة الإفهام وكتابة النص المترجم¹.

والحاصل أن التصورات الذهنية تعكس رموزاً معرفية، يتعين على الترجمة اتخاذها مادة أولية لاستيعاب جوهر الكلام الذي يضمّره الذهن، وتقديم هذا الجوهر مكتسباً بحلة تصويرية مكافئة في لغة الترجمة. وربما تعود جلُّ أخطاء الترجمة إلى إهمال تصور الكلام المنقول وتأثيره في نفس القارئ. فيترجم الناقل ما يراه، ويضع النتيجة - إن كانت رديئة شكلاً أو

¹ قمنا بتجريب هذا الأسلوب في دروس تعليم الترجمة لطلاب قسم اللغة الفرنسية، فأثبت نجاعته.

مضموناً- على نمة الكاتب الأصلي.

ولكن المترجم الحقيقي يستقرئ ويستنتج قبل اتخاذ قرارات سليمة ومسؤولة. فإن لم تلاق فكرة أو موقف أو لمحة أدبية... تصوراً ذهنياً مطابقاً، يلجأ إلى التصوير بالقياس والتمثيل فيدرك الموقف أو يتخيله، ويتخذ أخيراً قراراً كلامياً مناسباً انطلاقاً من العناصر الموجودة في ذاكرته وذاكرة الجمهور المستقبل.

إن المطابقة التامة للأصل المترجم تبقى غاية صعبة المنال، لأن التصورات مرتبطة بالموجودات في الوسط الاجتماعي والثقافي، أو المعرفي على الأقل، فإن تغيرت اللغة تغيرت معها هذه الموجودات؛ لذا لا يجد المترجم في بعض الأحيان بُدّاً من رسمها لخيال المتلقي الغريب. ثم إن اللغة بطبيعتها الوضعية الاعتبارية لا تستنسخ الواقع، فالكلام ليس صورة طبق الأصل عن الحقيقة، بل هو تصور عنها. ودليل ذلك أن اللغات المختلفة ترسم الواقع ذاته بصور وقيم مختلفة. والنهج المستعمل في الترجمة إذن يحدده "التخييل" و"التخيل" بوساطة الفكر، ولا يمكن الادعاء بالتوصل إلى حالة اليقين. فيعرف كتاب (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) هذه المفاهيم على النحو الآتي: «التخييل تصويرُ خيال الشيء في النفس، والتخيُّل تصويره، وُخِّلْتُ بمعنى ظننت، يقال: باعتبار تصور خيال الشيء المظنون في النفس. وفي حواشي شرح المطالع: الفكر حركة النفس في المعقولات، والتخييل حركتها في المحسوسات»¹؛ أما اليقين فهو «إتقان العلم بنفي الشبه عنه»².

وتُظهر التجربة أن الترجمة تعتمد في الغالب على الاستدلال، لكونها غير متيقنة تماماً من رفع الشبهة عن صحة الترجمة وأمانتها وموضوعيتها. «فالمترجم لا يولي بوجه عفوي الأهمية ذاتها لجميع الوحدات المعجمية التي تؤلف النص المعد للترجمة. ويقرر نوعاً ما وفقاً لما يبدو له جوهرياً، ولما يستحوذ على انتباهه، ولما سيقف عنده لاستيعاب المعنى. (...)

¹ ص 25.

² المرجع السابق، ص 36.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ويبدو في الواقع أن المقابلات اللغوية المصنّفة كما ينبغي - حتى في أرقى المعاجم - لا تفرض نفسها بالإجبار على المترجم. فللمترجم كلمة الفصل، وهو الذي يقرر¹. فثمة عمل ذهني معرفي استدلالي يفضي إلى اتخاذ قرار شخصي يصيب في نهاية المطاف أو يخيب². وأفسح تطور النظريات التأويلية، وفقاً للمترجمة المحترفة والباحثة في علم الترجمة كريستين ديريو، مجالاً أمام ظهور النظريات الاستدلالية في الترجمة. وبنت الباحثة على هذه الرؤى نظريتها القرارية القائمة على العاطفة والعقلانية المحدودة في الانتقاء: «فالعاطفة أداة للقرار، إنها آلة جبارة لتنبؤ العقل، تسبق نياته وتعكسها. وتبدو الانفعالات - في ظل منح الخيارات المتنوعة الممكنة أوزاناً مختلفة- ضرورية في الواقع لاتخاذ القرار ووضع التصرفات العقلانية حيز العمل. وقد تنشط العاطفة آليات الانتباه الانتقائي، ولا تستقرى فقط تحويراً للعالم المدرك بل انتقاءً للأشياء المدركة أو المهمة في العالم، وقد تعدل بعمق اتصال الذاكرة بإدراك الحاضر»³. وينتقي المترجم من الذاكرة الجمعية (المستقاة من الوسط الاجتماعي والثقافي) ما يفي بعرض قصد النص فكرياً وأدبياً للقارئ الجديد. فالترجمة إطلاعٌ للأجنبي على معلومات النص الأصلي، ينقل معه في الغالب لمحات فكرية وتخييلية جديدة. وليس كل من أئقن لغةً مترجمٌ ناجح، لأن اللغة شرط أولي بدهي للدنو من الترجمة، بيد أنها لا تخول وحدها القيام بالمهمة كما يجب. فتكمن القضية في أسلوب نقل الصور الذهنية، التي يجلبها المترجم من فكر الكاتب الراسخ في بيئة معينة، وفكر متلقي الترجمة. وينبغي أن يظن المترجم لهذا الواقع، بجعل ما يقدمه متقاطعاً مع شيء من واقع المتلقي المعيشي وفيضه اللغوي، وانعكاسهما في العقل المستقبل. ويشاع قول إن اللغة صورة العقل أو صورة الواقع، ولا يقال إن اللغة صورة الحقيقة؛ لأنها تحمل تصورات الذهن عن عالم محدد وخاص تتغير

¹ ديريو، 2017: ص98-99.

² انظر بهذا الشأن: «نحو نظرية قرارية في الترجمة»، تأليف كريستين ديريو، ترجمة د. عادل داود، مجلة "التعريب"، العدد 52.

³ المرجع السابق، ص104.

أشياءه في لغة وثقافة أخرى.

الخاتمة

بنت العلوم العصبية والمعرفية آمالاً عريضة في تفسير كيفية الكلام ومؤثراته، فبينت عمل الدماغ فيزيولوجياً، وما زالت تطوّر نفسها للتعرف أكثر بالإدراك الذهني وتفاعله مع مكونات الذاكرة.. فأضاءت علوم الأعصاب للعلوم المعرفية درباً، سرّت فيه إشعارات بلغ بعض منها علوم اللغة التي نشطت عصباً أساسياً يتفرع عنها ويتجسد في علم الترجمة، الذي تجدد بها روحاً وبنيةً ومفهوماً. فتداخلت العلوم العصبية والعلوم المعرفية مع العلوم اللغوية وعلم الترجمة لتنثمر كشفاً عن أغوار الرموز المعرفية ومؤشراتها العصبية الدماغية، وترسم آفاقاً مستقبلية مشجعة للمضي قدماً في البحث والاستكشاف. ويجدر استثمار التوضيحات المستنتجة باستعمال الأجهزة المتطورة والدراسات الفلسفية واللغوية في بناء منهج علمي تنظيري عن الترجمة، يفيد في النهاية في تطوير التطبيق العملي، وفي إلباس النص المترجم اللبوس التصوري اللائق به. وإنْ اختلفت الترجمة ببهرجها عن النص الأصلي، فالأهم تنشيطها مناطق التأثير ذاتها في الدماغ، وتوليدها صورة ذهنية مكافئة في القصد والتأثير للصورة المرسومة في نص الانطلاق.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المراجع

- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، علق عليه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1988.
- أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، شرح نصر الدين الطوسي، تحقيق د. سليمان دينا، دار المعارف، مصر، ط 2، 1960.
- أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا، كتاب الشفاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988.
- الشريف علي محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.
- بول ريكور، الوجود والماهية والجوهر لدى أفلاطون وأرسطو، ت فتحي أنقزو - محمد بن ساسي - حبيب الجري - محمد محبوب، منشورات سيناترا - المركز الوطني للترجمة، سلسلة ديوان الفلسفة، تونس، 2012.
- حسن كمال، الطب المصري القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 1998.
- دايفد هيوم، تحقيق في الذهن البشري، ت د. محمد محبوب، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، 2008.
- روث ليثر، اللغويات العصبية: http://www.mohamedrabee.com/books/book1_406.pdf
- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، مقدمة وتعليق محمد عبد القادر عطا، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001.
- عبد الله العروي، مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2001.
- عبده الحلو، المعرفة بين كُنت وإبن سينا، مجلة الفكر العربي، 1987، ص 165-180.
- عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
- كريستين ديرو، «نحو نظرية قرارية في الترجمة»، ت د. عادل داود، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، العدد 52، حزيران 2017، ص 87-107.
- لورون بوت، الذاكرة أسرارها وآلياتها، ت عز الدين الخطابي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، ط 1، 2012.
- مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية. الأسس والمفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 13، حزيران 2015، ص 3-12.
- يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين. الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية، مجلة عالم المعرفة العدد 264، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000.

المراجع الأجنبية

- Baddeley, Alan, & Hitch, G. (1974). «Working memory. In G.H. Bower (Ed.), The psychology of learning and motivation: Advances in research and theory», *Academic Press*, Vol. 8, New York, pp. 47–89.
- Baddeley, Alan.; Della Sala, S.; Robbins, T. W (1996). «Working memory and executive control», *Philosophical Transactions of the Royal Society*. 351, pp. 1397–1404.
- Baddeley, Alan. (2000). «The episodic buffer: a new component of working memory?». *Trends in Cognitive Science*. 4, pp. 417–423.
- Ganascia, Jean-Gabriel (2006), *Les Sciences cognitives*, Le Pommier, Paris Coll. Poche.
- Guidère, Mathieu (2008), *La communication multilingue. Traduction commerciale et institutionnelle*, De Boeck, 1^{ère} édi., Bruxelles, coll. Traducto.
- Johnson-Laird, Philip N. (1983), *Mental Models: Towards a Cognitive Science of Language, Inference, and Consciousness*, Cambridge, MA, Massachusetts.
- Périclès Papavassiliou (2007), «Traductologie et sciences cognitives: une dialectique prometteuse», *Meta* 521, pp. 29–36.
- Seleskovitch, Danica & Marianne Lederer (1984), *Interpréter pour traduire*, Publications de la Sorbonne, collection "Traductologie 1", Didier érudition, Paris.
- Team B.I.T, Eye Tracking System (Professor Bibyk):
<http://www2.ece.ohio-state.edu/~bibyk/ee582/TeamBITReport.pdf>
- Tulving, Endel & Wayne Donaldson (1972), *Organization of Memory*, Academic Press, University of Cambridge.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

بحوث في التعليم العالي

التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

- بحث تطبيقي -

د. ماهر عيسى حبيب

قسم اللغة العربية - جامعة طرطوس

مدخل تعريفى: في تحديد المصطلحات

لا بدّ بادئ ذي بدء من تحديد دلالة المصطلحات المستعملة في البحث، ونبدأ بتعليل اختيار مصطلح (تدريس) بدلاً من مصطلح (تعليم)؛ إذ نجد ثلاثة مصطلحات مستعملة من قبل المختصين في ميدان التربية هي: التعليم، والتعلم، والتدريس، فلم يكن اختيارنا لمصطلح التدريس عشوائياً بل جاء نتيجة إعمال الفكر في التفريق بين المصطلحات الثلاثة السابقة؛ ففي حين استعمل مصطلح التعليم للدلالة على العمليات التي يقوم بها المعلم في التعليم النظامي أو المدرسي بغية توزيع المعلومات على المتعلمين، نجد مصطلح التدريس يستعمل للدلالة على العمليات التي يقوم بها المدرس مع الدارسين في المراحل التعليمية المتقدمة مركزاً على التفاعل والحوار بين المدرس والطالب، وجمع في الوقت ذاته بين الطريقة والهدف، وأما مصطلح التعلم فقد استعمل للدلالة على النشاط الذاتي للمتعلم،¹

¹ د. فخر الدين القلا، د. يونس ناصر، د. محمد جهاد جمل، طرائق التدريس العامة في عصر المعلومات، (الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، جامعة العين 2006) ص 34-35.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وثمة مَنْ رأى أنَّ التعليم هو العملية والإجراءات التي يقوم بها المُعلِّم لإحداث تغييرات عقلية ووجدانية ومهارات أدائية لدى المُتعلِّمين، وله ثلاثة مجالات: المعارف والمعلومات، والقيم والاتجاهات، والمهارات، كما رأى أنَّ التَّدریس هو مجموعة النشاطات التي يقوم بها المُعلِّم في موقف تعليميٍّ لمُساعدة المُتعلِّمين على الوصول إلى أهداف تربوية مُحددة، أمَّا التعلُّم فهو كل ما يكتسبه الإنسان عن طريق الخبرة والممارسة، كإكتساب الاتجاهات والمهارات الاجتماعية العقلية فهو تعديل في السلوك أو الخبرة نتيجة ما يحدث في العالم، وبالتالي فإنَّ التعليم والتدریس يشتركان في مجال المعارف والمعلومات فقط، فنقول مثلاً: علَّمته الجغرافية، أو درَّسته الجغرافية، ونقول: علَّمته الخياطة، أو النظافة، ولا نقول: درسته الخياطة، أو النظافة.¹

وبذلك فإنَّ مُصطلح التَّدریس هو أكثر المُصطلحات مُلاءمة للربط بينه وبين مُصطلح تعدد الوسائط الذي يمكننا منه الحاسوب والمكتبة الإلكترونية بإمكاناتهما الهائلة، لما بينهما من المُناسبة في خلق جَوِّ التفاعل والحوار والتركيز، وتحديد الأهداف المرجوة بالدقَّة المطلوبة. إلاَّ أننا نجدُ من الباحثين المحدثين مَنْ اقترح، في إطار إيجاد منهج إلكترونيٍّ لتعليم اللُّغة العربيَّة عامَّة وبرمجتها، مُصطلح تعليم اللُّغة الإلكترونيّ؛ ورأى أنَّه: "عبارة عن استعمال تقنيَّة المعلومات والاتصالات في ضوء ما تسمح به القوانين والأنظمة الرياضية التي يعتمدها الحاسوب، المُسمى بالبرمجة لبناء محتوى لغويٍّ رصين؛ لغرض تعلُّم اللُّغات أو تقرير بعض الحقائق العلميَّة اللُّغويَّة أو تغييرها، أو تقريرها أو تطويرها، أو ربطها بواقع العصر؛ من أجل تعليم اللُّغة أو تصحيحها، أو استعمالها في مجال الترجمة الآلية، أو برمجة التعليم الذاتي للغة العربيَّة عن طريق التصحيح اللغوي...".²

¹ د. زيد سليمان العدوان، ود. محمد فؤاد الحوامدة، تصميم التدریس بين النظرية والتطبيق، (دار المسيرة عمان، ط1، 2011) ص 15-16.

² د. دوكوري ماسيري، تعليم اللُّغة العربيَّة الإلكتروني (نحو نظرية علمية جديدة)، (مجلة المجمع العدد 1، 2011 جامعة المدينة العالمية في ماليزيا)، ص 8، كما أنَّ الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد استخدم مُصطلح التعليم

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

وأما تركيب الوسائط المتعددة: Multimedia فهو مُكوّن من كلمتين حسب الترجمة العربية Multi وتعني مُتعدد، و Media وتعني وسيط أو وسيلة إعلامية، عُرِفَتْ بأنها: طائفة من تطبيقات الحاسوب يمكنها تخزين المعلومات بأشكال متنوعة تتضمن النصوص والصور الساكنة والرسوم المتحركة والأصوات، ثم عرضها بطريقة تفاعلية Interactive وفقا لمسارات المستخدم¹ ومن هذه الوسائط التي تحقق فعالية كبيرة تطبيقات العرض المرئي (البوربوينت) أو البرمجيات التي تساعد على عرض قواعد البيانات وغيرها من المواد التعليمية.²

فَنَجَتِ الوسائطُ المُتعدّدة من التفاعل بين تقانة الحاسوب، وتقانة الاتصالات، وتُعرف بِمُستحدثات تقنيات التعليم الإلكترونيّة³، فهي عبارة عن مجموعة من الهيئات المختلفة لنقل المعلومات التي يُمكنُ أن تتّرافقَ مع النُصوص لشرحها، أو لتوضيحها، أو لتزويد من فهمها، ويمكن أن تكونَ هذه الوسائط مرئية مثل: مقاطع الفيديو والفاش والجافا ونحوها، أو مسموعة مثل مقاطع الصوت كتلاوة القرآن الكريم أو قراءة النصوص ونحو ذلك، ويمكن أن تكون مختلطة تجمع ما بين المرئية والمسموعة.

وتُعرف الوسيلة التعليمية بأنها "مُختلفُ الأدوات التي يستعملها المُدرّس في العملية التعليمية لكي تُعينه في أثناء التدريس على توضيح ما غمُضَ من موضوعات الدروس، وتُساعدُ الطلبة

الإلكتروني وليس التدريس يُنظر: قضايا راهنة للغة العربية، (الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2016)، ص 189-197

¹ يُنظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على الشبكة.

² يُنظر: د.قسطندي شوملي، الأنماط الحديثة في التعليم العالي - التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج، جامعة بيت لحم، (المؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، ندوة ضمان جودة التعليم والاعتماد الأكاديمي جامعة الجنان 21-22 نيسان 2007)، ص 6.

³ د. محمد حسن شاش، تقنيات التعليم الجزء الثاني، (جامعة تشرين 2007 - 2008)، ص 87.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

على فهمها وسرعة تعلّمها¹ وتتكون الوسيلة التعليمية من ثلاثة مكونات: الأداة أو الجهاز؛ كجهاز الفيديو أو الحاسوب، والمادة كبرامج الحاسوب أو شريط الفيديو، والطريقة؛ أي كيفية التعامل مع الوسيلة التعليمية، وتُختار الوسيلة التعليمية بما يُناسب الهدف المُراد تحقيقه.² ويبقى مصطلح المكتبة الإلكترونية فالمقصود بالمكتبة الإلكترونية وسيلة تُوفّر نصوص الكتب، والمصادر، والأبحاث، والدراسات، بشكلها الإلكتروني، سواء أكانت مخزنة على أقراص مدمجة Compact، أو مرنة Floppy، أو صلبة Hard، أم كانت مواقع على الشبكة، وتمكّن الباحث من السيطرة على مجموعة كبيرة منها، والتعامل معها بفعالية.³

تعدد وسائل التقنية في تعليم اللغات وتعلّمها

يتسم عصرنا الحاليّ بأنّه عصرُ التفجّر المعرفيّ نتيجة التقدّم الهائل في مجال تكنولوجيا المعلومات، فما يحدثُ اليوم في أقل من سنتين كان سابقاً يسيرُ ببطء في مُدة تتجاوزُ مئات السنين،⁴ "فحوّلت الوسائل التكنولوجيّة الحديثة العالم إلى قرية كونيّة صغيرة"⁵ وبعد أن كان يُنظر إلى التقنية على أنّها وسيلة يُستعان بها في العمليّة التعليميّة "أضحى النظر إليها على أنّها قلبُ العمليّة التعليميّة التعلّميّة وأنّها تعمل على تطوير هذه العمليّة على أساس من التصميم المدرّس"⁶، وثمة مَنْ رأى أنّ استعمال التقنيات الحديثة ضرورة لمواجهة التحديات أمام اللغة

¹ د. يونس ناصر، طرائق تدريس التربية وعلم النفس، (منشورات جامعة دمشق، 1996) ص 209.

² أ. د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 160.

³ الدكتور محمد حسان الطيان، اللغة العربية والمكتبة الإلكترونية، بحث مُقدم إلى (المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق 20-23 تشرين الثاني 2006).

⁴ أ. د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 161، ويُنظر كتابه: النهوض باللغة العربية والتمكين لها، (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط 1، 2013م) ص 55-57.

⁵ د. قسطندي شوملي، الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج، جامعة بيت لحم، ص 3.

⁶ أ. د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 161.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

العربية في العصر القادم.¹

"وتعني التقنيات الإلكترونية النظم المختلفة التي يتمُّ بواسطتها الحصول على المعلومات في كافة أشكالها واختزانها ومعالجتها وتداولها وإتاحتها للمستخدمين باستعمال أجهزة الحاسوب والاتصالات عن بُعد".²

فقد تنوّعت الوسائل التعليمية التقنية الحديثة الموظّفة في تعلّم اللّغات وتعليمها تنوعاً كبيراً جداً، فمنها على سبيل المثال لا الحصر: الرُّزم التعليمية المبنّية على أهداف تعليمية وسلوكية محدّدة وواضحة،³ والمختبرات اللغوية وخاصة في التعلّم الذاتي⁴، والتعليم بالمراسلة باستعمال الوسائل السمعية البصرية⁵، واستعمال مُسجلات الصوت الرقمية⁶، وأجهزة الفيديو التعليمي وأقراص الـ DVD المتضمنة مواد تعليمية صفيّة⁷، والراديو والإذاعة المسموعة الرقمية⁸، والقنوات التلفزيونية الفضائية⁹، فضلاً على استعمال الحاسوب في التعلّم والتعليم¹⁰، وما يتيح من وسائط متعددة، كما سنرى لاحقاً في متن البحث.

ولذلك: هل يمكن أن تبقى طرائق تدريس العربية، وبخاصّة للناطقين بغيرها، على حالها من غير استثمار تلك الوسائل وإمكاناتها ؟

¹ أ.د. محمود أحمد السيد، في سبيل العربية، (الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2015) ص 54.

² د. محمد حسن شاش، تقنيات التعليم الجزء الثاني، ص 87.

³ أ.د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 164 وما بعدها.

⁴ المرجع نفسه 168.

⁵ المرجع نفسه، ص 169.

⁶ د. محمد حسن شاش، تقنيات التعليم الجزء الثاني، ص 161.

⁷ لمزيد من التفصيل يُنظر: د. محمد حسن شاش، تقنيات التعليم الجزء الثاني، ص 215.

⁸ المرجع السابق نفسه 139/2.

⁹ المرجع السابق نفسه 187/2.

¹⁰ أ.د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 171.

للإجابة عن السؤال السابق سنقومُ بتقديم عرضٍ عن مفهوم التدريس الإلكتروني المتعدّد الوسائط، ثم عرض نموذج لتدريس اللغة العربيّة المتكامل للناطقين بغيرها وفق المنهج المقترح، ولكن لا بدّ بدايةً من الإشارة إلى بعض الدّراسات السّابقة.

بعض الدّراسات السّابقة

فيما يلي بعض الدّراسات السّابقة، أو المشابهة التي تمكّنّا من الاطلاع عليها وهي:

- **الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغات الأجنبية في بعض الدول الأجنبية الوسائط والطرائق والتقنيّات، د. علي حسين حسن،** (ورشة عمل حول تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام في الدول العربيّة، المنظّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم (تونس 11-15 سبتمبر 2000): إذ تناولت هذه الدّراسة أهم اتجاهات تدريس اللغات الأجنبية في عددٍ من الدول الأجنبية، وهي: الولايات المتّحدة الأمريكيّة، والمملكة المتّحدة البريطانيّة، والسويد، وإسبانيا، وفرنسا، ودول الاتحاد السوفيتي سابقاً، وإن كان التركيزُ في بحثه جاء على الولايات المتحدة، وبريطانيا من بين الدول السّابقة، فوضعَ الباحثُ نصب عينيه أربعة أهدافٍ، هي: استعراض واقع تدريس اللغات الأجنبية في الدول المذكورة آنفاً، وأحدث الاتجاهات في تلك الدول فيما يتعلق بتدريس اللغات الأجنبية، وبخاصّة اللغة الإنكليزيّة، من حيثُ مداخل طرائق فنيات التدريس، وتناول موضوع تدريس اللغات وتعلّمها بمعاونة الحاسوب، وانتهى البحثُ مؤكّداً أن طرائق تدريس اللغات ومداخلها واحدة في أصولها، ولا تختلف باختلاف المُعلّمين، كما لا تختلف باختلاف الأقطار، وأنّ هناك سمةً عامة لطرائق تدريس اللغات الأجنبية، وفناتها تمثّل اتجاهاً عامّاً في التدريس وهو التدريس بمعاونة الحاسوب.

- **بحث الدكتور قسطندي شوملي من جامعة بيت لحم، والمقدّم إلى المؤتمر السادس لعمداء كليّات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربيّة، ندوة ضمان جودة التعليم والاعتماد الأكاديمي، جامعة الجنان، وهو بعنوان: الأنماط الحديثة في التعليم العالي، التعليم الإلكتروني المتعدّد الوسائط أو التعليم المُتمازج: حيثُ وضعَ الباحثُ لبحثه أربعة أهدافٍ**

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

تتمثلُ في: تحديد مفهوم التعليم المُتمازج، أي استعمال الحاسوب وغيره من التقنيَّات الحديثة في التدريس داخل غرفة الصف، ثم عرض خصائصه، وفوائده، وعوائق تطبيقه، وهدفَ البحثُ إلى دراسة إمكان تطوير مهارات استعمال تكنولوجيا المعلومات، وتطوير استراتيجية تُساعد على وضع الأسس التي يُمكن اتباعها لنشر الثقافة الحاسوبية في الجامعات الفلسطينية، وهدفٌ أخيراً إلى تطوير مهارات استعمال التقنيَّات الحديثة في التعليم، وغرس مفهوم التعلُّم الذاتي من خلال المزج بين التعليم الإلكتروني والتعليم الصفّي بنسب مُتساوية لخلق ثقافة حاسوبية لدى المدرِّسين والطلبة.

- بحث الدكتور دوكوري ماسيري، المنشور في مجلة المجمع (العدد 1، 2011 ص 2) جامعة المدينة العالمية في ماليزيا بعنوان: تعليم اللغة العربية الإلكتروني (نحو نظرية علمية جديدة)، وهو بحث مُقدِّم في الأصل إلى أحد المؤتمرات في جامعة (مالايا) في ماليزيا، إذ وجدَ الباحثُ أنَّ طبيعة أغلب الأبحاث المُقدَّمة إلى المؤتمرات المُنعقدة بُغية الاستفادة من تقنية المعلومات والاتصالات في مجال تعليم اللغة العربية تهتمُّ بطرائق التدريس، وبالوسائل التعليمية المُعتمدة على التقنية الإلكترونية، وهذا الجانب، على أهميته، تربويٌّ، في حين قلَّ حظُّ الجانب العلميّ اللغويّ، ولذلك جاء بحثه محاولةً متواضعةً لاستعمال تقنيات المعلومات في بناء المحتوى العلميّ للغة العربية، لأنَّ الجانبَ التربويّ الذي أولته أبحاث المؤتمرات الأهمية، كما رأى، مبنيٌّ على الجانب العلميّ المُتعلِّق بحقيقة اللغة العربية المُستهدفة في تعلُّمها وتعليمها، ولذلك تناول البحثُ تركيب اللغة من جهة تحديد ماهية التركيب اللغويّ، ومنهج تحليل مكوناته وأنظمته، وما أطلق عليه اسم النحو الإلكتروني، ليدلِّفَ إلى ألفاظ اللغة، ومصادر المُعطيات اللغوية.

الاختلافات بين الأبحاث السابقة والبحث الحالي:

بعد استعراض عددٍ من الأبحاث السابقة يظهرُ جلياً أنَّ ثمة تقاطعات بين البحث الأول وموضوع الدِّراسة الحالية، بالرغم من أنَّ موضوعَ البحث الأول يتناولُ اللغة الإنكليزية، وتختلفُ أهدافه عن أهداف البحث الحالي، إلا أنَّنا أفدنا منه في كثيرٍ من الأطر النظرية، كما

سيظهر لاحقاً.

ويُلاحظ أنَّ الدَّراسةَ الثانيةَ تتقاطعُ مع موضوع البحث الحالي من جهة استعمال التقنيَّات الحديثة داخل غرفة الصفِّ، ومن جهة المزج بين التعليم التقليدي والإلكتروني، ولكن لم يُقدِّم البحثُ السابقُ أيَّ اقتراحٍ أو تصوُّرٍ عن آلية تطبيق ذلك المزج بين المنهجين: التقليدي، والإلكتروني، بل اكتفى بالإشارة إلى ضرورة توفير المناهج التعليمية المناسبة لهذا الشكل من التعليم، وبالتالي؛ وصلَ إلى نتيجة مفادها أنَّه لا بدَّ من إعادة النظر في المناهج الجامعية، ولذلك يختلفُ البحثُ الثاني عن البحث الحالي، موضوع الدراسة، في كون البحث الحالي يتوجَّه إلى الناطقين بغير العربية، لا بل يُعدُّ مُتمماً له من جهة اقتراح مناهج متمازج، وطريقة تدريس جديدة بالاعتماد على التقنيَّات الإلكترونية الحديثة، وتمَّت الاستفادة من البحث الثاني في كثيرٍ من المفاهيم النظرية.

ويظهرُ الاختلافُ الجوهريُّ بين البحث الثالث والبحث موضوع الدراسة، في كون البحث الحالي يقترحُ طريقةً لتدريس إلكترونيةً جديدة، فهو، من وجهة نظر البحث الثالث، من الأبحاث المتعلقةً بالجانب التربوي، ولكنَّ البحث الحالي أفاد منه في كثيرٍ من المفاهيم النظرية، أما الجانب العلميُّ اللُّغويُّ فجاء عاماً جداً ومُتعلّقاً ببنية اللغة ككلِّ، مما جعله يصبُّ في ميدان حوسبة اللغة العربية، فكانت الاستفادة منه في البحث الحالي قليلة.

في مُسوغات البحث ومشكلته

يقترحُ البحثُ طريقةً إلكترونيةً جديدةً لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، وفق النمط المُتكامل هي: التدريس الإلكتروني المُتعدد الوسائط، ثمَّ يعرضُ نموذجاً تطبيقياً وفق الطريقة المقترحة. فيُقدِّمُ تصوُّراً مُستقبلياً للارتقاء بمستوى مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وإدخالها مدخلاً حضارياً، من خلال استثمار إمكانات الحاسوب وبرامجه، في استكشاف جوانب في تدريس اللغة العربية لا يمكن ولوجها بالطريقة التقليدية، وذلك وفق الجانبين الآتيين:

أولاً: الجانب النظري

1. مفهوم التدريس وفعالياته

للتدريس تعريفات كثيرة ينطلق كل منها من وجهة نظر مختلفة، فبعضها يرى أن التدريس عملية اتصال، أو عملية تعاون، أو نظام متكامل له مدخلاته، وعملياته، ومخرجاته، ورأى بعضها الآخر أن التدريس مهنة، وعده تعريف آخر علماً أو فناً، أو نشاطاً مقصوداً، أو سلوكاً معيارياً،¹ فتطلق كلمة التدريس للدلالة على العمليات التي يقوم بها المدرس مع الدارسين في المراحل التعليمية المتقدمة، أو على التفاعل بين المدرس وطلابه في قاعة المحاضرات،² ونجد عدة تعريفات من هذه الزاوية منها: القول إن التدريس "عملية اتصال بين معلم ومتعلم يحرص خلالها المعلم على نقل رسالة معينة إلى المتعلم في أحسن صورة ممكنة".³

1.1. الحاسوب والتدريس المتعدد الوسائط: بعد إشارتنا إلى تعدد وسائل التقنية في تعليم اللغات وتعلمها، وجدنا أن الحاسوب من أهمها لأن الطاقات الكامنة والهائلة التي يمتلكها الحاسوب تجعله وسيلة تعليمية تسهم في مجال نمو التراكيب العقلية، بما يهيئه للمتعلمين من فرص أكثر للبناء المعرفي، وأدى استعماله في ميدان التعليم إلى إعادة النظر في طرائق التدريس، كما أعطى اهتماماً خاصاً لكل متعلم بصورة مستقلة⁴ باستعماله وسائط متعددة

¹ د. فخر الدين القلا، د. يونس ناصر، د. محمد جهاد جمل، طرائق التدريس العامة في عصر المعلومات ص 26-39.

² د. فخر الدين القلا، ود. يونس ناصر، أصول التدريس لطلبة دبلوم التأهيل التربوي، (مديرية الكتب الجامعية، كلية التربية، منشورات جامعة دمشق ط3، 2000-2001) ص 8، ويُنظر: تصميم التدريس بين النظرية والتطبيق، د. زيد سليمان العدوان، ود. محمد فؤاد الحوامدة ص 17 وما بعدها، ويُذكر أن المشاركة الفعالة جعلها د. قسطندي شوملي من وظائف التعليم وليس التدريس يُنظر بحثه: الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج، جامعة بيت لحم، ص 5.

³ علي سلام وآخرون، التطبيقات العملية على التدريس، كلية التربية دمنهور، وجامعة الإسكندرية 1994.

⁴ د. أمل الأحمد، التعلم الذاتي في عصر المعلومات، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2002)، ص 128-129.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

لعرض المعلومات وتسجيل الإجابات،¹ فهو يتميز عن التقانات والوسائل التعليمية التقليدية بأنه يجمع جميع مكونات التعلم الذاتي في برامجه فهو وسيلة للتعلم الذاتي،² ومن هنا استعمل الحاسوب في العملية التعليمية في خمسينيات القرن الماضي وبداية الستينيات في أمريكا،³ واستعمل في بعض الجامعات العربية في ثمانينيات القرن الماضي.⁴

فكيف يمكننا استثمار تلك الميزات التي يمتاز بها الحاسوب في إرساء طرائق تدريس جديدة ؟ لا شك في أن استثمار الإمكانيات الهائلة للحاسوب، وللمكتبة الإلكترونية، سيؤدي بنا إلى نمط جديد من التدريس، نقترح تسميته بالتدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط.

2.1. في مفهوم التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط: يمكن تعريف التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط بأنه العمليات التي يقوم بها المدرس لإيجاد أكبر قدر ممكن من الاتصال والتفاعل بينه وبين المتلقين من جهة، وبين المتلقين والمادة التعليمية من جهة أخرى، باستعمال الوسائط الإلكترونية المتعددة التي يتيحها الحاسوب، واستثمار إمكانيات المكتبة الإلكترونية من أجل تعزيز النشاط الفكري الخلاق لدى المتلقين موظفاً الظروف النفسية، والفنية، والثقافية، لتحقيق أهداف التعلم والتعليم في إكسابهم المعرفة.

فالتعريف السابق ينطبق على مفهوم التدريس بعامة، وللتخصصات العلمية، والأدبية كافة، فإذا ما بقينا ضمن إطار تدريس العربية لغير الناطقين بها وجدنا التدريس المتعدد الوسائط

¹ د. فخر الدين القلا، د. يونس ناصر، د. محمد جهاد جمل، طرائق التدريس العامة في عصر المعلومات، ص 327.

² د. فخر الدين القلا، محو الأمية وتعليم الكبار، (مديرية الكتب الجامعية، كلية التربية، منشورات جامعة دمشق، دمشق 1993) ص 76.

³ د. أمل الأحمد، التعلم الذاتي في عصر المعلومات، ص 126، ويُنظر: طرائق التدريس العامة في عصر المعلومات، ص 574-575.

⁴ د. قسطندي شوملي، الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج، جامعة بيت لحم، ص 7.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

طريقة مطواعة في إنجاح عمليّة التدريس، وإيصال المعلومات إلى المُتلقّي على أنتم وجه ممكن، سواء أكان تدريس العربيّة متكاملًا؛ أي بغض النظر عن التخصّصات اللّغويّة المعروفة (وهذا ما يصلح في برامج التدريب والممارسة)، أم كان التدريس تقليدياً مُتعلّقاً بالتخصّصات المعروفة في العربيّة، كالنحو، واللغة، والبلاغة، والأدب...

إنّ نلاحظ أنّ التدريس المتعدد الوسائط وفق التعريف السّابق المُقترح لا يمكن تحقيقه إلّا باعتماد الحاسوب بوسائطه المتعدّدة وسيلة تعليمية أساسية، وهذا الأمر يستدعي استحضار ما سبق ذكره في الفقرة (1.1) عن أهمية إدخال الحاسوب وسيلة تعليميّة فعّالة في منظومة التعلّم والتعليم، وبخاصّة ما يتعلّق بتقوية فعاليات مفهوم التدريس على اختلاف وجهات النظر التي انطلقت منها تعريفاته المختلفة؛ فإذا كان التدريس:

1. عمليّة اتصال، أو عمليّة تعاون، فإنّ الحاسوب يُحقّق عنصر التشويق، كما يمكنه إيجاد جوّ تعليميٍّ خارج نطاق قاعة الصف، ويُساعد على توفير بنية تفاعليّة بين المُتعلّم والبرنامج الحاسوبيّ، أو المادّة التّعليميّة المحوسبة.
2. أو كان نظاماً متكاملًا له مدخلاته، وعملياته، ومُخرجاته، فالحاسوب يمتلك طاقة كامنة هائلة في مجال نحو التراكيب الذهنية وذلك في المقررات الدراسيّة كلّها، والمستويات كافّة، ويُساعد على توضيح المفاهيم، وعلى إزالة الغموض.
3. أو كان مهنة، أو علمًا، أو فناً، أو نشاطاً مقصوداً، فالحاسوب يُساعد المُدرّس على شرح الدروس، وحلّ التمارين، وتقديم المعارف، وإجراء تمارين محاكاة الواقع في المخابر والمعامل، وتمثيل الظواهر الطبيعيّة أو محاكاتها.
4. أو كان سلوكاً معيارياً فإنّ استعمال الحاسوب أدّى إلى الأخذ بعين الاعتبار مواقف المُتعلّم من المادّة الدراسيّة، فليست عمليّة التعلّم حزن المعرفة، بل هي إيجاد عنصر التشويق في عمليّة نقل المعرفة إلى المُتعلّم، فيقبل على التعلّم في جوّ يمتاز بالتفاعل والتركيز.

وأما الوسائط المتعدّدة التي يستعملها الحاسوب والمذكورة في التعريف السّابق فيجب استثمارها مُترافقة ومتزامنة مع بعضها إلى أقصى درجة وفق طريقة التدريس المُقترحة هذه؛

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وأهم تلك الوسائط:

1. النص Text: وهو المادة التعليمية التي تُقدَّم للمُتعلِّم بشكل مطبوع، وقد تكون نصّ محاضرة، أو نصوص شواهد، أو نصوصاً تطبيقية ككلمات أغنية معيّنة مثلاً.
2. وسائط الصوت Sound وتقنياته المختلفة.
3. وسائط الفيديو والصور الثابتة والمتحركة Image and Video.
4. تقنيات العرض المختلفة view.
5. تقنيات خزن المعلومات على اختلاف الوسائل الإلكترونية والبرمجيات المستعملة في ذلك وبخاصة في ميدان المكتبة الإلكترونية.
6. تقنيات الارتباط التشعبي Hyperlink الذي يتيح برنامج محرر النصوص الـ word أي الارتباط بين النص المعروض (متن المحاضرة، النموذج المختار) ونصوص مصادر المكتبة الإلكترونية أو مراجعها.

وأما ما أطلقنا عليه اسم النشاط الفكري الخلاق المُستثار؛ من توظيف ظروف المُتلقين المختلفة، فالمقصود به: تفتح ذهن المُتعلِّمين على المُحيط الثقافي، والاجتماعي، والفني، وربط المعلومة بذلك المُحيط ليتعرّف المُتعلِّم بفكره هو عناصر الرسالة المنقولة من المُدرّس، كلٌّ وفق ميوله النفسي، إذ يجب مُراعاة المُستوى اللغويّ العربيّ المُراد تدريسه¹ فيجب "أن يُساعد التعليم على التفكير والإبداع والابتكار من خلال مُشاركة فعّالة بين المُدرّس والطالب"² ولذلك

¹ على نحو ما أشار أستاذنا د. حجازي في كتابه علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية (وكالة المطبوعات الكويت بلا تاريخ)، ص 53 ويُنظر هامش رقم 31، وكما أشار إلى ذلك كثيرٌ من الباحثين المشتغلين في تعليم اللغة العربية الإلكتروني يُنظر مثلاً: تعليم اللغة العربية الإلكتروني (نحو نظرية علمية جديدة)، د. دوكوري مسيري، ص 8. وتُنظر إشارة أ. د. محمود أحمد السيد إلى ضرورة التركيز على المنحى الوظيفي والنفعية الاجتماعية في المحتوى والتدريبات في كتابه: النهوض باللغة العربية والتمكين لها، ص 123.

² د. قسطندي شوملي، الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج،

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

ينبغي أن يضع المُدرِّس نصب عينيه دائماً، وفق هذه الطريقة، السؤالين المُتلازمين الآتيين: مَنْ أَعْلَم؟ ولماذا أَعْلَم؟. حتى في مجال تعليم العربية لغير لناطقين بها؛ فلا شك أن تعليم الأجنبي السائح، يختلف كثيراً عن تعليم المسلم غير العربي، وكلاهما يختلف عن تعليم الأكاديمي الأجنبي، الذي يختلف بدوره عن تعليم الأجنبية - الأجنبي / الأجنبي المُتزوج من عربي / عربية، وهكذا...

إذ إن اختيار المستوى اللغوي المُراد تعليمه، والهدف من التعليم يُلقي بظلاله على اختيار نوع النص - النموذج المُتناول - وفق الوسائط المُتعددة المذكورة سابقاً، إضافة إلى مُراعاة ظروف المُتعلِّمين من حيث السن، والميول النفسية، فهل نختار أغنية؟ أم نصاً شعرياً؟ أم نصاً قرآنياً؟ أم فيلماً وثائقياً؟... فنلاحظ أن للاختيار دوراً كبيراً في تحقيق عنصر التشويق والجذب، وأن له تعلقاً كبيراً بطريقة التدريس المُقترحة، فما نمطا التدريس المُتعدد الوسائط؟ وما الشروط التي يجب توفُّرها في النص المُختار؟.

3.1. أهمية التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط: إن كل ما ذكره المختصون عن أهمية التعليم الإلكتروني، بعامه، ومزاياه، ومسوغاته¹ ينطبق على هذه الطريقة من جهة كونها تعتمد الشكل الإلكتروني، ولكن ثمة خصائص ومميزات خاصة بها، هي:

1. خلق الموقف التعليمي للمُتعلم بما يُناسب سنه وميوله، ولهذا بدوره اتصال بالمُفردات التي ينبغي على المُتعلم الإلمام بها، والمُتصلة بدورها أيضاً بالواقع الحضاري والثقافي والاجتماعي للغة المُراد تعلُّمها، وبخاصة إذا كان النص المُختار أغنية، أو نصاً قرآنياً، أو فيلماً وثائقياً.²

جامعة بيت لحم، ص 5.

¹ أ. د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 189-195، و د. قسطندي شوملي، الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمازج، ص 13.

² د. رشدي أحمد طعمية، الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، (جامعة أم القرى،

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

2. يسمح للمُتعلِّم أن يتفاعل مع المادَّة التَّعليميَّة باستعمال حاستي السمع والبصر معاً، حيثُ تشير البحوث العلميَّة إلى أنَّ الإنسان يتلقَّى أكثر من 80% من المعرفة من خلال حاسة البصر ونحو 13-20% ممن خلال السمع، وبلي ذلك الحواس الأخرى التي تُنتج ما بين 1-5% وهي حواس: اللمس والذوق والشم.
 3. يتلاءم مع ميول المُتعلِّم النفسيَّة والثقافيَّة والفنيَّة من خلال التكامل مع الهدف من تعليم العربيَّة.
 4. تحقيق العدالة في فرص التدريب بين المُتعلِّمين.
 5. يُوفِّر مصادر تعليميَّة متنوعة ومُعدَّدة ممَّا يُساعد علي تقليل الفروق الفرديَّة بين المُتعلِّمين.
 6. يُشجّع المُتعلِّمين على تعلُّم اللغة، ويحقِّق نوعاً من السيِّطرة عليهم داخل الصفِّ، ويُعزِّز روح الصداقة والدفع والانفتاح بين المُتعلِّمين والمُدرِّس، وغير ذلك من العلاقات التي يجعلها بعض الباحثين جزءاً من دور المُعلِّم داخل الصفِّ.¹
 7. يُحقِّق مفهوم التَّدريس الحديث من جهة كونه "عملية توجيه وإرشاد ومساندة للمُتعلِّم من قبل المُعلِّم"² وبالتالي يصبح دور المُعلِّم موجهاً ومُرشداً ومُهيئاً لبيئة التَّدريس.
- يعمل على ربط المُدرِّس والمُتلقِّي معاً بثقافة العصر الإلكترونيَّة، ممَّا يُساعد مُستقبلاً على

مكة المكرمة، معهد اللغة العربيَّة، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربيَّة 3، مكة المكرمة (1983) ص 21-22، ويُنظر ما ذكره د. علي حسين حسن عن تدريس اللغات الأجنبيَّة في بريطانيا باستخدام الشعر الدرامي (الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغات الأجنبيَّة في بعض الدول الأجنبيَّة الوسائل والطرائق والتقنيات، ورشة عمل حول تعليم اللغات الأجنبيَّة في التعليم العام في الدول العربيَّة، المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم (تونس 11-15 سبتمبر 2000)).

¹ يُنظر د. ربيكا أكسفورد، استراتيجيات تعلُّم اللغة، ترجمة السيد محمد دعدور (مكتبة الأنجلو المصرية 1996). ص 39.

² د. زيد سليمان العدوان، ود. محمد فؤاد الحوامدة، تصميم التَّدريس بين النظرية والتطبيق، (دار المسيرة عمان، ط1، 2011) ص 17.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

انتشار أنواع جديدة من التدريس الإلكتروني مثل: التعليم الافتراضي، والتعليم عن بُعد.

4.1. نمط التدريس المتعدد الوسائط: سبق أن قدم البحث نمطين لتدريس العربية الإلكترونية للناطقين بغيرها (2.1)؛ إما تدريسها وفق الاختصاصات التقليدية المعروفة؛ اللغوية، والنحوية، والبلاغية، والأدبية، وإما تدريسها بطريقة تكاملية بحيث تُدرس الاختصاصات دفعة واحدة من خلال مواجهة نصٍّ مقترح متعدد الظواهر المتناولة، وفق ما يُعرف بدروس التمرين والممارسة.

ونلاحظ أن لكل نمط شروطاً معينة يُمليها على النص (النموذج المختار)، كما أن لكل نمط طريقةً تدريسيةً، وأهدافاً مختلفة تتفق مع المستوى اللغوي المراد تعلمه، ولكن كلا النمطين يتحققان باستعمال الوسائط المتعددة المذكورة سابقاً:

فأما النمط التقليدي فمن الصعب لا بل من المستحيل أن نجد نصاً يحوي كل الحالات الخاصة لدرس معين ضمن اختصاص واحد (كحالات المبتدأ مثلاً)، فهنا لا بد من تعدد النصوص المختارة، ويجب في هذه الحالة أن يكون النص عبارة عن شاهد قصير للفكرة المتناولة، كأن يكون شاهداً نحوياً تقليدياً أي عبارة عن آية قرآنية، أو بيتاً من الشعر، ولكن يجب أن يكون منطوقاً، ويجب أن يكون النطق بأصوات مختلفة وبتنغيم مختلف، مع الإشارة إلى موضع الشاهد بلون مختلف، ثم استعمال الارتباط التشعبي Hyperlink مع واجهة ثانية تظهر على واجهة المحاضرة الأساسية وتبين القاعدة بنص آخر مختلف عن النص المكتوب في متن المحاضرة، وباستعمال لون خلفية يختلف عن لون الخلفية في واجهة عرض متن المحاضرة.

وأما النمط المتكامل: فيقوم أساساً على فكرة تدريس اللغة العربية من حيث هي مهارات متكاملة، فاللغة بمختلف تخصصاتها اللغوية، والأدبية، والنحوية، والبلاغية، ما هي إلا كل متكامل، والفصل بين التخصصات السابقة ليس إلا فصلاً إجرائياً تعليمياً، فالمفردات اللغوية بصياغتها الصوتية والصرفية والدالية لا تنفصل بأي حال من الأحوال عن النحو، الذي

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ينكامل بدوره مع البلاغة، وعلم المعاني، والقراءة، والتعبير، وهنا ينبغي أن نتذكر أن كلَّ التَّخصُّصات السَّابقة في أساس نشأتها تمحورت أصلاً حول النصِّ القرآني، إما من أجل الحفاظ على لغته، وإما من أجل فهمه، وإما نتيجة البحث في إعجازه.

فالنصُّ القرآني وُجد نصّاً مُتكاملاً بين يدي العربيِّ والأعجميِّ، ثم نشأت حوله التَّخصُّصات اللُّغويَّة المختلفة، فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا عندما نعلِّم لغة القرآن في عصرنا الحاليّ نبدأ بتلك التَّخصُّصات بعيداً عن النصِّ؟ وإذا ما عرضنا له نتناوله من حيث هو شواهد متفرقة؛ فلماذا لا نبدأ عند تعليم العربيَّة، وبخاصَّة للناطقين بغيرها، بالنصوص اللُّغويَّة السهلة مُترافقةً مع تعليم القواعد، واللغة، والبلاغة من حيث هي مهارات وليست قواعد منفصلة عن سياقاتها اللُّغويَّة والأدبية؟

ويُذكرُ في هذا الصدد أنَّه من الباحثين المُحدثين مَنْ رأى أنَّ تقسيم اللغة وفق التَّخصُّصات السَّابقة تقسيم جائر لا يُراعي وحدة اللغة، من حيث هي كائن حيٌّ مُتكاملاً رابطاً بين تكامل تخصُّصات اللغة وكيفية تعلُّم الطفل للغته، "فالطفل يُولَدُ ويستمع، ويمضي الزمن، وعن طريق الاستماع يتكلَّم، وهو يستعين في قراءته وفهمه لما يقرأ بما استمع إليه وما تحدَّث به، وكل هذا يُعينه على الكتابة الصحيحة"¹، ومُشدِّداً على أهمية التدرُّب على الاستماع بدايةً، ووجوب تكامل تلك التَّخصُّصات في عمليَّة التدريس في المرحلة الابتدائية كما رأى ولكننا نرى أنَّ تطبيقه على المستوى المتوسط أيسر، وأشدَّ فعاليَّة.

ولذلك فمن الاتجاهات التربويَّة المُعاصرة النظر إلى اللغة على أنَّها نظام، أو منظومة، مُستعيرة ذلك المصطلح من علوم الحياة التي تُدرِّس النظم، أو الأجهزة التي يتكون منها جسم الكائن الحيِّ. ومن المعروف أنَّ النظام يتكون من عناصر أو مكوِّنات تتبادل التأثير والتأثير فيما بينها، فكلُّ عنصر منها يؤثر في غيره، وكذلك الأمر في اللغة، إذ إنَّ فروعها أجزاء لكلِّ

¹ د. علي أحمد مدكور، تدريس فنون اللغة العربية، (دار الفكر العربي، القاهرة، 2006) ص 39.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

تتكامل لتؤدي وظيفة التواصل اللغوي.¹

كما أشار أحد الباحثين إلى أنَّ أساليب تعليم اللُّغات قد لا تختلف بعضها عن بعض "في اللُّغات الأخرى اختلافاً جوهرياً، وإنما الاختلاف ينشأ بناءً على طبيعة كل لغة وخصائصها"² ولذلك نجد ان طبيعة اللغة العربيَّة تتناسب مع النمط المتكامل المقترح.

علماً بأنَّ ذلك التكامل يتفق مع بعض طرق التعليم الحديثة لاسيما مع طريقة القراءة (The Reading Method) التي تقوم على قراءة اللغة المُراد تعلمها في نصوص سهلة.³ أو مثل التدريس القائم على المحتوى "حيثُ أظهرت نتائج الأبحاث أنَّ تدريس اللغات الأجنبية يكون أشدَّ فعاليةً إذا جرى من خلال محتوى معلوماتيٍّ مُعيَّن، وهذا المحتوى يلقي قبول الدارسين، أو يكون ذا صلة بتخصُّصهم فيُشكل بالتالي أحد دوافعهم الداخلية لتعلُّم اللغة الأجنبية".⁴

¹ أ. د. محمود أحمد السيد، في سبيل العربية، ص 73-74، ويُنظر كتابه: النهوض باللغة العربية والتكئين لها، ص 122.

² د. بوكوري ماسيري، تعليم اللغة العربية الإلكتروني نحو نظرية علمية جديدة، ص 9.

³ يُنظر لمزيد من التفصيل في موضوع طرق تعليم اللغات: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها - سلسلة عالم المعرفة (ع 126) 1988 تأليف د. نايف خرما ود. علي حجاج ص 166 وما بعدها، ونظريات التعلم جورج غازدا وريموندجي كورسيني ترجمة علي حسين حجاج - سلسلة عالم المعرفة (ج 1 ع 70) 1983 و(ج 2 ع 108) 1986، والذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، آلان بونيه ترجمة على صبري فرغلي سلسلة عالم المعرفة (ع 172) 1993، وأساليب تدريس اللغة العربية د. محمد علي الخولي (الرياض 1982) ص 21، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د. نايف خرما (سلسلة عالم المعرفة، ع 9، 1978) ص 49 وما بعدها، وقضايا راهنة للغة العربية، أ. د. محمود أحمد السيد، ص 173 وما بعدها، والاتجاهات الحديثة في تدريس اللغات الأجنبية في بعض الدول الأجنبية الوسائل والطرائق والتقنيات، د. علي حسين حسن، ص 14 وما بعدها. و ص 16 وبعدها، وطرائق التدريس العامة في عصر المعلومات، د. فخر الدين القلا، د. بونس ناصر، د. محمد جهاد جمل ص 115 وما بعدها.

⁴ د. علي حسين حسن، الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغات الأجنبية في بعض الدول الأجنبية الوسائل

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

فضلاً على أن النمط المتكامل يُعزّز مهارات اللغة الأربع التي يتطلب تعلّم أية لغة جديدة إتقانها، وإن بدرجات متفاوتة، وبخاصّة إذا ما تذكّرنا أننا نتوجه إلى المستوى المتوسط، وهي: مهارة الاستماع Listening، ومهارة القراءة Reading، ومهارة التكلّم Speaking، ومهارة الكتابة Writing.¹ يُحقق الكفاءة الاتصاليّة، وهي الهدف الأسمى لتعلّم اللغة² بأبعادها الأربعة: الكفاءة النحويّة، والكفاءة الاجتماعيّة اللّغويّة، والكفاءة التحادثيّة، والكفاءة الاستراتيجيّة ليصبّ في خدمة استراتيجيات تعلّم اللغة بالنسبة إلى المتعلّمين،³ إذا كانوا من المستوى المتوسط. لأنّ القواعد اللّغويّة في هذا المستوى تكون أكثر عمقاً، والتطبيقات أكثر اتساعاً، وخصائص اللغة أكثر ظهوراً، من المستوى الابتدائيّ، وإن كانت الموادّ التعلّميّة في هذا المستوى تخضع لما تخضع له الموادّ التعلّميّة في المستوى الابتدائيّ؛ من ضبط للمفردات، وتدرّج في عرض المادّة المقدّمة، وتكامل بين المهارات اللّغويّة للمعلّمة⁴.

5.1. في عيوب هذه الطريقة وصعوبات تطبيقها: في الحقّ إنّ كلّ ما قيلَ عن عيوب التعليم الإلكترونيّ، بعامّة، ومعوقات تطبيقه، ومشكلاته⁵، يُمكن أن يُقال عند الحديث عن عيوب هذه الطريقة ومشكلاتها، من قلة توفر الأطر البشريّة المدربة لإعداد المقررات المناسبة، والتكلفة الماديّة لإعدادها، والمشكلات الفنيّة المتعددة، وعدم وجود معايير ثابتة لمناهجها وما إلى ذلك من صعوبات، إلّا أننا نجدُ صعوباتٍ خاصّةً بآلية تطبيق هذه الطريقة

والطرائق والتقنيات، ص 14 وما بعدها، ويُنظر: النهوض باللغة العربية والتمكين لها، أ. د. محمود أحمد السيد ص 123.

¹ د. ريكا أكسفورد، استراتيجيات تعلم اللغة، ترجمة السيد محمد دعدور، ص 17.

² المرجع نفسه ص 21 وما بعدها.

³ المرجع نفسه ص 19-20.

⁴ د. رشدي أحمد طعمية، الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مقدّمة المؤلف.

⁵ يُنظر مثلاً: أ. د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 193، ود. قسطندي شوملي، الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط أو التعليم المتمزّج، جامعة بيت لحم، ص 14.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

تتجلى في:

1. صعوبة إنجاز النصّ الواحد في محاضرة واحدة إلا إذا قام المُدرّس بالاختزال الأفقي للقواعد النحويّة، والبلاغيّة والتركيز على الجانب اللغويّ للنصّ من جهة القراءة وفهم المعنى اللغويّ.
 2. صعوبة تحديد المستوى الأفقي الذي يجب على المُدرّس الالتزام به في تدريس المُتلقّين، وصعوبة قياسه وتقويمه، ولذلك ينبغي أن يكون المُدرّس حازقاً في مُراعاة حاجات المُلقّين اللغويّة بما ينسجم مع غاياتهم وأهدافهم من تعلّم اللغة العربيّة.
 3. ندرة وجود مراجع نحويّة وبلاغيّة مُخصّصة بالناطقين بغيرها، فتواجه المُتلقّين هنا صعوبة فهم لغة المراجع غير المُخصّصة لهم، ويكون المُدرّس مُضطراً لتنايل تلك الصعوبات.
 5. تحوّل نصّ الأغنية إلى غاية عند المُتلقّين، بدلاً أن يكون وسيلة، مما يؤدي إلى اهتمامهم بنصوص مكتوبة بلغة غير فصيحة.
 6. مواجهة المُدرّس لأسئلة من قبل المُتلقّين شديدة التفاوت، أو غير متوقّعة، أو لا يُمكن ربط إجاباتها بنصوص الإجابات الإلكترونيّة.
- ولكن في الحقّ معظم تلك الصّعوبات تُذلل بحُسن تصرّف المُدرّس، كما أنّها تكاد تُصبح، في مُعظمها، غير موجودة في برامج التدرّب والمُمارسة إلاّ أنّها تُصبح طريقة فعّالة جداً لتعزيز الفهم.

2. كيفية التطبيق داخل قاعة التدريس:

إنّ اختيار النصّ عمليّة توازي في أهميّتها عمليّة تطبيق الوسائط المتعددة عليها؛ فعلى المُدرّس وقبل كلّ شيء اختيار النصّ المُناسب لطبيعة المُتلقّين من حيث الثقافة والعمر والميول، ثم يجري تطبيق الوسائط المتعددة عليه بشكل قبليّ، وفق ما عرض في الفقرة (2.2) ليؤتّى به جاهزاً مع مرفقاته المُناسبة من المكتبة الإلكترونيّة محفوظاً على قرص ليزري أو أية

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

وسيلة حفظ أخرى، وقد طبع النص الـ word المتضمن كلمات النص المكتوب الممثل تمثيلاً أميناً للنص المنطوق على ورق بعدد أفراد عينة المتلقين، فيتم أولاً:

1. عرض شرائح الـ PowerPoint المتضمنة الصوت، بحيث يكون سماع صوت نطق المفردة، أو الجملة على الأقل، مترافقاً مع ظهورها على شاشة العرض.
2. الوقوف عند نهاية كل شريحة على المفردات الصعبة الفهم فيها، وعلى الفكرة العامة لها.
3. تكرار ذلك بحسب رغبة المتعلمين.
4. بعد تكرار العرض عدة مرات توزع نسخ النص المطبوع على المتعلمين بحيث يكون مع كل طالب نسخة، أو يُطلب منهم كتابة النص المعروف في الشريحة في دفاترهم.
5. يُشغل النص المسموع كاملاً دون تجزئ، ويُطلب إلى المتعلمين متابعة النص المكتوب في الورقة المطبوعة، وبترافق مع ذلك عرض النص كاملاً باستعمال محرر النصوص الـ word.

6. يُعاد تشغيل النص المسموع وفق كل شريحة.
7. يجري اختيار الظواهر الأكثر وروداً في النص (اللغوية، والنحوية، والبلاغية) وشرحها باستعمال تقنية الارتباط التشعبي، وإطلاع المتعلمين على المعنى اللغوي للمفردة الصعبة الفهم، أو القاعدة من المعجم اللغوي¹، أو المصور²، أو المرجع النحوي³، أو البلاغي⁴، أو نصوص محاضرات نحوية وبلاغية أُلقيت على الطلبة في وقت سابق، كما في برامج

¹ كالمعجم الوسيط، أو الوجيز، أو استخدام البحث الإلكتروني عن طريق الشبكة مثلاً.

² يُنظر مثلاً المعجم المصور: الصوتيات العربية (برنامج حاسوبي لتعليم الصوتيات العربية للناطقين بغيرها) الذي كان لنا شرف إعداده بالتعاون مع جامعة تشرين والهيئة العليا للبحث العلمي، دمشق، 2010.

³ كالكتاب المرجع في قواعد اللغة العربية لمراحل التعليم العام (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجموعة من المؤلفين تونس 1996)، أو كالكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، السعيد محمد بدوي، أحمد حماسة عبد اللطيف، محمود البطل، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987) مثلاً (أو نص محاضرة سابقة).

⁴ مثل كتاب جواهر البلاغة مثلاً (أو نص محاضرة سابقة).

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

التدريب والممارسة، ويُطلب إليهم كتابة القاعدة المُبسَّطة إلى دفاترهم. (كما سيظهر في النموذج التطبيقي).

8. بعد الانتهاء من النموذج المُختار، وفي المُحاضرة التالية يُجرى الاختبار بإعادة عرض النص المكتوب والمُترافق مع الصوت المسموع، وتوجَّه الأسئلة عن أبرز الظواهر اللغويَّة، والنحويَّة، والبلاغيَّة التي جرى تناولها في النصِّ، والتحقُّق من استيعابها من قبل الطلاب، وإن بفروق فريديَّة.

9. بعد تكرار هذه الطريقة باستعمال عدة نصوص مُشابهة، يجري تذكير المُتعلِّمين بالظاهرة اللغويَّة التي قد ترد في النصوص التالية بالقاعدة المُرتبطة بالعبارة من النصِّ السابق المعروف، فتتحوَّل النصوص في هذه الطريقة إلى قرائن مُرتبطة بالقواعد، وبالظواهر اللغويَّة في أذهان المُتلقين.

1.2. كيفية تطبيق الوسائط المُتعددة على النصِّ: إذا كان النصُّ هو العنصر الأساسي في الوسائط المُتعددة، فإن تطبيق بقية الوسائط المُتعددة عليه لا يقل أهمية عن اختياره، من صوت، أو صورة، أو فيديو، أو تقنيات العرض المختلفة، أو تقنيات خزن المعلومات في المكتبة الإلكترونيَّة، وتقنيات الربط بينها وبين النص المعروف في الواجهة الأساسيَّة سواء بالارتباط التشعبي Hyperlink أم بأية طريقة أخرى.

فعند اختيار النص المُناسب يقوم المُدرِّس بتحويله من الشكل الورقي إلى نصٍّ في برنامج مُحرِّر النصوص المعروف الـ word، ثم يجري إدراجه في شرائح الـ PowerPoint وفق فنية كبيرة إذ يُربط بوسائط الصوت، بعد تقطيعه باستعمال البرامج الصوتية الخاصة بذلك، إلى قطع تتناسب مع كلمات النص الواردة في الشريحة الواحدة، ليتمَّ إدراج المقطع الصوتي لكل شريحة فيها من المكان الذي حفظ فيه مع اختيار خاصة البدء مع السَّابق الذي يكون طبعاً كلمات نصِّ الشريحة.

وتتجلى الفنيَّة الكبيرة التي سبق ذكرها في جعل الكلام المكتوب يظهر مع النطق الصوتي

على قدر الإمكان بحيث يترافق ظهور الكلمات المكتوبة في النصّ مع سماع نطقها؛ ويتحقق ذلك من بـ:

1. اختيار السرعة المناسبة من قائمة حركات مُخصَّصة من بين الخيارات الموجودة فيها وهي: (بطيء جداً، بطيء، متوسط، سريع، سريع جداً) وذلك بما يتناسبُ وسرعة الإيقاع.
2. تطويل الكلام المكتوب أو تقصيره بما يتناسب مدّ الصوت باستعمال تكرار طباعة الحرف الأخير من الجملة، أو من الكلمة.
3. إطالة زمن ظهور الكلمات بما يتناسب مع سماع الصوت باستعمال الفراغات عند الحاجة إلى ذلك، بحيث يتعامل العرض معها وكأنها أحرف تحتاج إلى زمن لعرضها ولكنها تكون في الحقيقة عبارة عن فراغات لا تظهر في النص المكتوب.

ليُختار بعد ذلك لون الخط المناسب، إلى طريقة ظهور الكلام في الشريحة من قائمة حركات أيضاً، فأيقونة إضافة تأثير، ثم تُختار الخلفية المناسبة لكلمات الأغنية من قائمة تصميم، بحيث تبدو الواجهة مشوّقة وجذابة للمُتعلم.

ويجري اختيار الظواهر اللغويّة المُراد إيصالها إلى المُتعلّمين، أو المُراد تعزيز فهمها عندهم، عن طريق استثارة المُتلقين بتوجيه الأسئلة إليهم، ثم تقديم المحتوى التعليميّ بأسئلة أخرى مُتدرجة، ثم نربط بين الظاهرة اللغويّة ونص المرجع المخزّن على الحاسوب، أو نص محاضرة سابقة كانت قد أُلقيت على الطلبة في وقت سابق (في برامج التدريب والممارسة)، بطريقة الارتباط التشعبي Hyperlink، أو أية طريقة أخرى، كفتح برنامج آخر مثلاً، فيظهر على الواجهة إطار آخر يتضمن المحتوى التعليميّ المطلوب في شكله القواعديّ، فيتّم الربط بين الظاهرة اللغويّة في الاستعمال السياقيّ، والقواعد المقررة لها في المراجع التخصصيّة، على أن يتمّ إغلاق الإطار الثاني المفتوح فور الانتهاء من عرض المحتوى التعليميّ المتعلّق بالظاهرة المُتناولة، تجنباً لإشغال المُتعلّمين عن الفكرة الأساسيّة.¹

¹ أ. د. محمود أحمد السيد، قضايا راهنة للغة العربية، ص 160.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

ويمكن أن يتعاون المُدرِّسُ مع مُبرمجٍ بحيثُ تُستعمل الألوان؛ بأن يتم تغيير لون المفردة المنطوقة بشكل مُترافق مع نطقها في النص المنطوق.

ثمَّ ينبغي اختيار النصوص التالية في المحاضرات القادمة في ضوء مُراعاة ورود الظواهر اللغويَّة الواردة في النص المُختار، بحيثُ يتكرَّرُ ورود بعضها في النصوص التالية، إضافةً إلى ورود ظواهر لغويَّة جديدة ليُصارَ إلى تغطية أغلب مُفردات التخصصات اللغويَّة العربيَّة، في عددٍ مُعيَّنٍ من النصوص التي ستُشكِّلُ سلسلةً مُترابطةً ومُتكاملة، مع الأخذ بالحسبان المدة الزمنيَّة اللازمة لامتلاك الكفاية اللغويَّة اللازمة التي تؤهله للانتقال إلى المُستوى الأعلى.

2.2. الشروط التي يجب توفرها في النص المُختار: وبناءً على ما سبق فإنَّ النصَّ

المُتناول وفق نمط التدريس المُتكامل المُتعدد الوسائط يجب أن يحقق الشروط الآتية:

1. أن يكون أغنية أو مقطعاً شعرياً منطوقاً أو نصاً قرآنياً منطوقاً، وذلك بحسب ميل المُتعلِّمين، وبما يتناسبُ مع سنِّهم، ومع المُستوى اللُّغويُّ المُراد تعليمه.
2. أن يكون واضح الأداء، قليل الصَّخب بالنسبة إلى الأغنية.
3. أن يكون ذا لغة سهلة واضحة تتميز بمُفردات شائعة الاستعمال، وبعيدة عن المجاز قدر الإمكان، ومُفرداته قليلة الحروف والحركات.¹
4. أن يكون ذا صورٍ شعريَّة سهلة، قريبة المأخذ، واضحة الصلة بالبيئة المُحيطة.
5. أن يكون مُتعدد الظواهر اللُّغويَّة، مع التركيز على ظواهر بعينها بحسب المادَّة العلميَّة المُراد التدربُ عليها.
6. أن يُعرَضَ مُرافقاً للنصِّ المقروء، أو يُعرَضَ بواجهة أخرى (فيديو، أو واجهة مكتوبة مُرافقة للصوت).

وينبغي على المُدرِّس في هذا المجال عند اختيار النص أن يكون قد ضمَّن المكتبة الإلكترونيَّة التي يعتمد عليها قائمة من الأغنيات المُناسبة، والنصوص الشعريَّة أو القرآنيَّة

¹ المرجع نفسه، ص 195.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المسموعة، بحيث يستطيع أن يُفاضل بينها وفق المعايير السابقة، وبما يُناسب المستوى التعليمي للمُتعلمين، والمادة العلمية المراد إيصالها إلى المُتلقين، أو تعزيز فهمها وفق برامج التدريب والممارسة،¹ لأنَّ النمط الإلكتروني المتكامل وسيلة فعّالة في برامج التدريب والممارسة، التي يعتمدُ المُتعلمون عليها لتقوية التعلُّم التقليدي وإتقانه، وذلك بعد سماعهم لمحاضرة، أو لشرح درس، وقبل التمرين والتدرب على مهاراتٍ مُحددة.

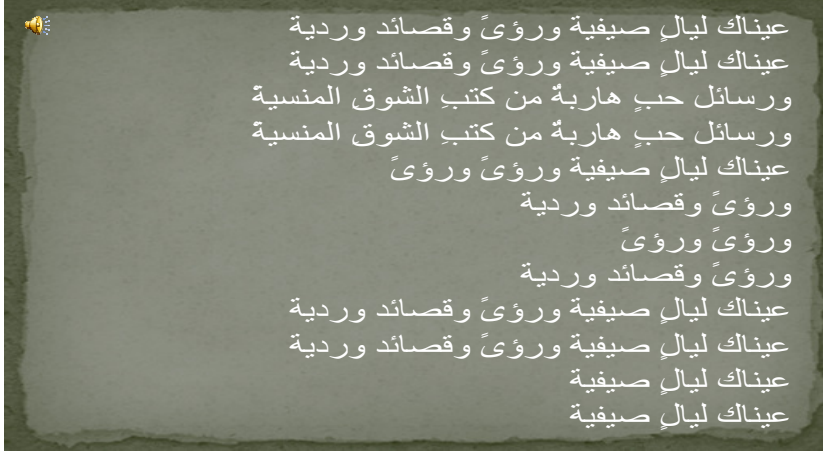
ثانياً: الجانب التطبيقي

نعرض فيما يلي نموذجاً تطبيقياً للتعليم الإلكتروني المتعدّد الوسائط وفق النمط المتكامل الذي يهدفُ إلى تعزيز الفهم، على نحوٍ مُشابهٍ لبرامج التدريب والممارسة، ويُراعى أن يكون المُتلقون من المستوى المُتقدم، مع إمكان اعتماد هذه الطريقة في تدريس اللغة العربيّة وفق الاختصاصات التقليديّة، ولكن ينبغي أن يستعمل الارتباطُ التشعبيّ حينئذٍ مع نصوص مُحاضرات تخصصيّة مع الشرح اللازم، وليس مع متون المراجع، وعلينا عندئذٍ الاعتماد على أكثر من نصّ بُغية استيعاب جميع فقرات البحث التخصصي على نحو ما أسلفنا.

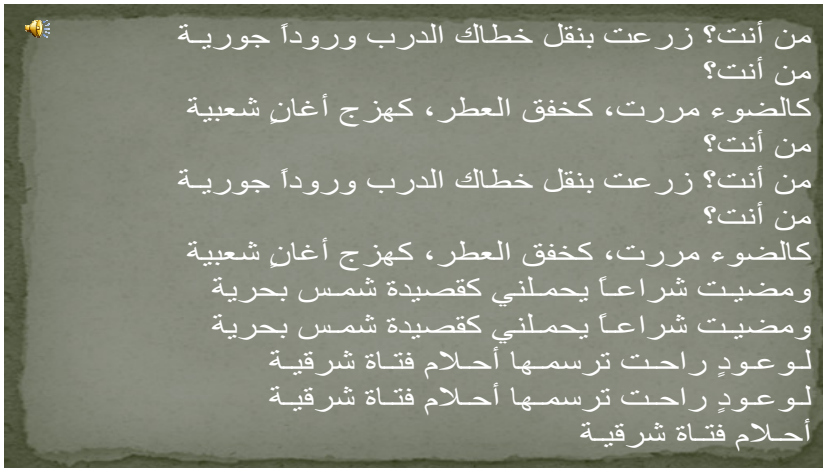
فالخطوة الأولى هي اختيار النص وفق الشروط السابقة الذكر وهو هنا أغنية عيناك ليالٍ صيفية، كلمات الشاعر نزار قباني، وغناء ماجدة الرومي، وهو بذلك يحقق رغبات المُتعلمين النفسية على نحو ما ذكرنا سابقاً، فيفترض أن يكونوا هنا من مرحلة الشباب/ طلبة جامعيين/ أوروبيين منفتحين، ثم الاستماع إليه مراتٍ مُتعدّدة، ويُرافق ذلك الاستماع عرض شرائح الـ PowerPoint لتشارك حاستي السمع والبصر معاً، مع ملاحظة درجة انسجام المُتعلمين معه، وذلك على النحو الآتي:

¹ يُنظر: د. فخر الدين القلا ، ود. محمد وحيد صيام، تقنيات التعليم ص 381-385، والحاسوب التربوي د. فخر الدين القلا ود. إلياس أبو يونس (مَشورات جامعة دمشق كلية التربية 2003-2004) ص 88-98.

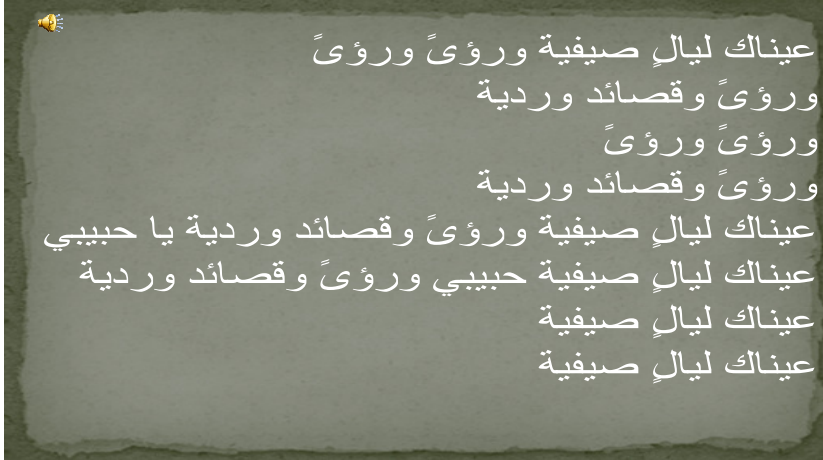
الشريحة الأولى:



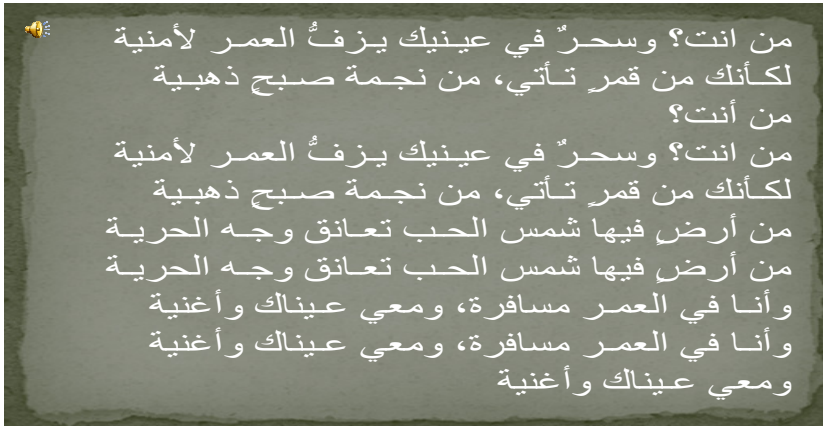
الشريحة الثانية:



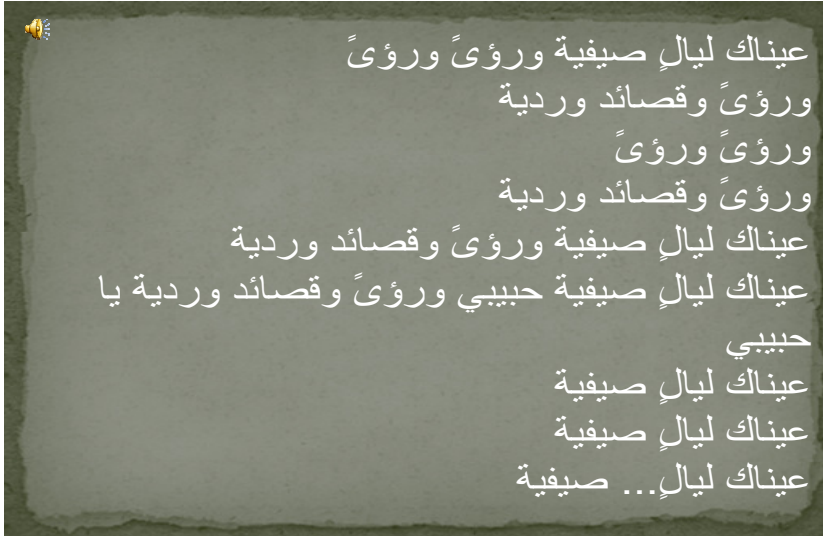
الشريحة الثالثة:



الشريحة الرابعة:



الشرح الخامسة:



أهم الظواهر النحوية:

- المثنى (عيناك، في عينيك).
- الاسم المنقوص (ليالٍ، أغانٍ).
- من حالات بناء الفعل الماضي (مررت، زرعت، مضيت، راحت).
- من حالات إعراب الفعل المضارع (يحملني، ترسمها، يزف، تأتي، تُعاني).
- الحال (شراعاً). (وفق المستوى المطلوب تعلمه).
- من حالات المبتدأ والخبر (عيناك، من أنت).

أهم الأساليب النحوية:

- الاستفهام (من أنت؟) والتأكيد لـ وظيفة الإنكارية.
- النداء (يا حبيبي، حبيبي).

أهم الظواهر البلاغية:

- التشبيه (حالات كثيرة منها: ليالٍ صيفية قصائد وردية، عيناك ليالٍ).
- الاستعارة (حالات كثيرة منها: زرعت بنقل خطاك).

الخاتمة

قدّم البحثُ طريقةَ التّدرّيس الإلكترونيّ المتّعدد الوسائط لتدريس اللغة العربيّة للناطقين بغيرها، فتدرّسُ هذه الطريقةُ اللغة العربيّة من حيثُ هي مهاراتٌ متكاملة التخصصات اللّغويّة، أي من حيثُ هي كائنٌ حيٌّ مُتكامِلٌ.

فبدأً بتحديد مفهوم التّدرّيس الإلكتروني المتّعدد الوسائط وفق نمطين أساسين، ودلفَ إلى شروط اختيار النصّ الأنموذج، وشرح كيفية تطبيق الوسائط المتّعددة عليه، وكيفية تنفيذه داخل غرفة الصفّ، ليصل إلى أهمية التّدرّيس الإلكتروني وخصائصه، وعيوبه.

ثمّ قدّم البحثُ أنموذجاً تطبيقياً شارحاً كيفية تنفيذ هذه الطريقة، وأهمّ الظواهر النحوية، والبلاغية التي يمكن استنباطها من النصّ.

.....التدريس الإلكتروني المتعدد الوسائط

المصادر والمراجع

- الاتجاهات الحديثة في تدريس اللغات الأجنبية في بعض الدول الأجنبية الوسائل والطرائق والتقنيات، د. علي حسين حسن، (ورشة عمل حول تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام في الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 11-15 سبتمبر 2000).
- استراتيجيات تعلم اللغة د. ريكا أكسفورد، ترجمة السيد محمد دعور، مكتبة الأنجلو المصرية 1996.
- الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، د. رشدي أحمد طعمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية 3، مكة المكرمة 1982.
- أصول التدريس لطلبة دبلوم التأهيل التربوي، د. فخر الدين القلا، ود. يونس ناصر، مديرية الكتب الجامعية، كلية التربية، منشورات جامعة دمشق، ط 3، 2000-2001.
- الأنماط الحديثة في التعليم العالي التعليم الإلكتروني المتعدد الوسائط، د. قسطندي شوملي، جامعة بيت لحم، (المؤتمر السادس لعمداء كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، ندوة ضمان جودة التعليم والاعتماد الأكاديمي جامعة الجنان 21-22 نيسان 2007).
- تدريس فنون اللغة العربية، د. علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.
- التطبيقات العملية على التدريس، علي سلام وآخرون، كلية التربية دمنهور، جامعة الإسكندرية 1994.
- التعلم الذاتي في عصر المعلومات، د. أمل الأحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2002.
- تصميم التدريس بين النظرية والتطبيق، د. زيد سليمان العدوان، ود. محمد فؤاد الحوامدة، دار المسيرة عمان، ط 1، 2011.
- تعليم اللغة العربية الإلكتروني (نحو نظرية علمية جديدة)، د. دوكوري ماسيري، مجلة المجمع العدد 1، 2011 جامعة المدينة العالمية في ماليزيا.
- تقنيات التعليم، د. محمد حسن شاش، الجزء الثاني، جامعة تشرين 2007-2008.
- تقنيات التعلم الذاتي والتعليم عن بعد، د. فخر الدين القلا، د. أمل الأحمد، ود. عدنان أبو عمشة، منشورات جامعة دمشق، كلية التربية 2004-2005.
- الحاسوب التربوي د. فخر الدين القلا ود. إلياس أبو يونس منشورات جامعة دمشق كلية التربية 2003-2004.
- طرائق تدريس التربية وعلم النفس، د. يونس ناصر، (منشورات جامعة دمشق، 1996).
- طرائق التدريس العامة في عصر المعلومات، د. فخر الدين القلا، د. يونس ناصر، د. محمد جهاد جمل، (الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، جامعة العين 2006).
- علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، د. محمود فهمي حجازي، وكالة

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المطبوعات الكويت بلا تاريخ.

- في سبيل العربية، أ.د. محمود أحمد السيد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2015.
- قضايا راهنة للغة العربية، أ.د. محمود أحمد السيد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2016.
- اللغة العربية والمكتبة الإلكترونية، الدكتور محمد حسان الطيان، بحث مُقدم إلى المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق 20-23 تشرين الثاني 2006.
- محو الأمية وتعليم الكبار، د. فخر الدين القلا، مديرية الكتب الجامعية، كلية التربية، منشورات جامعة دمشق، دمشق 1993.
- النهوض باللغة العربية والتمكين لها، أ.د. محمود أحمد السيد، (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط 1، 2013).

مواقع على الشابكة:

- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على الشابكة.

المصطلحيات واللّسانيات: في علاقة تبادل الخدمات

د. يوسف مقران*

مقدمة

إنّ العلاقة القائمة بين المصطلحيات واللّسانيات ليست وحيدة الجانب بل متعدّدة الأوجه؛ وذلك على عكس ما توهم به زاوية احتضان المصطلحيات لمهمة نقد منجزات الدرس اللساني¹. وهي أوجهٌ فارقةٌ ومُتداخلةٌ في آنٍ وبعيدةٌ كلّ البعد عن السطحيّة التي غلبت على محاولات لا تزال تقام في مجال الدرس المصطلحي العربي الفتّي. لكن والحال هذه وتحرياً للتبسيط، من الأجدر وضع فرضٍ يُسلم بوجود ما يحكم تلك العلاقة من ناموس التأثير الحاصل في كلا الاتجاهين والتعاون المتبادل بينهما²: لذا من المتوقّع أن تخضع لقانون الانسجام، لكي تُشكّل أيضاً - وفي نهاية المطاف - شيئاً منتظماً يُستساغ تمثّله في كلّ دراسة ذات طموح تطبيقيٍّ أصيلٍ وعلى درايةٍ بما يمكن أن تؤوّل إليه من الناحية التعليميّة والتكوينيّة. ويمكن

* أستاذ اللسانيات والتعليمات والمصطلحيات ومدير مخبر الممارسات الثقافية والتعليميّة والتعليميّة في الجزائر/ المركز الجامعي مرسلّي عبد الله - تيبازة (الجزائر).

¹ وهي زاوية مشروعة - لاشك في ذلك. ينظر: يوسف مقران، تقاطعات المصطلحيات ونظرية المعرفة (في سبيل ممارسة النقد في مجال اللّسانيات)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة، ع 13، الجزائر، جوان 2011، (ص 121-176).

² أتيح لنا فرصةٌ حيث عرضنا لمحةً عن أوجه هذه العلاقة المتبادلة بين المصطلحيات واللّسانيات على المستوى الغربي وفي الساحة العربيّة. يُنظر: يوسف مقران، الدرس المصطلحي الغربي - العربي: بين الاحترافيّة والهواية: مجال اللّسانيات المترجمة أنموذجاً، المترجم، ع 19، مخبر تعليميّة الترجمة وتعدّد الأسن، جامعة وهران - السانبة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران (الجزائر)، يناير - جوان، 2009، (ص 9-52).

تحليل هذه العلاقة من خلال ثلاث زوايا على الأقل؛ هي: أولاً، اعتبار الطابع اللساني للمصطلح؛ وثانياً، التطبيق المصطلحي اللساني؛ وقد يحدث النظر في هذا الأخير من أجل فحص إمكانية البناء عليه، وهي زاوية قد طرقها أكثر من باحث لأسباب مختلفة وفي سياقات متباينة زمنياً ومكانياً؛ أما الزاوية الثالثة فتتأتى من الدرس المصطلحي الوصفي في حد ذاته¹.

1. في العلاقة العملية

يمكن الذهاب قبل كل شيء إلى أن الجانب العملي الرابط بين المصطلحيات واللسانيات هو الجدير بالتركيز عليه. هذا هو المقصود أيضاً من عنوان هذا المبحث بـ العلاقة العملية التي تلخص أهم شيء في صلة المصطلحيات باللسانيات. ونتخير هذه البوابة (العلاقة العملية) لمباشرة تحليل المفاهيم الرابطة انطلاقاً منها، بدل استعراض المصطلحيات من باب التقديم النظري - على الرغم من تعلق الأمر أكثر بـ دور هذه الأخيرة في اللسانيات ومن وجهة هذا الباب - أملاً منا أن يتماشى هذا الأمر بما يوحي به ذلك العنوان قطعاً من عملية العلاقة التي تربط بين المصطلحيات واللسانيات²، إذ يجري فيها وضع اللسانيات من قبل المصطلحيات وجهاً لوجه أمام مُفارقة عويصة شيئاً ما، وهي: واقع تمدد جهازها التسموي وتوقع تحدد نظامها المفهومي. وما كان ذلك ليحصل لو لم يقع تقاطع في اهتمامات كل من المجالين (المصطلحيات واللسانيات) وفي مصالحهما إلى حد نشوء تداخل في الصلاحيات وهو الأمر الذي يجدر تناوله بشيء من التحفظ. وذلك على الرغم من أنه لا بد أن تسود هناك دينامية

¹ وكذلك تعرضنا لهذا التعاون المتبادل من خلال طرحنا هذه الزوايا الثلاث بصورة عامة؛ يُنظر: يوسف مقران، الدرس المصطلحي واللسانيات، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 4، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر)، السداسي الثاني 2010، (ص 18-33)، ولاسيما ص 18. حيث ركّزنا على هذه النقطة.

² كان ترجيح هذا الخيار من وحي ما سبق أن عالجنه في موضع آخر وما استخلصناه عقبا؛ ينظر: يوسف مقران، المصطلح اللساني المترجم: مدخل نظري إلى المصطلحيات، دار رسلان، دمشق، 2007، ص 126-

..... المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

(حركية) تدفع كلا منهما إلى الاستقلالية¹، وأن تتعلّق قيمٌ خاصّة بكلّ منهما، وتبرز تطلّعات ذاتية عوض الخضوع للسلطات الخارجية (إملاءات الباحثين). ولذا يهتمّ أن نتناول وجهاً من ذلك **التقاطع** - لا لتفهّم تلك الدينامية والقيم والتطلّعات فحسب - لكن هذه المرّة بهدف حصر وحدة **المصطلح اللساني** مصطلحياً ولسانياً (أي بالاستفادة من المصطلحيات واللّسانيات معاً) كوحدة معاضدة للتفكير اللّساني ومدمجة في الخطابات والنصوص المتخصصة الناقلة لذلك التفكير بشكلٍ قاطع. فهذه الناحية التي ابتعدت عن حيّز مشاهدة مؤسّسي (علم المصطلح) لفترة ليست بهيّنة، بانت أهميّتها وتعاضمت حينما التقت الدراسات المصطلحية بتلك التي أخذت تعالج لغات الاختصاص، ولاسيما من قبل لسانيين على غرار بيار لوراه الذي تأسّف كثيراً على مَطْل الباحثين في معالجة هذه الأخيرة بهاجس إقامة نظرية لسانية تُغلّف قضايا تلك اللّغات من حيث المقام والطبيعة والأبعاد والوظائف على الأقلّ، شأنها في ذلك شأن ما اتّسعت إليه دائرة اللّسانيات، فهَمّت باشتغالها بعدما هُمّشت². وذلك أحد أصداء لما سبق أن شخصناه من هموم تفريع اللّسانيات³.

فنحن هنا أمام شاهدٍ صارخ ومُفارقٍ على أنّ للتفريع شأناً في تسيير القضية المصطلحية المرتبطة باللّسانيات أولاً، ثمّ تأثراً بغيرها من الفروع المعرفية وتأثيراً فيها. وهكذا يتّضح، بناءً على ما سبق، أنّ أطراف التطبيق المصطلحي يمكن أن ترتمي في حيّزٍ علميٍّ تعليميٍّ شبه نظريٍّ، وذلك لتفسير تلك المِمارقة المشار إليها آنفاً وفق ما يرسمه مدخلان يمسّان

¹ ينظر: Loïc Depecker, Linguistique et terminologie : problématique ancienne, approches nouvelles, *Bulletin de la société de linguistique de Paris*, vol. 97, n° 1, Paris, 2002, Ed. Peeters, Paris, p.123.

² ينظر: بيار لوراه، خطاب اللّغات المتخصصة، ترجمة يوسف قران، الخطاب، ع 3، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعو مولود معمري - تيزي وزو، دار الأمل، تيزي وزو، ماي 2008، (ص 365-381)، ص 365.

³ ينظر: يوسف قران، الخطاب اللّساني وتفريعاته المفهومية والمصطلحية، مجلة البحوث والدراسات العربية، ع 64، معهد البحوث والدراسات العربية، يونيو 2016، (ص 83 - 147). <http://www.alecso.org/site/2016-02-02-13-47-43/1180-64.html>

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

اللّسانيّات مهما تكن اللّغة المكتوب بها وعليها، ويتّصلان - لا ريبَ فيه - باللّسانيّات التي تُحرّر بالعربيّة وتضطلع بهذه الأخيرة؛ وهما: حاجة الدّرس اللّساني إلى النّقد ورعاية الدّرس اللّساني العربي المُترجم.

غير أنّ الإمعان في دراسة ما اكتنف الدّرس اللّساني الغربي خليقٌ بأن يجعل المرء يحسُّ بأنّ هذا الأخير أُسسَ هو الآخر على معالجاتٍ مصطلحيّةٍ مُحتواة ومُحتومة. فبالتالي، من شأن كلّ تطبيقٍ مبرمجٍ على مدى مقالنا هذا أن ينسف في الأخير ميزة الفراة العربيّة في شأن امتزاج اللّسانيّات بالتحليلات المصطلحيّة، والتي كان يُعتدّ بأنّها خاصيّةٌ يتحلّى بها الدّرس اللّساني العربي فحسب. هذا وإن كان من الصّعب إنكار الفردية التي شاعت في غياب المصطلح القياسي (الذي من المفروض أن يقع حوله الإجماع)، فتمخّضت عن تلك الفردية مشكلةُ التباين وعدم توحيّ الدقة في الترجمة. ويجدر التذكيرُ هنا بأنّ هذه البوابة - أي التطبيق مع عدم تجانس مظاهره - قد طرقها أكثرُ من باحثٍ لأسبابٍ مختلفة وفي سياقاتٍ متباينة زمانياً ومكانياً ولخلفياتٍ معرفيّةٍ مُعيّنة. وإذ نطمح إلى مراقبتها (البوابة)، بطريقة واعية وبقطة - قد ندّعي في ذلك طريقةً نظاميّةً: فالهدف جليل، لكن الحيلة المرفقة قاصرة في هذا الظرف - يهّمنا أن نستنسخ منها ضوابطَ العمل المصطلحي، وننلمس ملامح البحث المصطلحي المُمنهج هذه المرّة في رحاب اللّسانيّات التي استطاعت صياغة تطوّر المصطلحيّات واستساغت تدخّل هذه الأخيرة في شؤونها. كما يهّمُ توظيف حسيّة الرّصيد المعرفي والمنهجي التي آلت إليها دراسات أولئك الذين طرّقوا هذه البوابة. فهكذا يُستشفّ من تكرار كلمة بوابة في المبحث الرّاهن رغبتنا في الإحالة إلى نظريّة البوابات Théorie des portes، التي تُعدّ، أولاً وقبل كلّ شيء، من بين الإسهامات النّقدية التي تقدّمت بها ماريا تريزا كابري التي تطالب نظريّتها المصطلحيّات العامّة (TGT) بمراعاة الجوانب الثلاثة الأساسيّة (البوابات) المشكلة لطابعها التوسّطي: الجانب المعرفي، والجانب اللّساني، والجانب الاجتماعيّ التدوليّ الإعلاميّ. وقد عرضتها في مقال لها وهو: Terminologie et linguistique : la La théorie des portes؛ أمّا بذور هذه النظريّة فتوجد بشكل واضح في مؤلّفها الهام: La

..... المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

¹ *terminologie : théorie, méthode et application*.

1.1 أعمال النّزعة التّطبيقيّة

ومن المؤكّد كذلك أنّ النّزعة التّطبيقيّة لم تبرح الدّرس المصطلحي العربي على الخصوص - ولن تبرحه - بل لا يزال بعضُ المصطلحيّين يفضّلون تقديم الطّابع التّطبيقي على أيّ همّ تنظيري²، بل هذا يكاد يكون منزعاً شاملاً في المصطلحيات، لكن بشرط أن تتحدّد التّطبيقات، كأن يقال *التّطبيقات المصطلحيّة التّرجميّة*³؛ ذلك بسبب كثرة الحتميات التي أوج ما تكون إلى ملاحظات *المصطلحيّين المطبّقين* الذين يُشكّلون حلقة وصل بين اللّسانيين والمتعاملين مع المفاهيم اللّسانيّة⁴. أوضح ما يمثّل هذه النّزعة أعمالٌ توزّعت على مُستوياتٍ شتى، ولما كان ظاهرها محاطاً بهالة الإجماع على حين يموج باطنها بالاختلافات نظراً لذلك التشتّت، فما انفكت الحاجة تلوّح بإلحاحها. وباستحضار تلك الأعمال يتقدّمها كلّ من:

1.1.1 اقتراح مقابلاتٍ مصطلحيّة

ويحدّث ذلك في ظروف التّرجمة المختلفة وما يعقبها من تأملاتٍ مباشرة. وقد ظهر في ظلّ ظروف الترجمة هذه نوعٌ من *المصطلحيّة* تسمّى عند الغربيين *Terminologie*

¹ ينظر: Maria-Teresa Cabré, *Terminologie et linguistique : la théorie des portes, Terminologies*, Nouvelles, n° 21, Rifal, Bruxelles, Juin 2000. وكذلك كتابها: *La terminologie : théorie, méthode et application*, Trad. du Catalan par Monique C. Cormier et John Humbley, P. U. Ottawa / Armand Colin, Paris, 1998. وصاحبة النظرية هي من أسبانيا، ومُديرة المعهد الجامعيّ للّسانيّات التّطبيقيّة (IULA) لجامعة بامبو فابرا ببرشلونة حيث تشتغل أيضاً بصفتها أستاذة. وتعدّ عضواً في معهد الدّراسات الفشتاليّة.

² ينظر: علي القاسمي، المعجم والقاموس: دراسة تطبيقيّة في علم المصطلح، ضمن *قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانيّة*، ج.2، معهد الدراسات المصطلحيّة (فاس)، (ص 219-237).

³ ينظر: Monique Slodzian, *Pratiques de la terminologie : la terminologie traductionnelle*, in *Terminologie et enseignement des langues*, Ed. La TILV, Paris, 1991, (p.59-62), p.61-62.

⁴ ينظر: ليلي المسعودي، ملاحظات حول معجم اللّسانيّات المؤخّد، *اللّسان العربيّ*، ع.35، الرباط، 1998، (ص 164-177)، ص 210-211.

traductive¹. وهي ترمي إلى وضع ثبتٍ لمجموع المقابلات الموجودة فعلاً وتلك الممكنة في ظلّ التوقع. وقد تصدر القوائم المثبتة عن الترجمات الفعلية وتنتشر في معجماتٍ مصطلحية. كما تنصّر بعضُ المقترحات المصطلحية كتباً متخصصة في مجالٍ ما على سبيل التوطئة من أجل إزالة اللبس الحاصل على إثر الفوضى المصطلحية التي تكون قد وقعت على مدى تعاقب المبادرات الفردية. ذلك أنه لا شكّ في أنّ المترجم تعرّض له خياراتٌ يتفاوت عددها من مترجمٍ إلى آخر، والأحسن في هذه الحالة هو أن يُعمد إلى الوقوف على الاختيار الموفق إلى تمثيل المفهوم توفيقاً لا بأس فيه. وهذا قد يؤدي إلى التضحية بالجانب المصطلحيّ لحساب الجانب المفهوميّ أو العكس، وقد يُصيبهما (المُصطلح والمفهوم) على حدّ سواء: وهو ما يُغري المترجم بأن يتردّد بين عدّة مصطلحاتٍ لتمثيل مفهوم ما، ثم يتناوله بطريقته الخاصة الكفيلة بتقريب المفهوم لا غير؛ وحينه يجري تسجيل ذلك كلّ في تلك المعجمات المصطلحية المشار إليها هنا.

3.1.1 متابعة الأعمال المعجمية

ويحدث ذلك من خلال ما يُشرف عليه واضعو المعاجم من جمع المصطلحات المتوفرة والمتداولة، ومن التوليد المصطلحي بنوعيه الرئيسيين، أي التوليد التأهيلي Néologie primaire والتوليد الترجمي Néologie traductive²؛ مع العلم أنّ للتوليد مطبّقين يحتكّون به في الميدان ومختصين يُنظرون له ويعتنون بتفهّم موادّه ومبادئه ووظائفه؛ وهذا ما يفضي إلى تقسيماتٍ أخرى له كأن يُقال التوليد الصوري والتوليد الدلالي، أو التوليد بالاستقفاق والتوليد بالمجاز³.

¹ ينظر: Maarten Janssen & Marc Van Campenhoudt, Terminologie traductive et représentation des connaissances, Langages, n°157 (La terminologie : nature et enjeux), 2005, (p.63-79).

² ينظر: Andrien Hermans & Andrée Vansteelandt, Néologie traductive, Terminologies nouvelles, RINT, n° 20 (Nouveaux outils pour la néologie), Bruxelles, Décembre 1999, p.37-43.

³ رياض قاسم، مستقبل العربية الفصحى في تطويرها: رؤية في المنهج، ضمن اللغة العربية: أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 214-215.

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

وكذلك أدلى الغربيون في هذا الإطار كل من منظوره؛ ولاسيما في سياق معالجة ظاهرة احتكاك اللغات¹، بنقسيات أكثر ما تنبئ عنه هو أن المصطلح ذو أبعاد شتى إذ يرى غي روندو أن التوليد ثلاث كليات: التوليد الصوري والتوليد الدلالي والتوليد عن طريق الافتراض²؛ وكذلك يُفرّعه ألان ري إلى ثلاثة أنواع على حين يسميها بطريقة مُغايرة شيئاً ما³: التوليد الصوري (ويشمل التوليد عن طريق الافتراض) والتوليد الدلالي والتوليد التداولي.

وبعد هذا العرض علينا أن نلاحظ أنه إذا كان أحد عوامل ظهور الترجمة مرتبطاً بالحاجة العملية التي تقضي بالاستغناء عن قراءة النص الأصلي لتعذره أو لأسباب أخرى - كما اقتنع بذلك جان رونييه لادميرال في النهاية⁴، فلا يبقى لنا سوى أن نستغرب كيف يعزف الناس عن قراءة الترجمات العربية وهي متوفرة - وقد تكفي - لنتقل ما تنقله النصوص في لغاتها الأصلية، ويبادرون إلى اقتناء هذه الأخيرة وذلك ليس من باب الفضول وحسب: بل لرفع ما يعتور الترجمات من لبس عند بعضهم، ومن أجل المزيد من الفهم المفقود عند الآخرين؛ وفي سبيل التدارس والمقارنة في أحسن التقدير حيث تُصبح الترجمات مثار المناقشات والجدل، بل تستحيل مدونات تُنتقد (كما قد يستفاد منها دروس في الترجمة). ويُسوِّغ الاحتمال الأخير مدى تحول (علم) الترجمة من مجال نظري إلى مجال ينشد المقاربة التطبيقية للترجمات التي تُسخر كمدونات يصبح الكشف عن العيوب التي تكتنفها غاية لا في نفسها بل من أجل تعلّم كيفية الترجمة. ويُمكن تشبيه الأمر بالترجمة البيداغوجية⁵ والتعلّيمية التي ترمي إلى نقل المعنى من

¹ وقد سبق أوريبيل فاينرايخ إلى تفسير ذلك بظاهرة الاحتكاك اللغوي؛ كما في: Uriel Weinreich, *Langage en contact*, New York, 1953, p.01.

² ينظر: G. Rondeau, *Introduction à la terminologie*, 2^e éd Gaëtan Morin, Québec, 1984, p.127. Et Louis Deroy, *Néologie et néologisme : essai de typologie générale*, Ed. CILF, n° 1, 1971, (p.05-12), p.08.

³ ينظر: A. Rey, *Essays on terminology*, Trad. du Français par J. C. Sager, Ed. John Benjamins, Amsterdam, 1995, p.68-69.

⁴ ينظر: J.-R. Ladmiral, *Traduire : théorèmes pour la traduction*, Ed. Payot, Paris, 1979, p.11-15.

⁵ ينظر: Elisabeth Lavault, *Fonctions de la traduction en didactique des langues*, Ed. Didier

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

اللغة المصدر إلى اللغة الهدف لا بهدف تبليغي بقدر ما هو توضيحي، كنتسخير عملية الترجمة في سبيل تعليم لغة ما، إذ تستعمل اللغة المصدر لشرح قضايا تخص اللغة الهدف¹، لأن الأولى ترمي إلى وصف الثانية، فنحن هنا في صميم المقاربة المفهومية في واقع الأمر على الرغم من أن الظاهر يوحي بعكس ذلك أي المقاربة اللفظية.

ولا نغادر هذا العمل من دون التنويه بفضل دورية اللسان العربي التي لم تقسح منبرها لكل من يعرض تجربته في تأليف المعجمات فحسب²، بل استرعت اهتمام الباحثين الذين أعمالوا قراءات على تلك المنتجات المعجمية التي كانت لا تزال في قيد التعريب.

3.1.1 صناعة المصطلح

إن تلك النزعة للاقتراحية - المعروضة آنفاً³ - تتطور إلى نوع من صناعة المصطلح. وهو ما يمثل البحث الذي يتجاوز مجرد العمل المصطلحي، لكي يتحول إلى القسم الثاني من عموم الدرس المصطلحي - بجانب قسم البحث المصطلحي المقصود. لكنه يتميز بكونه جاء في سياقات النقل الصريح لأفكار ومفاهيم هي أحوج ما تكون إلى صناعة المصطلح وعلى الهامش، لكنه هامش قليلاً ما يحكم على المتن. ولما كانت صناعة المصطلح تهتم بتوثيق المصطلحات وتيسير استعمالها سواء أكان هذا التوثيق آلياً بالحاسوب أم كتابياً بنشر المعاجم المتخصصة الورقية، فإن الصنيع الحكيم من أجل ترسيخ الهامش المفيد، هو أن توضع مثل تلك المصطلحات التي تتأقش على الهوامش موضع البحث والتحليل من قبل المصطلحيين

érudition, Paris, 1985, p.09.

¹ ينظر: Germaine Forges & Alain Braun, Didactique des langues, traductologie & communication, Ed. De Boeck Université, Paris & Bruxelles, 1998, p.13.

² وقد نشرت مثلاً في عددٍ واحدٍ فقط مقالات ل: اهيدي محمد، قراءة في المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات، اللسان العربي، ع 44، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 1997، (ص 179-1181). وكذلك: محمد حمادة، قراءة في المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (جزء الرياضيات)، العدد نفسه، (ص 182-86186). وكذلك: حميد أوبلال، قراءة في المعجم الموحد لمصطلحات الأحياء، العدد نفسه، (ص 192-193).

³ ينظر (أ). اقتراح مقابلات مصطلحية).

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

للخُلوَص إلى نتائج تتراءى من خلالها العوامل التي ترجع إليها المشكلات التي يعاني منها المترجمون حين تأدية عملهم التَّرجمي ولاسيما في مجال اللسانيات، وتتضمَّن صياغة الحلول المتوقَّعة على شكل مقترحات تقدِّم - في الأقل - للعاملين في ميادين اللسانيات والترجمة على السواء. لعلَّ هذا ما جعل علي القاسمي يُطلق تسمية صناعة المصطلح على ما يُعنى بالجانب العملي من المصطلحيات؛ حيث يقول:

«نفضِّل أن يكون لفظ (المصطلحيَّة) اسماً شاملاً لنوعين من النشاط: (علم المصطلح) الذي يعنى بالجانب النظري، و(صناعة المصطلح) التي تُعنى بالجانب العملي [...] وهذا ما فعلناه في دراسة المعجم وإنتاجه، إذ أطلقنا عليهما اسم (المعجميَّة) الذي يضم فرعين هما: الأول، (علم المعجم) أو ما يُسمَّى أحياناً بعلم المفردات الذي يُعنى بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها، وأبنيَّتها، ودلالاتها، ومرادفاتُها، والتعابير الاصطلاحية والسياقية التي تتألف منها؛ أما الفرع الثاني فهو (صناعة المعجم) الذي يشير إلى جمع المادة اللغويَّة، واختيار المداخل، وترتيبها طبقاً لنظام معين، وكتابة المواد، ثم النشر النهائي للمعجم، ورقياً كان أم إلكترونياً»¹.

وهو ما نقصده في مقالنا هذا باستعمالنا لتسمية التطبيق المصطلحي، ثم يبقى تقييده بنعتٍ يفيد الحقل الذي يجري فيه ذلك التطبيق. فكما قلنا *التطبيق المصطلحي اللساني* يجوز قول *التطبيق المصطلحي اللغوي*. فنلاحظ في كلام علي القاسمي أنَّه في صدد تناول مجالي المصطلحيات (المصطلحيَّة). وفيما يتعلَّق بمقالنا هذا، يمكن أن يُلحَق بالأهداف التَّطبيقية السابقة عملٌ هو معاينة الواقع وإعمال التوقع (وليس إهماله) وهو ما عملنا على تطبيقه على *الخطاب اللساني العربي* فيما سبق لنا أن نشرناه من أعمالنا المصطلحية². حيث يحدونا في هذه المُزاوجة بين اللسانيات والمصطلحيات منهجٌ يقوم على تشخيص حقائق عملية ملموسة، ترسَّمت لدى بعض الدارسين صوراً نمطية لم يعبأ كثيرٌ منهم بمواجهة الأسئلة الجديدة المتعاقبة

¹ علي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2008.

² ينظر: يوسف قران، الخطاب اللساني وتفرعاته المفهومية والمصطلحية، ..

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

والمتوقّعة، التي ما انفكت تُطرح عليهم.

فمن جهتنا علينا أن ننظر إلى تلك الأسئلة نظرة نافذة، لأنها لا تعكس بالضرورة انسجاماً على الرغم من تلك النمطية المستشرية، التي لم تأت من رحم النفاغل الحي، الذي كان من المتوقع أن يسري في نمطها الطبيعي (النصوص اللسانية المؤهلة والمترجمة). فتلك الحقائق تتجزأ وتتبدل باستمرار لو يعلم أولئك الدارسون الذين تعاقبوا على تكوين الصورة المعينة: لهذا جاز اعتبار منهجنا وصفيّاً يقوم من حيث معاينة الواقع على استقصاء ينصبّ على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر قصد تشخيصها؛ وبالمحاذاة لذلك نستعين بلسانيات المتون المعيّنة للتنوعات الخطابية (اللسانية) التي شدّ ما يُسهم اللسانيون المترجمون في تشكيلها، لذا حرصنا كثيراً على الإشارة إلى تلك النصوص الأصلية (المؤهلة) والمترجمة وتحديد كيفية تعامل أصحابها مع المشكلات المصطلحية ووضعهم تحت المسألة الاختبارية، ودراسة مواقفهم وقراءة أطروحاتهم واستخلاص منها فوائد جمّة تهم من ناحية التوقع الذي يجدر بناؤه بكلّ رصانة وجدية. هذا لكي نفرغ شيئاً ما من مشكلة عدم تجانس المظاهر المصطلحية اللسانية المدروسة في أحد أعمالنا السابقة أيضاً¹.

وهذا وجه آخر من تلاقي المصطلحيات باللسانيات. فضلاً على ما سبق ذكره، فإنّ عبارتي الدرس المصطلحي والتطبيق المصطلحي قديمتان قياساً بوجود المصطلحيات² كتسمية تشمل مفهوم العلم الفتي الذي لا يزال يبحث عن مسوِّغات وجوده. كما أنّ بين العمل المصطلحي داخل اللسانيات والبحث المصطلحي المؤطر من قبل هذه الأخيرة تبائناً دقيقاً جداً³: لهذا شئنا الحديث عن شيئين مختلفين مع تصوّر علاقة تكاملية تُبرم بينهما. ومُنشدة

¹ يوسف مقران، واقع حال البحث المصطلحي في ضوء اللسانيات (المجال العربي أنموذجاً)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع 14، الجزائر، ديسمبر 2011، (ص 195-252).

² لقد صرّح عنوان مقالنا هذا عن كلمة المصطلحيات واحتفظنا في هذا المتن بـ الدرس المصطلحي بل تطبيقه؛ وهذا تحريماً لمبدأ التدرّج وهو ما خضعت له المصطلحيات التي لا تزال تبحث عن الغطاء العلمي.

³ فيما يخصّ الفروق التقنية بين هذه الثلاثة (العمل والبحث والدرس) في الأبحاث المبكرة التي عرفت كيف

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

البحث المصطلحي مُنْهَجاً نتيجة لقائه باللّسانيات هو ما سنسعى للرقّيّ على مراقبه؛ وسيأتي تفصيل ذلك في تضاعيف المقال. وكذلك تحقّقنا من اختلاف هذه المصطلحات الثلاثة على مستوى المصطلحيّين العرب، فوجدنا الباحث المغربي خالد اليعبودي يقيم خطّ التمايز بينها¹. فكثيراً ما يقابل البحث المصطلحيّ بالعمل المصطلحي². فالأوّل يعني ما يأتي من خارج الاختصاص ويستند إلى نظريّة مستمدّة من المصطلحيات ومتداولة فيها، على خلاف العمل المصطلحيّ الذي أشبه ما يكون بالتطبيق الرّاهن الذي نحن في صدد تجلية معالمه: وهذا ما يعني أنّ هناك بحثاً مصطلحياً مقصوداً وآخر هو عملٌ معمولٌ به من غير وعي، لكنّه فعّال وناجع - كما سيكشف الفصل الخامس عن بعض مظاهره - نريد أن نعمل عليه نوعاً من الاستقراء فنستنتج منه قواعد مصطلحيّة مدعّمة لبحثنا بل ولجميع أبحاث المصطلحيات أيّاً كان موضوعها. وقد أوردنا ضمن هذا النوع من العمل المصطلحيّ فئة من الباحثين في مجال اللّسانيات، على الخصوص أولئك الذين يكونون قد أعملوا، إلى جانب عملهم اللّسانيّ المحض، نوعاً آخر من التأمل في اللّغة الواصفة التي يستعملونها أثناء عرضهم للمعطيات اللّسانية ومن غير قصدٍ منهم إلى بناء رؤية مصطلحيّة ولكنها لا تزال تنبئ عن ضرورة تأسيس دعائم

تحتضنها الثلاثة دونما أيّ وقوع في تراحم بينها، قد عالجها باحثون ك: Robert Galisson, Recherches de lexicologie descriptive : la banalisation lexicale (Contribution aux recherches sur les langues techniques), Ed. Nathan, Paris, 1978, p.08-13. من حيث استنتاجنا أنّ تسمية العمل المصطلحي يغلب استعمالها للدلالة على المصراع الذي تُمارس فيه القوانين الإجرائية والمبادئ المنهجية والأصول القواعدية التي تنهض عليها المصطلحيات النظريّة.

¹ ينظر: خالد اليعبودي، المصطلحيّة وواقع العمل المصطلحي في العالم العربي، دار ما بعد الحداثة، فاس، 2004.

² لقد ورد هذا التقابل في مقال لـ: عز الدين البوشيخي، عن المصطلح والمفهوم وأشكال التعلّق بينهما، ضمن قضية التعريف في الدراسات المصطلحيّة الحديثة، أشغال يوم دراسي (كلية الآداب، ظهر المهرز)، 25 أبريل 1995، إعداد عبد الحفيظ الهاشمي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 1998، (ص 27-35)، ص 28.

البحث المصطلحيّ، كما يعمدون في أبحاثهم إلى إجراءات تفيد هذا الأخير.

2.1 المصطلحيات في خدمة اللسانيات:

إنّ المرحلة تفرض علينا، حسب الأطروحة المعروضة آنفاً والمرقّقة بالفرض الموضوع والوضعيّة المشخّصة والزوايا المقترحة، التعرّض لتلك العلاقة (المصطلحيات واللسانيات) على مدى مقالنا، أولاً من جانب الخدمات التي تُسديها المصطلحيات لمصلحة اللسانيات، إذ هي تحلّل مفاهيمها وتسمياتها، وتدرس انشغالاتها، بل وتنقد استعمالاتها، وتخوض في خطاباتنا وتقف عند أهمّ مشكلاتها التي تصدر عن مصطلحاتها. وقد سبق للويك ديبير أن طرح هذه الإمكانية إذ كان يعالج فضل اللسانيات على المصطلحيات، وكذلك عرّج بسرعة على فضل هذه الأخيرة على الأولى تاركاً المجال لغيره ليتناول ذلك الفضل¹. فنفق حينئذٍ في صميم الموضوع الذي اخترناه لبحثنا (دور المصطلحيات على اللسانيات) وقد بحث غيرنا في فضل المصطلحيات على فروع علميّة أخرى على غرار ما قامت به ماريون هولترم حين تناولت فضل البحوث في المصطلحيات على تبليغ العلوم².

1.2.1 تحليل المفهوم اللساني:

إنّ المصطلحيات تُعنى بالمفاهيم من حيث طبيعتها وخصائصها وأنظمتها والعلاقات فيما بينها، وتتجلّى في النّظر إلى المفهوم في علاقته بالمفاهيم المجاورة، وفي مطابقته لعناصر حقله، وتعيين المصطلحات وفقاً لنظام المفاهيم الذي تدرج فيه³. ولأنّ علاقة المصطلحيات

¹ ينظر: L. Depecker, Entre signe et concept : élément de terminologie générale, Ed. Presses Sorbonne Nouvelle, Paris, 2000, p.19. Contribution de la terminologie à la linguistique, Langages, n°157 (La terminologie : nature et enjeux), (p.06-13). هذا المقال مع شقٍّ من العلاقة المدروسة هنا (فضل المصطلحيات على اللسانيات). والعدد موجود في مكتبة المركز الثقافي الفرنسي CCF بالجزائر.

² ينظر: M. Holzem, Apport des recherches en terminologie à la communication des sciences, Thèse de Doctorat en sciences du langage, Université de Rouen, 1997.

³ H. Felber, Terminology manual, Ed. UNESCO and Infoterm, Paris, 1984, p.96-97.

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

بالمفاهيم هي على هذه الشاكلة الموصوفة هنا، فالمرتقب في هذا الصدد هو التركيز على تحليل المفهوم (اللساني) مصطلحياً أولاً - ولسانياً بعد ذلك - كما أفاد جون هامبلاي وهو يقرأ الحويلة التي حققتها المصطلحيات خلال عقد من الزمن (1998-2009)؛ إذ جعل من الاشتغال على المفهوم واسطة عقد كل عمل مصطلحي، ورأى فيه قمة التنظيم العلمي¹. ويتفق كل من يؤيده في ذلك على أن التحليل يجري بعد اقتناص ذلك المفهوم واقتباسه ضمن النصوص المتخصصة بالاستناد دائماً إلى المقاربة المفهومية Approche onomasiologique التي تولي اهتماماً كبيراً للتوصيف بناءً على شبكات موضوعية سلفاً بمراعاة الموجودات التي يهمل جردها وتصنيفها تصنيفاً موجودياً² Classification ontologique.

وهذا الأمر يزيكيه كذلك ما يراه جل الباحثين في سياق آخر من أن المصطلحيات إنما تستقي شرعيتها في تناول مباحث اللسانيات وغيرها من العلوم، من استقلاليتها بذاتها؛ لكنها استقلالية راجعة بالدرجة الأولى إلى أصلاتها في تناول المفهوم³. ولا ننسى مقولة هلموت فيلبر الآتية: «يجدر التذكير بأنه على العمل المصطلحي أن يقوم على المفاهيم لا على المصطلحات»⁴. وهو ما يذهب إليه لويك ديبيكر وهو يلجّ على نهضة المصطلحيات بدافع (إعادة الاعتبار للمفهوم) بعدما هُمّش وذلك حينما كانت المصطلحيات تزرح تحت شفقة اللسانيات التي شدّ ما بالغت بدورها في تناول المصطلح بعدما استرجعت مكانتها ضمن الدراسات المصطلحية⁵. بل هناك من يُشبع فرادة البحوث المصطلحية بما تتوقّف به على

¹ ينظر: J. Humbley, Présentation, in Revue française de linguistique appliquée, Vol. 19, Ed. De Werelt, Amsterdam, février 2009, (p.05-08).

² ينظر: Guy Rondeau, Introduction à la terminologie, Ed. Chicoutimi - Georges Morin, 1984, p.19-21.

³ ينظر: J.-C. Boulanger et M.-C. L'homme, Les technolèctes dans la pratique dictionnaire générale, Meta, vol.36, n°1, Université de Montréal, Québec, mars 1991, (p.23-40), p.23.

⁴ ينظر: H. Felber, Manuel de terminologie, Ed. Unesco, Paris, 1987, p.03.

⁵ ينظر: L. Depecker, Linguistique et terminologie: problématique ancienne, approches nouvelles., p.123-152.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المفهوم، ويصرّ على تحويل الاهتمام من المصطلح نحو هذا الأخير¹. ولكن سيادة المفهوم في مجال المصطلحيات بالذات وبهذا الشكل البارز، لا يعني إزاحة الوجهة المقارنة (بين التسميات) بتمامها طبعاً، وعلى الرغم من الملاحظة الأولى السابقة - وهي تدعو في الحقيقة إلى ضرورة الخروج من منطق هذه الثنائية المتعارفة فرنسياً أيضاً بـ *La logique binaire*، أي (المصطلح/الكلمة) - بل هناك من يفرض الزاوية المقارنة كمنهجية لا يمكن تجنبها بسهولة في مجال المصطلحيات المسترفة باللّسانيات، إذ يُعوّل عليها - في الوقت الذي يرفضها فيه التوحيديون² - في سبيل تبين خصائص المصطلحات، ولا سيما ما يرجع منها إلى طابعها اللّغوي³. من هنا وجدنا حتى الدارسين المهتمين بنقل الموضوع من الوحدة الصغرى (المصطلح) إلى الوحدة الكبرى (النص) - ما من شأنه أن يغيّر هيكلية الثنائية برمته - قد وقف أحدهم⁴ عند التمييز بين ما أسماه *النص العلمي التخصصي* و*النص العلمي غير التخصصي* بناءً على إعمال هذه الثنائية ومن وجهة نظر مقارنة.

وهذه لن تكون المرة الأولى حيث يحدث نقل الموضوع من أبعاده الإفرادية المعجمية التي تمتلئها الكلمة (المصطلح) إلى أبعاد نصية خطابية سياقية (متخصصة)، بل سنراه عند بيار لوراه الذي تناول النصّ التشريعي (القانوني) من خلال المخطّط الحجائي الذي يقوم عليه

¹ ينظر: L.-C. Paquin, Du terme au concept, in *Les industries de la langue : perspectives des années 1990*, Tome 1, Montréal, 1991, (p.313-333).

² التوحيديون - نسبة إلى التوحيد المصطلحي - هم الذين ينصبّ اهتمامهم دائماً على سبل تحقيق ذلك التوحيد؛ يُنظر: يوسف مقران، *المصطلح اللّساني العربي بين التّوليد والتّوحيد* (2)، دورية *مصطلحيات* (دورية متخصصة في قضايا المصطلح)، عدد مزدوج: 5/4، فاس (المغرب)، نوفمبر 2013، (ص 29-52).

³ ينظر: S. Boutayeb & I. Desmet, Terme et mot: propositions pour la terminologie, *La banque des mots*, n° 05, (numéro spécial), Conseil international de la langue française, 1993, (p.05-32).

⁴ نقصد أحمد الحطاب؛ ينظر مقاله، المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال الترجمة (العلوم الطبيعية كنموذج)، *اللّسان العربي*، ع 47، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 1999، (ص 224-211)، ص 218-217.

..... المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

حيث دعا حينه إلى ضرورة إعادة النظر في شأن دراسة المصطلحات بعزلها عن سياقاتها¹. وقبله سبق لدورية *Terminologies nouvelles* أن خصّصت في عددها العاشر دراساتٍ لقضايا العبارات المسكوكة (Phraséologie)²، وهي التي من المعلوم أنّها غير قابلة للدراسة من غير اعتبارها داخل النصّ لأنّها غير حرّة، وأكثر من ذلك فهي محتواة كذلك في الخطابات العامة بالاستعمالات الشّعبيّة³. ويرى أسوالد ديكرز أفضليّة جمعها وحفظها ريثما تُستبصر المعايير التي تتحكّم فيها فتُستعمل كنماذج استدلاليّة على القدرة التي حظيت بها في تركيز المعنى وفي الحجاج وعلى الإيحاء بنظرتها إلى العالم والأشياء، فمثّل لذلك بأمثلة كالعبارة المستعملة في اللّغة الفرنسيّة (C'est un brouillard « à couper au couteau »)⁴. وكذلك كثيراً ما حقّق علي القاسمي في استعمال كلّ من محمود تيمور وإبراهيم أنيس لـ ألفاظ الحضارة بدل كلمات الحضارة رابطاً ذلك بين التحصيل الآني وتسمية اللفظ التي كانت ذات حظوة عند محمود تيمور على الأخصّ - رائد البحث في ألفاظ الحضارة على حدّ تعبير علي القاسمي⁵ - إذ يفضّلها على كلّ من الكلم أو الكلمة بل حتى المصطلح الذي يرى فيه الاختصاص الدقيق الذي لا يكفل الاقتراب من الجمهور بخلاف ما سيبيلغه هذا (المصطلح عليه) على إثر تحوّلّه إلى اللفظ عن طريق دورة تقوم بين المختصين وعامة الناس الذين تجري على ألسنتهم، ثم تُرسخ قاموسياً على أساس أنّها تمثّل ألفاظ الحضارة⁶. أمّا إبراهيم أنيس فيغلب عليه التدقيق في

¹ ينظر: P. Lerat, Vocabulaire juridique et schémas d'arguments juridiques, *Meta*, vol. 47, n° 2 (Traduction & terminologie juridiques), 2002, (p.155-162).

² ينظر: *Terminologies nouvelles*, n° 10, Rint-AFCFB, Bruxelles, 1993.

³ ينظر: Claudia Maria Xatara, La traduction phraséologique, *Meta*, vol. 47, n° 3, (p.441-444).

⁴ ينظر: O. Ducrot, Critères argumentatifs et analyse lexicale, *Revue Langages*, n°142 (Les discours intérieurs au lexique), 2001, (p.22-40), p.36.

⁵ ينظر: علي القاسمي، ألفاظ الحضارة: ماهيتها وأثر توحيدها في تنمية اللّغة العربيّة، *مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة*، ع 9، الجزائر، جوان 2009، (ص 59-85)، ص 61.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 61-71.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

التفريق بين الكلمة واللفظ على أساس أن الكلمة ما هي إلا صورة صوتية مفردة صامتة تتحول إلى لفظٍ حينما تستعمل للدلالة على معنى محدّدٍ لأنّها بذلك تتحول من الصورة إلى الحقيقة الحسية¹. وهو ما يُدعى التحصيل أو التحيين Actualisation وهو ما تفاضل ضمن ما يتعلّق بمنعرج عناية المصطلحيين بالمدونة النصيّة المصطلحيّة. في الحقيقة حتى عندما تُفصح المصطلحيات عن طبيعة المصطلح فهي حينئذٍ مُستكملة لعمل اللسانيات، من غير التغافل عن كون هذه الأخيرة حاولت أكثر من مرّة أن تحتوي موضوع المصطلح وتحيط بشؤونه، ذلك أن موضوعها متعدّد الأبعاد ومطاطيٌّ إلى حدٍّ ما².

هكذا فإذا قصد أيُّ باحثٍ التأمل في المظاهر التقنية الدقيقة لعلاقة المصطلحيات باللسانيات التي تخلو من المضامين الفكرية الكامنة فيها أي بغضّ الطّرف عن المسائل الابدستيمولوجيّة التي لا تزال نثيرها، سيعود - لا غرو - بحصيلة إحصائيّة تُقنّعه بأنّ المصطلحيات تقدّم أكثر من منظور هامٍّ في مشهد الدرس اللساني القائم أساساً على دراسة وقائع اللّغة، وأنّها تُعدّ ميداناً للبحث أصبح مع تدفّق الكتابات المتخصّصة من الضروري الخوض فيه، ولاسيما على مستوى فحص تلك الكتابات فحصاً مصطلحياً مُقنّوناً يطمح بدوره إلى أن يحظى بالتّقنين لئلاّ يظلّ شبه مؤقت ولا يقع خارج الاهتمام العلميّ المسجّلة علامته³. ثمّ إنّ النظرية العامّة للمصطلحات قد سبق لها أن تصدّت - في منحاها المعيارية المُقرّط للأسف - لصبّ ذلك النمط الكتابي في قالب ثنائيّة (مثالية الواقع والمعرفة والتّواصل/ حصر حقل التّطبيق المصطلحي في التّقييس). ذلك لأنّ في تصوّر بعض المصطلحيين المنتصرين دوماً لتلك

¹ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط.6، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص 38.

² يُنظر ما يدعى (إيستيمولوجيّة الطابع التعدّدي للمصطلح): Béatrice Daille, Repérage et extraction de terminologie pour une approche mixte statistique et linguistique, Traitement automatique des langues (TAL), n° 36, 1995, (101 – 118). وكذلك: يوسف قران، في تعدّد أبعاد المصطلح، مجلة اللّغة

العربيّة، ع 29، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2012، (ص 35-76).

³ (مُقنّون = Canalisé) مَصُوغٌ من كلمة (القناة)، ويدلّ على تجميع الجهود وتكثيفها بحيث تسير في اتجاه واحد كأنّها في قناة.

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

النظرية، ليس أفضل من تحقيق نوع من نظامية تسجل توازناً أمام حالة تشتت مجال المصطلحيات، وذلك تبعاً لهمهم التنظيمي المعتاد. إن الاختلاف الجوهرى بين هذه النظرية التي من الطبيعي أن نستفيد منها كثيراً وبين ما سنعتمده في هدفنا الساعي - هو الآخر - على حدّوهم التنظيمي لكلا المجالين في تداخلهما، يكمن في العدة الاختصاصية التي يقتضيها مسعى إدراج المصطلحيات في خدمة اللسانيات. وهي كذلك العدة التي يجري في إطارها الاغتنام من الاختصاصات الضاربة في أعماق قضايا المفهوم والمصطلح من تحليل الخطاب والإعلام الآلي والسيميولوجية والتعليمات، بل حتى الرافد الذي يلجأ إلى علم الاجتماع أو Sociologie de la traduction كما اعتاد المنتبعون لهموم الترجمة أن يسموه¹، مع التذكير دائماً أنّ شؤون المصطلح في العالم العربي تابعة لقضايا الترجمة. وكذلك الشأن بالنسبة للمصطلحيات التي يقول عنها الآن ري: «إن المصطلحيات بوصفها خادمة الاحتياجات الاجتماعية تفرض جهازاً معرفياً يتصل مباشرة بالتفكير الذي لا بد أن ينشغل عن الاهتمامات الخاصة لفائدة تلكم الاحتياجات»². ولكن، على الرغم من تنوع خدمات المصطلحيات، وخاصة في أبعادها الاجتماعية؛ فإنّ البعد الذي يهتماً في خصوص خدماتها لللسانيات هو تحليلها لمفاهيمها وفق ما يدعى المقاربة المفهومية المشار إليها.

2.2.1 المقاربة المفهومية

بعدما فصلنا بين العمل المصطلحي والبحث المصطلحي، نضيف أنّ العمل المصطلحي يقوم على تحديد المفهوم فتميزه تمييزاً اختصاصياً ثمّ تعريفه مقارنةً بغيره من المفاهيم فتصنيفه وفق المجال الذي ينتمي إليه. فنحن هنا في صلب المقاربة المفهومية التي وإن تبدو

¹ ينظر: Jean-Marc Gouanvic, Ethos, éthique et traduction : vers une communauté de destin dans les cultures, TTR : traduction, terminologie, rédaction, vol.14, n°2 (Antoine Berman aujourd'hui Dir Alexis Nouss), Université de Québec, Ed. Les Presses de l'Université de Québec, Québec, 2001, (p.31-47), p.31.

² ينظر: A. Rey, Les fonctions de la terminologie : du social au théorique, in L'ère nouvelle de la terminologie, Ed. OLF, Montréal, 1988, (p.87-108), p.108.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

أنها منصفة تجاه المصطلح (التسمية) بحيث لا تتجاهله، فهي تجعل من المدخل في المعجمات المصطلحية وكذا المصطلحيات (النظرية) لا يتشكل من ذلك المصطلح بل من الموضوع (الواقع) الذي يجري وصفه أو بالأحرى من تمثل الأفراد لمفهومه الراسخ في الأذهان. ويجري تنظيم ذلك كله وفق تعريفات مصطلحية تُعدّ بنى مفاهيمية يمكن صوّرتها ثم حفظها في بنوك المعطيات والرجوع إليها كلما اقتضت الحاجة¹. ويحدّد الباحث الحاج بن مومن وجه تطبيق هذه المقاربة في العمل المصطلحي العربي - ولاسيما في صناعة المصطلح - ضمن النصّ الآتي:

«إنّ المنظور الحديث لوضع المصطلح العلمي والتقني يقتضي: - من جهة، مقارنة مسمياتية (أي أنوميزولوجية) تُعنى بفنّ المصطلح (أو المصطلحيات) وتتعلق هذه العملية من تفحص المفهوم الأجنبي وضبط سماته والإحاطة بعلاقاته بالمفاهيم المجاورة له في نفس الحقل المعرفي (تحديد المحتوى والمحتوى) حتى تتأتّى عملية موضّعه داخل ذلك الحقل. عندئذ يمكن مباشرة عملية تسمية المفهوم الأجنبي حسب ضوابط وضع المصطلحات العربية؛ - ومن جهة أخرى ربط كلّ تسمية مفهوم جديد بشبكة مصطلحية صرفية ودلالية يمثل فيها المصطلح تارة نواة Noyau ou base للوحدة المصطلحية وتارة أخرى امتداداً لتلك النواة [...]»².

وهذا المنظور كما يعرضه الباحث هنا بمقتضياته، يدعّم ما سنكشف عنه لاحقاً من أنّ العمل المصطلحي العربي يطغى عليه المخطّط التقليدي³ الذي يقوم في الغالب على استحضار

¹ ينظر: B. de Bessé, Le contexte terminographique, *Meta*, vol.36, mars 1991, (p.111-120), p.111.
² الحاج بن مومن، استساخ مصطلحي داخل لغات التخصص، ضمن قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية...، ص 29-30.

³ وأسميناه كذلك، وليس المصطلح الرابط لأن التسمية الأخيرة سبقنا إليها محمد مفتاح الذي كرسها في المركب (النص الرابط = كلمات مفاتيح) في مقابل تسمية (Hypertexte). ثم إن وزن (افتعال) هو الأنسب ذلك أنه ينم عن المدلول المقصود وهو التصنع الذي خصصناه بالذم في معرض هذا البحث. أما سبب اختيار صيغة المصدر واسمه وليس صيغة اسم الفاعل أي (المرتبط) فيرجع إلى متطلبات الاستعمال في السياقات اللغوية

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

المصطلح الأجنبي - المستحدث عموماً - لأنه المدخل إلى المفهوم المستقدم والمرجع الذي نشأت من صلبه كلُ التتويجات والاشتقاقات التابعة. لاحظ مثلاً علاقة النسب بين مصطلحي Didactique و Didactologie؛ وكذلك بين Objet و Objectivation؛ وبين Objectif و Objectivité. فبينها علاقات ومسالك تخصّ التسميات وأخرى تتعلّق بالمفاهيم قد لا توازيها تلك الموجودة في اللّغة التي تُقابل فيها المصطلحات ندّاً لنَدّ. لهذا من المهمّ مقارنة التعريفات المصطلحيّة بالحدود الدلاليّة (التحليل التكويني) التي تفيد في توضيح بنية المفاهيم التابعة للمجال المراد دراسته، وذلك عن طريق فسخ المجال أمام العلاقات التابعة عن تعدديّة الاختصاصات، ومنح التكوين للراغبين فيه (الطلبة الجامعيين)، من أجل معرفة بناء التعريفات السليمة. ومن هنا فإنّ المقاربة المفهوميّة تستدعي اعتبار الحقول الدلاليّة. والحال إنّ علاقة التحليل التكويني بتحديد الحقول الدلاليّة تكمن في مراعاة المُحلّل لهذه الأخيرة من أجل التوصل إلى تقييد السمات المشتركة بين مفهومين مثلاً. هذا ما يؤكّده أحمد مختار عمر بقوله: «أولُ خطوة يتخذها الباحث [لتحديد العناصر التكوينية] هي استخلاص مجموعة من المعاني (بصورة مبدئية) تبدو الصلة القويّة بينها بحيث تُشكّل مجالاً دلاليّاً خاصاً نتيجة تقاسمها

التي تتيسر عند المصدر على اسم الفاعل نظراً لقضايا تتعلق بعلاقة الإضافة وعلاقة النعتية ثم إن الرسم الحرفي العربي يخدم صيغة المصدر على صيغة اسم فاعل مشتق من مزيد. ثم إن منطلقات المصطلح الارتباطي محكومة بالمناخ الترجمي. - كما سيأتي شرحه بالتفصيل - والتشديد على انطواء الخطاب اللساني على مصطلحات هو لتجنب التشكيك في ذلك نظراً لما سوف يأتي من تبعية هذا الأخير للسانيات التي أمر توفرها على المصطلحات (العلمية) ظاهر للعيان ولا يحتاج إلى برهان. أما الخطاب اللساني فقد تتمتع جذوته نظراً لكونه يحمل من العموميات وليس متجانس - كما سنلاحظ. وقد دقق إبراهيم السامرائي في هذه المفارقة حينما كان في سياق توضيح مقام "المصطلحيات"، قائلاً: «غلب لفظ (المصطلح) على ما يتصل بالعلوم سواء في ذلك الإنسانية منها والعلوم الصّرفة. غير أنّ هذه (الغلبة) غير صحيحة فالمصطلح اليوم، وفي علم المصطلح الحديث Terminology، هو شيء أوسع من أن نُضيق عليه فنحصره في مفردات العلوم. إنّ علم المصطلح يبحث في مصطلحات العلوم والفنون وما يتصل بشؤون الحياة». ينظر: إبراهيم السامرائي، في شِباب العربيّة، دار الفكر المعاصر (بروت) - دار الفكر (دمشق)، 1990، ص 94.

عناصر تكوينية مشتركة»¹.

ثم إنَّ المصطلح في تقاليد العمل المصطلحي الغربي هو أسيرُ نظامٍ خاصٍّ أي يدلّ وفق علاقات معيّنة وداخل اختلافاتٍ مضبوطة: وهذا ما يساعد على تحقيق تلك البنى المفاهيمية المنشودة. لهذا يسلم أتباع المقاربة المفهومية من أجل تبين المآزق التي قد يؤدي إليها التعامي عن رؤية واقع ذلك الأسر ومخاطره والتغافل عن اعتبار تلك البنى المفاهيمية. وإذا كان التعريف المصطلحي - من جهةٍ أخرى وكما يحدّده رونييه لاغان - «هو تنظيم ذهني لواقع لسانيّ ما»² فلا يمكن التعامي مرّةً أخرى عن واقعه اللغوي أي إنه يحصل ويتحقّق بوساطة اللّغة. فهكذا فقط يتسنّى للعمل المصطلحي العربي أن يحدّر الوقوع في الترجمة الحرفية وفي النقل المباشر على الرغم مما يكلفه ذلك من الوقت والجهد - ولاسيما فيما يخصّ التنسيق. وهو - على كلّ حال - ما صعبٌ دائماً مهام الترجمة الفورية في العالم العربي. ويمكن الانطلاق من المفاهيم أيضاً في مجال اللسانيات والعمد إلى تجلية آفاقها وتجلياتها في مدرسة لسانية ما وفي اتجاه معيّن والنظر في المناقشات التي تمخّضت عن اختلاف الرؤى حول تلك المفاهيم المتشعبة بعضها عن بعض والآلية إلى تراكماتٍ يمكن صبّها في بوتقة مدرسة معيّنة. مع العلم أنّ بعض المفاهيم تكاد تكون لا تختلف من مدرسة إلى أخرى، وإنّما كلّ ما في الأمر هو أنّ هذه الأخيرة بعدما تشكّلت أصبحت في حاجة إلى جهازٍ مصطلحيٍّ من شأنه أن يميّز ما اعتُبر من مفاهيمها الخاصة فيتميّز بذلك الاتجاه. ويمكن في هذا الصدد التمثيل بما حدث لثنائية (اللّغة/الكلام).

3.1 اللّسانيات لفائدة المصطلحيات

إنّنا لا نغفل بالمطلق الوجهة المعاكسة للوجهة السابقة، على الرغم من كلّ النقائص التي اكتتفت هذه الوجهة في ظلّ الدراسات العربية كما رأينا أثناء تشخيص الوضعيّة، أي على

¹ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط 5، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 122.

² R. Lagane, Problèmes de définition : le sujet, Langue française, vol.1-n°1, 1969, (p.58-62), p.58.

..... المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

تحليلنا هذا أن يرضى بحقيقة كونه مشروطاً بمراعاة الخدمات اللسانية لفائدة المصطلحيات¹. وإن كانت هذه الوجهة قد استوعبتها دراسات نرى أنها كافية لكي ننصرف عنها مؤقتاً فننصف أهلها. زيادةً على ذلك، فهي مطروقة في عدة مجالات تتصل بموضوعنا كأن يبحث دارسٌ ما في فضل اللسانيات على الترجمة²، بل حركة الترجمة في سياق العالم العربي³. وكذلك سلكت هذه الوجهة من باب تبيان حلفاء اللسانيات كالإعلام الآلي والإحصائيات ومجال تحليل الخطاب وغير ذلك⁴. كما تقدّمت دراساتٌ بتحليلاتٍ مجهرية ترنو إلى إبراز المعالم اللسانية لوجود المصطلح ضمن الجملة⁵. ولا يمكن أيضاً أن نتجاهل بعض المحاولات العربية المنصبة على إظهار فضل اللسانيات في دراسة المصطلح اللساني ذاته - أخذاً بعين الاعتبار كل ما رأيناه في المدخل من آيات النقص في هذه الناحية - نذكر على سبيل المثال محاولة محمد قدور المنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق حيث تناول فيها ثلاثة محاور تتمّ كلها على الرغبة في التطوير والتطبيق معاً، وهي الآتية: 1. تمهيد في تاريخ اللسانيات، 2. مستويات الدرس اللساني وفروعه، 3. المصطلح اللساني ومشكلاته⁶.

¹ وقد طرق هذه الوجهة دارسون على غرار: Christine Portelance, *Fondements linguistiques de la terminologie*, vol. 36, n° 1, (p.64-70). كما يشهد على ذلك أيضاً عنوان لويك ديبيرك الفرعي:

1.1.3 Interrelations entre terminologie et linguistique (p.19-18) حيث يضع العلاقة المتداخلة بصيغة

الجمع (العلاقات). يُنظر: L. Depecker, *Entre signe et concept : élément de terminologie générale ...*, p.19.

² أفضل مؤلف تصدّى لهذه القضية: H. Chuquet et M. Paillard, *Approche linguistique des problèmes de traduction*, Ed. Orphrys, Paris, 1989. كما كان لجورج مونان فضلُ سبق إلى الزاوية اللسانية في حلّ

المشكلات الترجمة؛ يُنظر: Georges Mounin, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Ed. Gallimard, Paris, 1963.

³ كما تعرّض إليه مقال: Jarjoura Hardane, *La linguistique dans la formation des traducteurs arabes*, *Meta*, vol. 50, n° 1, (p.137-144).

⁴ C. Ouellon, *La linguistique et l'informatique, des alliées*, *Meta*, vol. 34, n° 3, 1989, (p.552-557).

⁵ Jacques Boissy, *Pour une analyse linguistique des termes dans la phrase*, *Terminologies nouvelles*, n° 14, décembre 1995, (p.43-46).

⁶ ينظر: محمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م. 81 / ج. 4.

بيد أن ما ينبغي تأكيده في هذا السياق حقاً هو أن إخراج المصطلحيات من حيز اللسانيات بغرض التمييز لم يعد أمراً ضرورياً وملحاً كما كان في الماضي؛ بل إن استعجال ذلك الإخراج في شبه عناد - لبعض المقتضيات المذكورة آنفاً على عجلة¹ - أعقب قصوراً في البحث المصطلحي وعجزاً في عمله لا مثيل له ولا يمكن رتقه من غير استرجاع المصطلحيات حقها في اللسانيات وحقها منها. وتعود استحالة الفصل بين اللسانيات والمصطلحيات إلى كون هذه الأخيرة لا تزال تشع في أولويات مشوارها دراسة المصطلحات اللسانية والعلاقات القائمة بينها، ووسائل وضعها وتوليدها، وكيفية دمجها في بنية العلم الذي تنتمي إليه. وهذا النوع من الدراسة يقع في صلب علم متن اللغة (بما فيه من المعجميات) وعلم التأثيل الذي يتتبع تطور دلالات الألفاظ وتغير صياغاتها عبر الزمن، وهما من مجالات اللسانيات.

1.3.1 عودة المصطلحيات إلى اللسانيات:

لقد غرقت المصطلحيات في مرحلة معينة من نشاطها في التزامات متعالية أسستها النظرية الكلاسيكية فأنستها مشوارها اللغوي (اللساني) الذي يبدو أن فيشتر قد سطره في برنامجه النظري والعملي معاً، حتى إن اللسانيات لم تفكر بدورها في أن توجه إليها إنذار الالتزام بذلك المشوار إلا بعد مرور عدة عقود من الزمن وإلى أن بدت بعض أعراض اليأس. فما أعقب هذا اليأس من تصور سبل التعاون بين هذه اللسانيات وتلك المصطلحيات والحلم الذي كان يمكن أن يراود هذه الأخيرة، هو بعض ما تهيأ لنا من البحث فيه هنا تحت عنوان عودة المصطلحيات إلى اللسانيات. بيد أنه تجدر الإشارة إلى أن إيهيم التوجيدي هو من بين العوامل الأساسية التي أخرت تدخل اللسانيات في شؤون المصطلح. وعلى الرغم من أن هذه الأخيرة قد أجرت على ذلك الهم فحصاً مستقصياً شيئاً ما في إطار السياسات اللغوية²، فإن هذا لم يمنع

¹ M.-T. Cabré, Sur la représentation mentale des concepts : base pour une tentative de modélisation, in Le sens en terminologie (Dir Henri Béjoint et Philippe Thoiron), Ed. Presses Universitaires de Lyon (France), 2000, (p.20-31), p.20-21.

² ينظر: لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر: 2009، منشورات الاختلاف، ص

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

جورج مونان - خلال الستينيات من القرن الماضي (1963) - من أن يؤخذ مصطلحيات فيشتر على تلك الدلالية الاصطناعية (La sémantique artificielle) التي طبعت آلة وضع المصطلحات من دون أدنى إمكانية على وصف ولو مصطلح واحد وصفاً لسانياً، وكذا محدوديّة إجرائيّة تلك الآلة المحصورة في العلوم الفيزيائيّة والطبيعيّة¹.

وهكذا كان ينبغي انتظار بزوغ عقد الثمانينيات من القرن نفسه - تاريخ صدور كتاب روتيسلاف كوكوريك - لكي تتأكد إمكانية دراسة المصطلحات دراسة لسانية². فيتّضح بذلك مقام المصطلح كدليل لغوي وتُدرس كذلك - في ضوء هذا المقام نفسه - العلاقة بين هذا الأخير (الدليل اللغوي) وبين المرجع: وهذا ما يضطرّ كثيراً من اللسانيين إلى مراجعة نظرتهم إلى ازدواجيّة الدليل اللغوي ذاتها. هكذا حدث **المنعطف اللساني** في الدرس المصطلحي بالنزوع إلى إحياء اللسانيات نظراً لفضلها كأداة واصفة. وهو ما كانت *النظرية العامة للمصطلحيات* قد عطّلته حقبة طويلة من الزمن على الرغم من إدراج الجانب اللساني في برنامجها، حيث سعى المصطلحيون المؤسسون إلى الانفصال عن البحث اللساني الذي أخذ ينضح أهمية بتزامن مع مساعي أولئك المصطلحيين الرامية إلى تأسيس علمهم. ولا ننسى قيام حلقة براغ اللسانية وحلقة فينا الفلسفية متزامنتين تقريباً، في بدايات ذات العقد الثالث من القرن العشرين للميلاد بتفاوت بسيط، ولدواعٍ مختلفة. لا نحتاج إلى كثير من التعليل لملامسة الخيط الرابط بين اجتهادات فيشتر كمؤسس لمدرسة فينا المصطلحية وتفكير الفلاسفة في معايير تتجاوز عراقيل قائمة على درب دراسة المعنى. هذا بالضبط ما استدعى عند المصطلحيين اللسانيين التفكير في إعادة النظر في مصطلحيات فيشتر من غير الوقوع في جحودٍ مطلق لأعمال هذا الأخير. إن **المدخل الدلالي** الذي أغرى المصطلحيين والفلاسفة معاً في ظلّ مدرسة (وحلقة) فينا لا يتنافى مع المقاربة اللسانية. هذا، مع العلم أنّ ما يدعى *علم الدلالة*

¹ ينظر: G. Mounin, *Clefs pour la sémantique*, Ed. Seghers, Paris, 1972, p.42-44.

² ينظر: R. Kocourek, *La langue française de la technique et de la science : vers une linguistique de la langue savante*, présentation d'Alain Rey, 2^e éd. Oscar Brandstetter, 1991 [1982].

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

التأويلي (Sémantique interprétative) أقرب الفروع اللسانية إلى المصطلحيات¹. بل جاءت مثل هذه التفاصيل التي كانت واهنة في عهد المصطلحيات الكلاسيكية والمتعلقة بالتفريق مثلاً بين التقييس والتوحيد - وقد أشرنا إلى ذلك. هكذا صار الأمرُ مع ما سمحت به تلك السياسات اللغوية أن يتبين أن التقييس - على خلاف التوحيد - لا يرمي إلى الحدّ من التتوعات اللغوية والقضاء على كلّ أشكال التتويع في اللغة بقدر ما تهدف إلى تضيق الخناق على حالات المنافسة الشكّلية لأنّ هذه الأخيرة هي غالباً لا وظيفيّة ومصدر الإبهام والغموض. وما من شكّ في أنّ المصطلحيات بمفهومها الحديث، وإذ هي على أهبة العودة إلى أحضان اللسانيات في أبعادها المعجميّة والدلاليّة والنصيّة بالأساس، توشك أن تُوجد سنداً كفيلاً بها لم تكن تحلم به بالأمس القريب: وهذا ما أدّى إلى بروز دراسات مصطلحيّة تولي عنايةً قصوى لدلالة المصطلح وأشكاله، وسياقاته داخل النصّ العلمي راصدةً للقرائن اللغويّة الصرفيّة والتركيبية الخالصة، ولأبعاده الاجتماعية والتداولية: فرضت نفسها مقارنةً موسومةً بـ *المقاربة اللسانية النصيّة*². ومن المعروف أنّ كثيراً من اللسانيين والمصطلحيين قد بحثوا في تعريف المصطلحات انطلاقاً من *المصطلحيات النظرية*. فهذا برونو ديبيسي يحدّد المصطلح بوصفه « وحدة دالة تعيّن مفهوماً محدّداً بطريقة أحادية داخل حقلٍ ما. يتكوّن المصطلح من كلمة (مصطلح بسيط) أو عدّة كلمات (مصطلح مركّب) »³. بيد أنّ مثل هذه (الجدران المصطنعة) التي سدّت بها *المصطلحيات الكلاسيكية* الطريق أمام التتويع، قد أُلقت بظلالها على الهوية اللغويّة اللسانية التي يحملها المصطلح في أصله التأهيلي (نتاج استعمال ملموس للغة في موقف تواصلٍ متخصص)، ويطمح إليها في فرعه الترجمي (استحضار العناصر اللغويّة

¹ ينظر: François Rastier, *Sémantique interprétative*, Ed. PUF (Coll. Formes sémiotiques), Paris, 1987.

² ينظر: Youcef Mokrane, Un modèle d'analyse de la terminologie juridique : approche linguistique & textuelle, *AL-MUTARĠIM*, Revue de Laboratoire « Didactique de la traduction & Multilinguisme », Université d'Oran, Ed. Dar El Gharb.

³ B. de Bessé, *Cours de terminologie*, Ed. ETI Université de Genève, 1992, p.75.

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

المتحكم في أصل وضعه)؛ كما قدّمت المصطلح كأنه علامة محصنة شفرة ترنو إلى تصعيد الأسئلة حولها. وإنّ تلك الجدران قد أعقبت مواقف حادة وبائسة من مقاربة المصطلح لسانيا. هذا، مع العلم أنّ تلك الهوية اللغوية (التسمية) من شأنها أن تتسلّم العلوم - على يدها - مفاتيح تلك الشفرة أجوبة عن تلك الأسئلة المصعّدة وأن تُعطي صكاً مفتوحاً للمفاهيم العلمية لكي تنتشر انتشاراً حرّاً بصرف النظر عن الحدود اللغوية. من هنا انتقل - أو عاد - الاهتمام بحدّ المصطلح من المصطلحيات إلى اللسانيات، وأعاد فتح هذا المجال لمصطلحيّون أنفسهم¹. وهم يقرّون دائماً - وعلى الرغم من ذلك - أنّ انبثاق المصطلحات في كنف التفاعلات الجارية بين العلماء والتقنيين والصناعيين لا تختلط ولا تتقاطع دائماً مع الخلق التأثيلي والاشتقائي ولا مع التطوّرات الصوريّة للكلمات (المصطلحات)². لكن يبقى عمل اللساني متمحوراً حول هذه الأخيرة أي العلاقات والأشكال، ذلك أنّ مثل المهمة التي تتولاها اللسانيات كمثّل ما تقوم به الرياضيات، فإنّ معرفة الموضوع الرياضي لا تتصل بالخاصيات التي يمكن عزلها عند كائن بقدر ما ترتبط بالخصائص الصوريّة المتعلّق بنظام قائم يجب استكشافه³.

فالقول بدفع اللسانيات لحركة المصطلحيات هو إذن مجال البحث المصطلحي اللساني بامتياز. سيجد القارئ، على مدى هذا المقال، ذكراً لكوكبة من باحثين عملوا أيضاً على المصارحة بهذا البعد التكاملي وتجليته وتعزيزه، هم كلّ من: خوان كارلوس ساجر وماريا تريزا كابري وفرنسوا غودان. ولقد حولت مراجعة كلّ من هؤلاء مركز الاهتمام من

¹ حيث يعرض ساجر في الفصل المعنون بـ The Linguistic Dimension الخاصيات الشكلية للمصطلحات المصوغة بالإنجليزية؛ يُنظر: Juan Carlos Sager, A practical course in terminology processing, Ed. Christine Portelance, Fondements John Benjamins, Amsterdam /Philadelphia, 1990. linguistiques de la terminologie, Meta, vol.36, n°1 (La terminologie dans le monde : orientations et recherches), Département de linguistique et de traduction, Université de Montréal, Ed. Les Presses de l'Université de Montréal, Québec, mars 1991, (p.64-70), p.66.

² Yves Gambier, Travail et vocabulaire spécialisés : prolégomènes à une socio-terminologie, Meta, vol.36, n°1, (p.08-15), p.09.

³ ينظر: Gilles-Gaston Granger, Pensée formelle et science de l'homme, 2^e éd. Aubier, 1967, Paris, p.03.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

المعيارية إلى الوصفية تماماً كما حدث للمنعرج اللساني الذي خلفته الانتقادات الموجّهة للمعيارية النحوية والتصور المقارن والتوجه التاريخي الطّاعي¹. إذ تمكّن فرنسوا غودان على الخصوص، من فرض فرع المصطلحيات الاجتماعية Socioterminologie في ساحة الدراسات المصطلحية متأثراً باللسانيات الاجتماعية². وهو منحى في الدراسة ينمّ على المبالاة بالتنوّعات وتعهدّها بمزيد من الوصف: لهذا تشكّل ملتقى طرق بين ثلاثة اختصاصات هي اللسانيات الاجتماعية والمصطلحيات وتحليل الخطاب. هذا، وإن كان الهمّ التعاقبي أشدّ ما استرجع مكانته قد جرى في ظلّ هذا الفرع من المصطلحيات بعدما حصرتّه النظريّة المصطلحية العامّة في التحليل التزامني الذي على الرغم من ذلك يعدّ تمهيداً لأيّ نظرية بديلة قد تلوح في الأفق. وقد أخطأ مَنْ ظنّ أنّ التعاقبية قد عفا عنها الزمن بل نشهد في أيامنا مراجعات تكاد تقلّب رأساً كثيراً ممّا أصبح من الدّرس اللساني الثابت على إثر ترسيخ دروس دي سوسير كنقدّم التزامنية على التعاقبية، إنّ هذا الأخير لم يقل بهذا أو قد أسيء فهمه³.

2.3.1 تعليمية المصطلحيات:

إنّه كثيراً ما بدت زاوية تعليمية المصطلحيات هامشية في أعين بعض الباحثين. وهو ما يرجع - من جهة - إلى الفردية المستشرية. والحال إنّ من المعروف أنّ مهمّة التعليم لا يمكن

¹ يُنظر مراجع هؤلاء الثلاثة:

* J.-C. Sager, A practical course in terminology processing, Ed. John Benjamins, Amsterdam /Philadelphia, 1990.

* M.-T. Cabré, La terminologie : théorie, méthode et application, Trad. du catalan par Monique C. Cormier et John Humbley, P. U. Ottawa / Armand Colin, Paris, 1998.

* F. Gaudin, Socioterminologie : Une approche sociolinguistique de la terminologie, Ed. Duculot, Bruxelles, 2003.

² يُنظر المادة المخصّصة لمدخل (مصطلح) Socioterminologie : Dictionnaire de Jean Dubois & alii, linguistique et des sciences du langage, Librairie Larousse-Bordas, Paris, 1999, p.436. علماً أنّ

فرنسوا غودان بعدّ أحد الخبراء الذين شاركوا في إعداد هذا القاموس.

³ Imen Lafhaj, Diachronie et temporalité en structuralisme saussurien, Les Annales de l'Université d'Alger, n° 17 - t.2, Alger, 2007, (p.87-109), p.87.

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

النهوضُ بها بدون الاعتداد بروح التعاون. ويرجع - من جهة أخرى - إلى إنيهاك الباحثين (المنعزلين) في التوحيد المصطلحي متناسين مهام التعليم والتكوين - والذين إذا شاء القدرُ أن يجتمعوا حول شيءٍ فلا ريبَ حولَ هذه الأخيرة. لذا، فحان الأوان أن يُنظرَ إلى تعليمية المصطلحيات بعينٍ رقيقة انطلاقاً من أرضيةٍ سرعانَ ما جسَّ نبضها باحثون نبهاء، في سبيل تنظيم شؤونها في رحاب ما يُدعى التهيئة اللغوية والتعليمية *Aménagement linguistique et didactique*، وكذا التهيئة اللغوية والمصطلحية، واستجابةً للدعوات المتكررة لدى جميع المصطلحيين تقريباً، والمطبّقين كذلك¹. وإنَّ الهمَّ الجليل الذي يحدونا بدورنا على مراعاة هذا المجال دائماً هو بناء تصوّرٍ مفهوميٍّ تعليميٍّ قابلٍ للتناول والتطبيق في حقل المصطلحيات. ذلك أن تعليم المصطلحيات لا يزال يُقام به من قبيل محاولاتٍ فرديةٍ مغبونة ومن قبل أشخاص يستحقّون كلَّ الشاء على طلباتهم الملحة في كلِّ مناسبة بأن يتحسَّن وضعُ المصطلحيات عالمياً وعربياً ولا طريقة أفضل لذلك، حسبهم، من تعليمها².

بيدَ أنه قليلاً ما لوحظ شخوصُ الأنظار نحو ذلك التعليم لتأديته بهاجسٍ منهجيٍّ ونقديٍّ - وإن كان من الأجدر أن تُستثنى من ذلك الخطوة الجريئة التي خطتها الدورية البلجيكية *Terminologies nouvelles* بتخصيصها عدداً قائماً لقضايا المصطلحيات والتكوين³. لهذا،

¹ محمد العياشي صاري، المصطلح اللساني العربي الحديث من التأسيس إلى التدريس، مجلة الخطاب الثقافي، ع 3 (شجون الخطاب التعليمي)، جمعية اللّهجات والتراث الشعبي، جامعة الملك سعود، الرياض، خريف 2008، (ص 28-56).

² ينظر: Caroline de Schaetzen, Psycholinguistique du mot et enseignement d'une terminologie en langue seconde, in *La Tribune internationale des langues vivantes*, n°19, mai, 1996, (p.41-46). وكذا: محمد العياشي صاري، المرجع السابق، (ص 28-56).

³ يُنظر كلَّ الأعمال المنشورة في: *Terminologies nouvelles*, n° 17 (Terminologie & formation Dir Marc Van Campenhoudt), Rint-AFCFB, Bruxelles, Décembre 1997. من حيث ننقي مجدداً مقالاً

آخر ل: Caroline de Schaetzen, L'enseignement de la terminotique : spécificités et contraintes, *Terminologies nouvelles*, n° 17 (Terminologie & formation Dir Marc Van Campenhoudt), Rint-AFCFB, Bruxelles, Décembre 1997, (p.14-26), (p.14-26).

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

فالأطروحة التي نستعرضها تدريجياً في بحثنا تقوم على استنفار دور الدرس المصطلحي باعتبار المهمة التي يتناصفها مع نظيره (اللسانيات) نظراً لصلتهما التاريخية العميقة والحميمة. تلك الصلة التي شدّ ما عزّزها النزوع المبكر إلى تعليم الدرس اللساني. علماً أنّ هذا التعليم غالباً ما استقرّ القائمين على وصف اللغة - لاعتبارات تقادي المعيارية - وذلك بعدما كاد بعضهم أن يغرق في مجرد طرح إشكاليات البحث لولا استفادة الدرس اللساني كثيراً من وحي بعض اللسانيين بضرورة التمييز بين اللغة الواصفة بوصفها أداة توصيل المعرفة اللسانية، وبين اللغة الموصوفة (الطبيعية) كأداة تواصل وموضوع الدراسة. وكذا من جراء استشعار الفروق الدقيقة بين اللسانيات والخطاب اللساني مع تقدير صفة التلازم السائدة بينهما في التفكير اللساني العربي على الخصوص. وقد سبق النحاة والأصوليون إلى هذا الصنيع منذ أمدٍ خلت، ولاسيما في ظلّ اهتمامهم بالتعليل حيث استقرّ المصطلح استقراراً خالصاً¹: فأضحى من الممكن أيضاً أنّ اللسانيين قد استفادوا من خبرات هؤلاء في موضوع التقريق بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة، لأغراض ليست وصفية استقرائية فحسب بل تعليمية تكوينية أيضاً²، علماً أنّ النحو التعليمي حقيقة قائمة لا مجال لدحضها³.

لقد حان الأوان أن تُبعث تلك الخبرات كرهة أخرى في ظلّ المصطلحيات. ولاسيما إذا علمنا أنّ اللسانيات اهتمّت - من جانب آخر - بالخطاب البيداغوجي نفسه فصار لها موضوعاً منشوداً إذ تحاول أن تتفهم بنيته ووظائفه⁴. سيكتشف لنا عن قريب أنّ هذه الدعوة (تعليمية المصطلحيات) ليست بمثل هذه البساطة الأولية التي تبدو عليها، ولاسيما حينما نتعرّف الكمّ

¹ ينظر: أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، ط.3، دار النفائس، بيروت، 1979، ص 64.

² ينظر: بلقاسم بلعرج، ظاهرة تعليل الألفاظ، اللسان العربي، ع 48، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2000، (ص 31-39).

³ ينظر: محمد إبراهيم عبادة، النحو التعليمي في التراث العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص 37.

⁴ ينظر: Claude Desirat et Tristan Horde, Formation des discours pédagogiques, *Langages*, n°45, (Formation des discours pédagogiques), 1977, (p.03-08).

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

المعتبر الذي يُخصَّص لها سنوياً من الملتقيات والأيام الدراسية المخصصة لغرض دراستها عن قرب، وكذا عدد الأطروحات والمذكرات الأكاديمية التي أخذت تتناولها بالدراسة، وما يقع من التفكير والبحث في شأنها حالياً، خاصة في رحاب المصطلحيات المزدهرة بمختبراتها الجامعية المتنوعة. هذا، وإذا لوحظ غلبة النزعة الاقتراحية على بعض المبادرات العربية فقد تمثلت آخر المراحل التي تطوّرت خلالها الوجهة التعليمية المتعلقة بالدرس المصطلحي على المستوى الأوروبي، في ظهور مصطلح (Terminodidactique)¹ ظهوراً جلياً حتى تتمظهر في ضوءه آفاق التمرين على تفكيك الشفرات التي تقوم عليها الخطابات الخاصة (المهنية عموماً ولاسيما القانونية والاقتصادية والتجارية). وذلك لمقاربتها بيداغوجياً في سبيل تيسير تعليم نماذج منها للمبتدئين العازمين على ممارسة مهنة المحاماة والتسيير والتسويق مثلاً². وكذا ما يقع في هذا الاتجاه بتسخير ما تُجهّزه المصطلحيات بانطلاقها من المدونة وتُعدّه من الاستعمالات الجاهزة وتستحصّره من الاصطلاحات والاستعارات والعبارات المسكوكة والمتلازمة وتحليل السياقات الاصطلاحية المختلفة بغرض تذليل بعض الصعوبات التي كانت تُعنى بها تعليمية اللغات أول الأمر³.

وعلى أية حال، فإن كافة النتائج التي من المنتظر أن تفرغ إليها المصطلحيات وهي تلخد إلى دراسة لغة الاختصاص فهي تُعدّ - من عدة جوانب - تحصيل حاصل الاهتمام المرتكز على تعليم (لغات) الاختصاص تلك. لذا تنصّ أطروحتنا من جانب آخر على استحسان النظر إلى المصطلحيات على أنها، أولاً وقبل كل شيء، دراسة للغة التي وإن يكن من المتوقع أيضاً

¹ يُنظر سياق ورود هذا المصطلح في: Manuel Célio Conceição, Concepts et dénominations : reformulations et description lexicographique d'apprentissage, *ELA*, n°135, Ed. Klincksieck-Didier érudition, Paris, juillet-septembre 2004, (p.371-380), p.371.

² يُنظر على سبيل المثال التوصيات التي انتهى إليها هذا الكتاب: P. Lerat, *Décrypter le langage juridique* : *vocabulaire du juriste débutant*, Ed. Ellipses, Paris, 2007, p.230-254.

³ لمزيد من المعلومات يُنزل مثلاً على: Mojca Pecman, « Les apports possibles de la phraséologie à la didactique des langues étrangères », *Alsic*, Vol. 8, n° 2 | 2005, [En ligne], mis en ligne le 15 décembre 2005. URL : <http://alsic.revues.org/index334.html>. Consulté le 25 mars 2007.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

أن تبدو - في حدود ما - على أنها (نوعية)، فينبغي مواصلة استقراء سننها - لأجل ذلك بالذات - وفهم طبيعتها والتنوّع بتطوراتها وفق منهج المصطلحيّات الخاصّ هذه المرة¹. وذلك لكي يتسنى لهذه الأخيرة أن تتعدّى - في طبيعتها الحديثة المنقّحة - ما توعّده في نسختها القديمة المرسّخة، من الاضطلاع بقواعد التّميّط المفهومي ومعايير التّوحيد المصطلحيّ، التي طالما أثّرت بإسهابٍ منذ ما مكنّ يوجين فيشر للفروض الشكليّة - في الثلاثينيات من القرن العشرين وبفضل نزعتة المنطقيّة الصارمة والمعروفة - من أن تتحكّم في المصطلح في جميع أبعاده الصوريّة والدلاليّة والمعرفيّة والتواصلية والموجوديّة *Ontologiques*؛ مروراً بمعالجة الصلات بين التسميات وشيءٍ من تاريخها وتحصيلاتها الآنية وبين هذه الأخيرة والأشياء التي تحيل عليها. وذلك من غير الوقوع في جحود فضل تلك القواعد والمعايير والفروض الشكليّة التي قدّمت من ذلك العهد بل ترسّمت على شكل توصياتٍ عالميّة (ISO) وذلك على الأقلّ في تقويم مسار النقلة الكتابيّة وتوجيه اهتمام المصطلحي نحو التكوين في ممارسة الكتابة (العلميّة). فلنقلّ إنّ هذا بمثابة تطويع الحدود - بل فتحها - من جهة بين المصطلحيات الحديثة والمصطلحيات الكلاسيكيّة؛ ومن جهة أخرى - بين كلّ اللّغات؛ ومن جهة ثالثة - بين اللّغة الطبيعيّة واللّغات الواصفة. وذلك بطبيعة الحال عن طريق ثلاث وسائل كبرى ازدادت أهميّتها في غرة القرن الواحد والعشرين وأكثر من أيّ وقتٍ مضى، هي: 1. تعلّم اللّغات (بما فيها من لغات الاختصاصات) 2. الترجمة (بين اللّغات لكسر حاجز المفهمة الخاصّة والتسمية النوعيّة) 3. خلق مجازاتٍ (بين اللّغة العادية واللّغة المتخصّصة). وكلّها وسائل مثاليّة تحفل بها أيّ لغة داخلياً بفعل التطوّر اللّغوي، كما يُحفّل بها خارجياً بوساطة السياسات اللّغويّة الجادّة².

¹ لقد أوضحنا بدقّة متى يسلم اللّجوء إلى الوجهة التاريخيّة - من جهة - والاستشراقيّة - من جهة أخرى، ولاسيما على مستوى المباحث التي تناولت التوليد المصطلحي. ينظر: يوسف قران، المصطلح اللّساني العربي بين التّوليد والتّوحيد (1)، مصطلحيّات (دورية متخصّصة في قضايا المصطلح)، عدد مزدوج: 3/2، فاس (المغرب)، نوفمبر 2012، (ص 41-66).

² عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللّساني العربي، الدار البيضاء: 1998، دار توبقال

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

والواسطة الأخيرة تنطبق على كل اللغات التي يُكثَرَت بمصيرها كما حصل للغة الفرنسية مثلاً أن احتملت تعديلات عدّة في ظلّ التخطيط اللغويّ فيما يخصّ تأنيث أسماء الحرف التي كان لها صيغة جامدة من حيث النوع (المذكر فقط). فَصَدَّق الأكاديميون على قياسات لم تكن مُستعملة¹.

والحالُ إنّه لم يعد يكفي استظهار خصائص المصطلحات إثر مقارنتها بألفاظ اللغة العامّة، لتفسير الملكة اللغويّة للمتحدثين الذين تشبّعوا بالمعرفة المتخصصة، فصاروا بالتالي مختصين². فهذا يشير إبرير أصبح يحيل في ضوء تعليميّة الخطاب العلمي على ثلاثة أنواع من الملكات التي تتضافر عنده لمقاربة هذا النوع من الخطاب، هي: الملكة التقنيّة والملكة التنظيميّة إلى جانب الملكة اللسانية³. صحيح أنّه من أجل فهم ألباز المصطلح يحسن إرجاعه أولاً إلى مصدره اللغوي، لأنّه ليس أفضل في نظرنا من وضع المصطلح في محكّ مع الدليل اللغوي، وذلك لتفهّم معالم هذا المصدر الذي ما انفكّ كثيرٌ من الباحثين يتحدّثون في إطاره عن تأصيل المصطلح، وهو صنيعٌ لا يقلّ حكمةً ولكنّه لا يقدّم شيئاً كثيراً فيما يخصّ المسائل التي

للنشر، ص 138.

¹ ينظر: P. Lerat, Op. cit., p.30-33.

² ينظر مثلاً: الطاهر ميلة، مصطلحات الرياضيات في التعليم المتوسط والثانوي بالجزائر، رسالة لنيل درجة ماجستير، مقدّمة لمعهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1985، ص 30-4242، حيث خصّص 13 صفحة من أجل إبراز الفرق بين المصطلحات وبين الألفاظ العامّة، باعتباره الموضوع الأساسي للبحث المصطلحي. وقد ارتكز في ذلك على: Louis Guilbert, La spécificité du terme scientifique et technique, Langue française, vol.17, 1973, (p.05-17). ويهتمّ بالمولد اللغوي، ويدرس المظاهر التي تتجلّى في وقت محدّد من تطوّر معجم لغة ما. ينظر: M. -T. Cabré, La terminologie : Théorie, méthode et application, p.252. يُنظر: يوسف قران، المصطلح

اللساني المترجم، ص 97.

³ ينظر: بشير إبرير، الخطاب العلمي وبعض خصوصياته: رؤيا تعليميّة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة، ع 6، الجزائر، ديسمبر 2007، (ص 201-246)، ص 218-224.

يرونها أنها هامشية. ثم إن جعل المصطلح يدور في فلك الدليل اللغوي، قد عمل كذلك أناسٌ على مستوى الدرس المعجمي بشقيه النظري والتطبيقي¹ وآخرون في علم الدلالة وهم كثيرون. بيد أنه، في مقابل ذلك، ينبغي لنا ذكر ما يروجه بعضُ الباحثين العاملين كل من زوايته الخاصة، من إن المصطلح يمثل عالماً مجرداً أو محسوساً لا يمكن تحليله بمعزل عن ذلك العالم. لعل الخروج إلى هذا العالم المحيط من الضرورة بمكان حتى أن أكثر اللسانيين اقتناعاً بلغوية المصطلح في إطار اهتمامه بما يتسمّى لدى فئة من الدارسين العرب الخطاب العلمي، لا يفتأ يستدرجنا إلى تلك الضرورة القسرية تحت ذرائع مختلفة، وعناصر هي في حد ذاتها من استخراج اللسانيين²، كأن يرى عبد القادر الفاسي الفهري أن «الخطاب العلمي – كغيره من الخطابات – يتحدّد تبعاً للمخاطب والمخاطب ووضع الخطاب»³.

فهكذا يسهل ملاحظة كيف أنه مال عن الجوهر اللساني للمصطلح المشكّل بدوره لجوهر ما يدعوه هو الآخر الخطاب العلمي، قبل ذكر الوضع (Code)، إلى جانب المخاطب والمخاطب. وهما عنصران خارجيان. وليس هذا فحسب بل واصل وصفه قائلاً: «إلا أن الخطاب العلمي – في جوهره – خطاب نظري يمكن تصوّره كبنية تفسيرية تربط عدداً من الظواهر بعددٍ من المفاهيم والمسلمات والمبادئ عن طريق جهازٍ استنتاجي أو أكسيومية»⁴. وإذ يُدخل فكرة (المجال) يرى أن البنية التفسيرية التي يعينها تتحدّد بصفة أدقّ بالنظر إلى ثلاثة مجالات هي: مجال البحث ومجال التفسير ومجال الاحتجاج⁵. وكان قد برّر بطريقة غير مباشرة شبه

¹ ينظر: Aino Niklas-Salminen, *La lexicologie*. Ed. Armand Colin / Masson, Paris, 1997, p.07-13.

² من المعروف أن العناصر اللغوية قد ضبطها رومان ياكسون من الزاوية اللسانية وزاد عليها تحديد الوظائف اللغوية. يُنظر مثلاً: Roman Jakobson, *Essais de linguistique générale : Les Fondations du langage*, T.1, Trad. de l'Anglais par Nicolas Ruwet, Ed. Minuit, Paris, 1963, p.213-214.

³ عبد القادر الفاسي الفهري، عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، ضمن المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ط 2، الدار البيضاء: 1993، دار توبقال للنشر، (ص 43-63)، ص 43.

⁴ المرجع نفسه، ص 43.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 43.

.....المصطلحيات واللسانيات في علاقة تبادل الخدمات

انفصال تلك البنية عن اللغة تحت دواعي ما أسماه أنطولوجيا الخطاب، حيث يقول: «وتمثل [البنية التفسيرية] مجموعة الذوات التي تقدّم بواسطتها التفسيرات والتي لا يمكن استخلاصها من ذوات أخرى في البنية الاستنتاجية أنطولوجيا الخطاب»¹. ثم يشرح هو الآخر تضافر المجالات على هذه الشاكلة: «فمجال بحث الخطاب تحدّد مفاهيم ذلك الخطاب، وهذه المفاهيم تخصّص مجموعة من الظواهر. ومجال التفسير مجموعة فرعية من الظواهر تنتمي إلى مجال البحث (ويشمل ذلك كلّ الظواهر التي تنتمي إلى مجال البحث). ومجال الاحتجاج مجموعة ظواهر تُبطل أو تزكّي التفسيرات المقترحة»². لذلك يربط تعدّد الخطاب العلمي ونسبيته وخصوصيته وظرفيته، باعتبار إمكان تعدّد مجالات التفسير والبحث والاحتجاج وإمكان اختلاف وضع الخطاب فضاءً وزمناً، وكذلك بالنظر إلى الاستنتاج الملازم لخطاب معين³. وقد اهتمّ العديد من الدارسين الغربيين بتحديد محاور الدرس المصطلحي في رحاب الجامعات والمعاهد العليا. فجعلوا من أهمّ موضوعاته: التوثيق ورسم قواعد تحرير الجاذة المصطلحية، والجرد والتصنيف المصطلحيين، وتحديد خصائص التعريف المصطلحي، والتقييس المصطلحي⁴. وهذا ما يصرّح به محمود فهمي حجازي فيما يأتي:

«هناك وعي متزايد بأهمية إعطاء المصطلحات مكاناً في برامج التعليم والتكوين المهني، يكون التركيز على المفاهيم والمصطلحات في داخل الفرع العلمي مع الاهتمام بعلاقاتها وبالفروق الكامنة بينها. وقد يؤدي هذا الرأي إلى تقديم مقرر كامل في مصطلحات العلوم الأساسية أو مصطلحات التقنيات أو مصطلحات العلوم الطبية لا يقتصر على قوائم مفردات، بل يقوم في المقام الأول على تقديم منظومة المفاهيم والمصطلحات والوسائل اللغوية لذلك. ويقترح بعض الخبراء

¹ المرجع نفسه، ص 43.

² المرجع نفسه، ص 43.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 44.

⁴ ينظر: Robert Dubuc, Formation des terminologues : théoriciens ou praticiens ?, La Banque des mots, Ed. PUF, n° 9, 1975, Paris, (p.13-22).

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

العناية بهذا الجانب أيضاً في إعداد مُعَدِّي البرامج العلمية والثقافية الرفيعة في وسائل الاتصال الجماهيري¹.

ثمَّ إنَّ للتَّعليم والتَّكوين أهميَّةً في تمكين المُصطلح على الاستِقْرار. فالْمُصطلح الذي لا يُتَعَدُّ بالتَّعليم لا يَلْبِث طويلاً حتَّى يَسْقُطَ من الاستِعمال رغم الاتِّفاق الواسع الذي قد يَحْظِي به. بل هو السَّبيل إلى تَوطيد دعائم هذا الأخير (الإجماع)². فَمَعاهد التَّمهين والتَّكوين المهنيّ تُمكِّن للألفاظ الفنيَّة والفلاحيَّة والصَّناعيَّة التَّقليديَّة مِنْها والحديثيَّة بِطُرُقٍ جديرة بالدراسة تتولَّاها المِصطلحيَّات بمعيَّة اللِّسانيَّات. وذلك قدحاً فيما يُلاحَظ من انشغال اللِّسانيين عن المِصطلحيَّات. وإن كان هذا الحكم لا يجانب الصَّواب إذا راعينا تاريخ اللِّسانيَّات العريق، لكنَّه لا يشكِّل الحقيقة المطلقة، إذ عندما نَتَصَفَّح الكُتب اللِّسانيَّة نجد دراسات عتيقة عنيت فعلاً بالشَّأن المِصطلحي، وهذا قد خفيَ على جمهور القراء أو نفروا منه مدَّة طويلة، ذلك أنَّ اللِّسانيين قد طرَقوا الموضوع من جوانبه التَّقنيَّة البحتة، فهذا ما عَسَرَ على أولئك القراء مقارِبة ذلك الموضوع من زاوية اللِّسانيَّات³. بل إضافةً إلى المعالجات المِصطلحيَّة التي تتناثرت ولا تزال ضمن كُتب لِسانيَّة، فقد وُجِدت كُتب لِسانيَّة عالجت تَميِّز لغاتٍ عن بعضها بناءً على طابعها العلمي⁴. وكذلك ليست هذه الزاوية النفعيَّة أمراً بدعاً إذ وجدنا إِرْهاصاتٍ لها في العلاقة بين المِصطلحيَّات والتَّرْجمة.

¹ محمود فهمي حجازي، دور المِصطلحات الموحدة في تعريب العلوم ونشر المعرفة، اللِّسان العربي، ع 47، 1999، (ص 41-50)، ص 45.

² ينظر: P. Lerat, Op. cit., p.21.

³ ينظر: Taïeb Et Jean Maillot, Terminologie et traduction, Meta, vol. 16, n° 1-2, (p.75-81).
Salah Mejri, Terminologie et traduction, Meta, vol. 45, n°3, 2000, (p.437-444). وكذلك: Baccouche et

⁴ يُنظر تعليقات ألبير دوزا على أقوال فولتير وغيره من الفلاسفة الذين خاضوا في مسألة أفضليَّة اللُّغة الفرنسيَّة، وهو يرى أنَّ طابعها العلمي هو العامل الحاسم في ذلك: A. Dauzat, Le génie de la langue française, Ed. Payot, Paris, 1943, p.07.

خاتمة

وخلاصة ما يمكن الانتهاء إليه في هذا المقال هو تأكيد العلاقة الرابطة بين اللسانيات والمصطلحيات وهي التي تتجلى في تحت عدد كبير من أوجه يتصدّرها الوجه التطبيقي العملي - كما رأينا آنفاً. مع العلم أنّ كلّ مختصّ يعنيه من تلك الأوجه ما يتّصل بموضوعه، ولكن مهما يكن الأمر فأيّ عطب يصيب قُطْبَ رَحَى هذه العلاقة الحساسة (الخدمات المتبادلة بين المصطلحيات واللسانيات، بمراعاة أبعادهما التعليميّة) هو - لا ريبَ فيه - نتيجة اختلال لطرق التعامل معها ولاسيما في حال غياب القوى النقدية المضطّعة بتوجيههما.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

من أعلام الحضارة العربية الإسلامية

أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى

د. فاضل حنا

باحث وأكاديمي

شغلت الأندلس في العصور الوسطى الجسر أو المعبر الأهم لنقل الحضارة العربية بصورة عامة إلى أوروبا، ساعدها على ذلك مجموعة من العوامل الهامة، منها أنها قطعة هامة من أوروبا تقع في الزاوية الجنوبية الغربية، وقد قُدِّر لها أن تكون قاعدة علمية متقدمة فاقت كل القواعد العربية الأخرى بدءاً من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حينما تمكن علماءها في مختلف فروع العلم، أن يضيفوا أشياء جديدة إلى تلك التي عرفوها عن علماء المشرق، فجاءت هذه الأشياء رائدة ومبتكرة وعمّ نفعها أرجاء الدنيا وبخاصة القارة الأوروبية، وبخاصة ما جاء به ابن رشد وابن باجة وابن خلدون. كذلك يمكن أن نضع التجارة من عوامل انتشار ثقافة العرب الأندلسيين في أوروبا، فقد وصل تجار الأندلس إلى مختلف المناطق الأوروبية، وكانت أنشطتهم متميزة في جنوب فرنسا الشرقي وفي شمال غرب إيطاليا وفي سويسرا وبعض المناطق الأخرى مثل منطقة اللورين الفرنسية والألمانية¹. كما كانت السفارات الدبلوماسية والبعثات العلمية من أهم الوسائل، التي نقلت ثقافة الأندلسيين إلى الأوروبيين، وأيضاً عن طريق عمليات الترجمة العربية إلى اللاتينية وغيرها، فكانت في الأندلس عدّة مدارس للترجمة نذكر أهمها، وهي مدرسة ترجمة مدينة

¹ هناك منطقة تدعى اللورين بشرق فرنسا وأخرى في غرب ألمانيا.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

طليطلة، التي شغلت دوراً رائداً في ميدان الترجمة العامة¹.

وبالجملة فقد أدى اختلاط الأوربيين بالعرب الأندلسيين عبر كل الوسائل والطرق، التي نوهنا بها إلى اقتباسهم شيئاً كثيراً من الحضارة العربية الإسلامية في مختلف الميادين ولاسيما في ميدان العلوم الرياضية والفلكية والطبية والصيدلانية والفلسفية والجغرافية، مما جعل القارة الأوروبية في جزئها الغربي، تنتقل من مرحلة نومها الطويل عبر قرون مديدة مظلمة، إلى مرحلة أكثر وضوحاً وإشراقاً وتأثيراً في جميع مناحي الحياة العامة بصورة إيجابية². وهذا ما سيكون محور حديثنا في الصفحات التالية، من أجل أن تتضح الصورة ويبرز الواقع على حقيقته الخالدة، التي لا يمكن لأحد أن ينكرها أو يشيح النظر عنها. ونبدأ بالتأثير الحضاري العربي في مضمار علم الطب والصيدلة وصنع الدواء.

ففي ميدان الطب يمكن أن نذكر بادئ ذي بدء، أن العرب في الأندلس استطاعوا أن يرفعوا كرامة مهنة الطب من مستوى وضع جداً إلى مركز رفيع، فقد كان لعلمائهم القُدْحُ المُعلّى في نشر علم الطبابة القديم، وكشفوا فيه أموراً أحدثوها، وهذبوا مسائله وحسنوا فصوله، وهم الذين نقحوا التعاليم القديمة واقتفوا آثارها على أساس منطقي، وأضافوا إليها تجاربهم فجعلوها ملائمة لأيامهم، وبلغ من رقي ثقافتهم أن الطبيب العربي، كان لا بد له، فضلاً على معرفته، من الإلمام بكل فروع العلم الأخرى³.

وقد ساعدتهم على هذه الأعمال الجليلة، أنهم كانوا كما قال عنهم المؤرخ الغربي (كلرك) أنه في ختام القرن الثامن الميلادي، كان كل ما في أيدي العرب من العلوم ترجمة مؤلف في

¹ محمد السويسي، العلوم العربية بالأندلس بحث منشور ضمن كتاب: الثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ طبعة

دمشق 1990 ص 522 وما بعدها. H. Haskin studies in the history of medieval science p.18.

² ألكسندر ستينشفيش، تاريخ الكتاب، ترجمة محمد الأرنؤوط طبعة الكويت عالم المعرفة 1993 ص 246، عمر

الإسكندري وسليم حسن، تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها طبعة المعارف القاهرة 1917 ص 5-6.

³ زكي بك علي، الطب العربي وتأثيره في مدنية أوروبا، المجلة الطبية العلمية العدد 11 مطبعة السبيل بيروت

1939 ص 424.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

الطب وبضعة كتب في علم الكيمياء، ولكن ما كاد القرن التاسع الميلادي يوشك أن ينتهي حتى كان العرب، قد امتلكوا ناصية كل علوم اليونان وثقافة الأقدمين، ونبغ فيهم عدد جم من المؤلفين. ويقول بعضهم الآخر، أن المدنية الأوربية بل في الحقيقة أن المدنية الغربية كلها مدينة للعرب بميراث حكمة الأقدمين، وأن فتوحات العرب الحضارية لهي إحدى أعاجيب التاريخ. ومن أشد العجب حماسهم العظيم وسرعتهم البالغة في تحصيل العلوم، وتكوين الثقافة اللازمة لعظمتهم، حتى وصلوا فيها إلى مستوى عالٍ في مئة سنة، على حين نرى أن الجرمانيين لما فتحوا الإمبراطورية الرومانية، قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على الوحشية وينهضوا لإحياء العلوم¹.

فالغرب برمته مدين للعرب، بأنهم الذين أدخلوا فكرة امتحان الأطباء المتخرجين لمزاولة مهنة الطب، وأيضاً نهضوا بالمستشفيات وأنفقوا عليها بسخاء عظيم، كانوا أول من أدخل الرسوم والأشكال المنظمة في كتبهم الطبية، وكل ذلك دخل أوربا عن طريق التلاقح الحضاري، الذي نحن بصدد البحث بشأنه في هذا المقام².

وكثيرون هم الأطباء العرب الذين أسهموا في تقدم الغرب الأوربي في ميدان الطب، نذكر منهم الطبيب أحمد بن إبراهيم القيرواني المعروف بابن الجزار المتوفى سنة 395هـ/1005م، الذي أفاد أوربا بكتابه العظيم (زاد المسافر) الذي يحتوي على أوصاف ممتازة لعدد كبير من الأمراض، وهو في مجلدين قام بترجمته قسطنطين الإفريقي إلى اللاتينية، فاشتهر هذا الكتاب مع صاحبه في كل أنحاء أوربا خلال العصور الوسطى³.

وكان الزهراوي خلف بن أحمد المتوفى سنة 400هـ/1010م، الذي عاش في مدة من أزهي

¹ زكي بك علي، المرجع السابق ص 425-426.

² زكي بك علي، المرجع السابق ص 425.

³ موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 74، معجم أطباء المغرب والأندلس ص 57. ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ج 3 ص 90.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

عصور العرب بالأندلس، وهو عصر الخلافة الأموية، كان من أكبر الأطباء الذين استفادت أوروبا من علمهم وإبداعهم، وقد تجسد ذلك بوجه خاص في خلال كتابه (التعريف لمن عجز عن التأليف) ولاسيما الجزء السابع والعشرون منه، الذي يحتوي على معجم أبجدي للأدوية المفردة مع إعطاء المرادفات للكثير منها، وخاصة في اللهجتين الأندلسية والمغربية. وكذلك الجزء الأخير، الذي يتحدث فيه الزهراوي عن الجراحة بمستوى جعل بعض الدارسين المختصين، يعتبرونه أكبر جراح عربي في العصور الوسطى، إذ يتحدث فيه عن بعض العمليات الجراحية التي قام بها، ويقدم إيضاحات هامة عن الأدوات المستعملة فيها. وقد قام بترجمة هذا الكتاب (جيراردو الكريموني) إلى اللاتينية، وطبع الجزء الخاص بالعقاقير منه بمدينة البندقية سنة 876هـ/1471م، وطبع الجزء الخاص بالجراحة في عام 903هـ/1497م. وفيما بعد طبع الجزء الخاص بالأمراض الباطنة بألمانيا. كما ترجم الكتاب أيضاً إلى بعض اللغات الأوروبية الأخرى، وأصبح من الكتب المعمول عليها في كليات طبية معروفة بأوروبا مثل سالرنو وميبلر وغيرهما، وظلت مكانته تحاط بالاهتمام الأوروبي على صعيد الطب والمداواة أكثر من خمسة قرون متوالية، حتى إن العالم الأوربي BROWN قال عنه، بأنه أشهر جراح أنجبه العالم العربي على مرّ العصور، وهو أول من علم أوروبا والعالم تقنيات الحصة داخل المثانة واستخراجها، وكذلك هو الذي أشار إلى استعمال مساعدات وممرضات من النساء في حالة إجراء عملية جراحية لامرأة، لأن ذلك أدعى للطمأنينة والراحة¹.

كما كان لعبد الملك بن زهر المتوفى سنة 558هـ/1162م شأنه البارز على صعيد التأثير الطبي في أوروبا. فعلى الرغم من أن أعماله لم تدرس كما يجب، فقد انتشر في أوروبا انتشاراً واسعاً، وقامت على أعماله مدرسة كاملة في فرنسا هي مدرسة مونبلييه، وأخذ عنه ديه شولياك سنة 770هـ/1368م في عمليات الختن والعيون. وأخذ عنه الطبيب لانفراشي من

¹ موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 105 معجم أطباء المغرب والأندلس ص 112 فيليب حتي - لمحة تاريخية في الطب العربي المجلة الطبية العلمي ج 11 بيروت المطبعة الأدبية 1934 ص 623.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

ميلانو وسائل ربط الأوعية الدموية¹. ونسب إليه الكثيرون شرف اكتشاف جرثومة الجرب، مع أن البحث الحديث، أثبت أن أحمد الطبري الذي اشتهر خلال النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، سبق ابن زهر إلى اكتشاف جرثومة هذا المرض وذكرها في كتابه (المعالجة البقرائية)²، والحق كان لابن زهر أبلغ التأثير وأعظم النفوذ في أوروبا الطبية والعلمية في العصور الوسطى، واستمرت إنتاجاته العلمية تدرس في جامعات أوروبا قروناً عديدة³.

ومن غير الممكن أن نغض الطرف عن إسهامات عربية أخرى في ميدان الطب، مع أن اهتمام أصحابها، لم يكن مقتصرًا على الطب وحده، كما هو أمر من ذكرناهم حتى الآن. نذكر من هؤلاء ابن رشد وابن ميمون وابن طفيل، فقد أتحف هؤلاء العالم بقسط غير زهيد من العلم الطبي، فذكر ابن رشد في كتابه (الكليات في الطب) أن المصاب بالجذري مرة لا يصاب بها ثانية. وقال مواطنه ومعاصره ابن ميمون صاحب كتاب (الفصول في الطب) بأن البواسير هي نتيجة لقبض المعدة والإمساك ونصح بأكل الخُضَر والفواكه، كما قام بتحسين وتطوير عملية الختان. وقام الوزير الكاتب لسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة 776هـ - 1373م بوضع رسالة في الطاعون الذي كان يجتاح أوروبا في عصره، أثبت فيها أن انتشار هذا المرض المخيف، الذي سماه الأوربيون (الموت الأسود) إنما هو بواسطة العدوى، وذلك في عصر لم تكن فيه العدوى ولا الجراثيم معروفة لدى أحد من الناس⁴.

ولما كانت هذه الاكتشافات مبتكرة في حد ذاتها، فلا بد أن أوروبا برمتها كانت قد استفادت منها، مثلها في ذلك كل المبتكرات العربية، التي انتقلت إلى أوروبا عبر طرق مختلفة ومتشعبة. ويجب أن لا ننسى أن الأندلس إضافة إلى ما قدمته للأوروبيين من معارف طبية بواسطة علمائها السابق الذكر، فإنها شكلت معبراً نشطاً لنقل مؤلفات الأطباء العرب المشاركة

¹ موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 104.

² فيليب حتي، المرجع السابق ص 623.

³ زكي بك علي، المرجع السابق ص 425 معجم أطباء المغرب والأندلس ص 95 وما بعدها.

⁴ فيليب حتي، المرجع السابق ص 623 ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ص 66 وما بعدها.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ومبتكراتهم الرائعة في هذا المضمار إلى أوربا، وهناك ترجمت وأصبحت ملكاً لأبناء الغرب الأوربي، وبذلك تمت حلقات سلسلة الاتصال بين الطب اليوناني القديم والطب العربي المتوسط والطب الأوربي الحديث¹.

ولم يقصر العربي في الجانب الآخر، الذي لا بد منه لكل طبيب ممارس وهو علم الأدوية أو الصيدلة، لكنهم لم يصلوا من حيث تأثيرهم في الغرب الأوربي إلى ما وصلوا إليه في ميدان الطب العام والخاص. ولعل الطبيب الصيدلي أبو جعفر الغافقي المتوفى سنة 1165م، هو الذي وسع الخطى في اتجاه تقدم علم خصائص النبات الطبية من خلال كتابه (الأدوية المفردة) وهو الكتاب الذي بنى عليه مواطنه ابن البيطار المتوفى بدمشق سنة 646هـ/1249م² شهرته الواسعة. فابن البيطار هذا على ما أثبت البحث النقدي مدين لسلفه الغافقي بالشيء الكثير. ولقد حوى كتاب الغافقي أسماء أهم النباتات في إسبانيا وإفريقية الشمالية باللغات العربية واللاتينية، مع وصف علمي لكل منها. ثم جاء ابن البيطار وأضاف إليها في مؤلفه (الجامع في الأدوية المفردة) حصة من نباتات مصر والشام وآسيا الصغرى التي ساح فيها³.

ومع امتياز ابن البيطار وشهرته العربية كرائد من رواد علم الصيدلة والأدوية في العصور الوسطى، فإنه لم يؤثر في أوربا القرون الوسطى التأثير الواجب، وربما كان ذلك لبعده المكاني، حيث كان يقيم بالمشرق، ولتأخره الزمني عن حركة النقل، ولتأخر ترجمته إلى اللاتينية. ولكن كتابه (المغني في الأدوية المفردة) وهو في عشرين فصلاً، ترجم بعد ذلك إلى الفرنسية والألمانية، ودُرس في الجامعات الأوربية⁴.

ومن المفيد هنا القول، إن الأندلسيين تفوقوا في مجال علم الأدوية على معاصريهم، سواء

¹ فيليب حتي، المرجع السابق ص 624.

² ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ج 2 ص 133 أنخل جنثال بالنتيا - المرجع السابق ص 479.

³ فيليب حتي المرجع السابق ص 624.

⁴ انظر كتابنا: الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام ص 138 وما بعدها، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 66.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

كان ذلك في الشرق أو الغرب، ودليل ذلك ما نقل عن البيروني في سياق عتاب شديد لعلماء زمانه (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ما معناه، لو كان ديسقوريدس الإغريقي في نواحيها، لصرف جهده إلى تعرّف ما في جبالنا وبواديها، ولكانت حشائشها كلها أدوية، ولكن ناحية المغرب والأندلس فازت به وبأمثاله، وأفادتنا بمشكور مساعيهم علماً وعملاً. وأما ناحية المشرق فليس فيها من يهتز لعلم غير الهند¹.

وعلى أساس هذا الواقع الإيجابي، الذي تجسد بالأندلس في هذه الحقبة، فليس غريباً القول، أن تكون أوروبا قد تأثرت بصورة فعالة بما أنتجه العقل العربي على صعيد علم الصيدلة والدواء، وبخاصة بما أدخلوه من المستحضرات اللطيفة والحلوة المذاق، إلى غير ذلك من المسائل المتصلة بهذا العلم العظيم.

أما في ميدان علم الفلك، فقد كان الأمر مدعاة للفخر والإعتزاز بما قدمه العرب المسلمون للأوربيين من معارف وفوائد فلكية، عم نفعها على كثير من وجوه حياتهم العامة، وقد بدأت طلائع هذه الفوائد تعبر إلى أوروبا منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك أن طلاب العلم في غرب أوروبا عرفوا بعض المصطلحات العربية، مثل الإسطرلاب وأسماء النجوم ومجاميعها، وصارت هذه المعارف تتسند وتزدهر خلال القرن الثاني عشر الميلادي.

ومن أهم الفلكيين العرب، الذين أفادوا الغرب الأوربي بعلمهم وإبداعهم أبو القاسم مسلمة المجريطي المتوفى سنة 399هـ/1009م، الذي قام بتصحيح وضبط زيج الخوارزمي، وانتقل ما أنتجه المجريطي إلى أوروبا عن طريق الأندلس، بعد أن ترجمه إلى اللاتينية، وكان المجريطي هذا يُعرف بالحاسوب لعلمه بالرياضيات².

جاء بعده في هذا الشأن مواطنه أبو إسحق إبراهيم بن يحيى القرطبي المعروف بالزرقالي

¹ فاضل السباعي، الرحلة النباتية للصيدلاني الإشبيلي ابن الرومية، بحث منشور في كتاب الثقافة العربية الإسبانية طبعة دمشق 1990 ص 541.

² موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 160، جورج حداد، تاريخ الحضارة ص 522.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

من علماء القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، الذي اشتهر من خلال أزياجه التي عرفها الأوربيون باسم (الجداول الزرقالية) أو (جداول طليطلة) وقد وضعت هذه الجداول على أساس دراسات وملاحظات عملية، اعتمدت على جداول سابقة كجداول بطليموس والخوارزمي. وقام بترجمة هذه الجداول في القرن الثاني عشر الميلادي جيراردو الكريموني إلى اللغة اللاتينية، ولم يبق منها سوى هذه الترجمة، التي اطلع عليها كوبرنيكوس. ويُعد ابن الزرقالي من أوائل الذين أثبتوا حركة أوج الشمس بالنسبة للنجوم، وقد بلغت هذه الحركة في قياساته 12.4 دقيقة على حين هي في الواقع 11.8 دقيقة. كذلك كان من أوائل من أيقنوا أن مسارات الكواكب إهليلجية لا دائرية، وعادوا إلى المسارات الأولى¹. كذلك نرى في القرن الثاني عشر مؤلفات (ريمون المرسي) وقد أخذت من جداول الزرقالي، الذي قدّر طول البحر المتوسط بنحو 42 درجة، على حين جعلها بطليموس 62 درجة، وكان الزرقالي إضافة لذلك أعظم راصد للنجوم في عصره، ووضع اسطرلاباً متقناً سماه (الصفحة)². والحق فإن أقل ما يقال بشأن علم الزرقالي أنه جاء مبنياً على العلوم الرياضية والطبيعية لا على الجدول وعلم الكلام³.

جاء بعد ذلك العالم جابر بن أفلح صاحب كتاب (الهيئة) المتوفى سنة 1105م، الذي ترجمه أيضاً جيراردو الكريموني إلى اللاتينية، وقد انتقد بطليموس وضمن كتابه هذا فصلاً هاماً عن المتئاثات المسطحة والمتئاثات الكروية⁴.

تلاه بعد ذلك في هذا الشأن نور الدين البطروجي المتوفى سنة 1204م، وهو تلميذ ابن الطفيل. وقد ترجم مؤلفه كتاب (الهيئة) إلى اللاتينية ميشيل سكوت سنة 1217م، وفيه وصف

¹ موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 101.

² جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة ص 523.

³ محمد السويسي، المرجع السابق ص 519.

⁴ جورج حداد، المرجع السابق ص 523، محمد السويسي، المرجع السابق ص 251.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

الأجرام السماوية وبعض الأنظمة الفلكية، وهو يمثل ذروة المعاكسة لبطلليموس¹. وما يبرهن على أن البوصلة اختراع عربي انتقل إلى أوروبا عن طريق الأندلس، ما كان يستعمل من ذي قبل من الألفاظ لوصف اتجاه الإبرة الممغنطة، مثل قولهم (الشارون) للدلالة على الشمال (والأفرون) للدلالة على الجنوب، وهي ألفاظ اشتقت من العربية²، ولا بد أن أسماء النجوم العربية، التي انتقلت إلى أوروبا العصور الوسطى، كانت عن طريق الأندلس، مثل العقرب والجدي والطيور والفرقد والذئب، وكذلك بعض الأسماء الفنية مثل السموت AZIMATH والنظير NADIR إلى غير ذلك³.

ومن الخير أن نقول، إن أوروبا مدينة للعرب ولدورهم المبدع في علم الفلك، فقد استطاعوا أن يحتفظوا بشعلة العلم حية متوقدة لقرون عديدة، ولا يمكن أن ننكر أنهم تعاملوا مع الفلك بشكل كلي، وهكذا سلموه إلى الأوروبيين. وحتى نكون منصفين يجب أن نذكر أن العرب، اعتمدوا على الثقافة اليونانية وطوروها بإبداعهم وابتكارهم وباعتمادهم على بعض الثقافات الأخرى كالهندية والفارسية، مثال على هذا الواقع أنهم قاموا بترجمة ثلاثة كتب مهمة هي المجسطي، والفرائض، والتدرجات.

أما في حقل الرياضيات، فإن الأندلس لم تبرز فيه كما حدث في الحقول السابقة الذكر، وربما اقتصر دورها على نقل المعلومات العربية المتطورة، التي ظهرت في الجناح الشرقي من ديار العرب، وبالطبع فإن هذه المعلومات نقلت عن طريق الترجمة التي نشطت بصورة عجيبة في الغرب الأوروبي.

من الاستثناءات الضئيلة على هذا الصعيد، ظهر مسلمة المجرطي إمام الرياضيين

¹ جورج حداد، المرجع السابق ص 523.

² يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة محمد عبد الله عنان طبعة القاهرة 1941 ص 360.

³ جورج حداد، المرجع السابق ص 523.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

بالأندلس، وبعض تلامذته من النجباء، مثل ابن السمع المتوفى 1034م، وابن الصفار والكرماني وأمية بن أبي الصلت وغيرهم¹.

تعلم الأوروبيون من الأندلسيين على ما يبدو نظام الأعداد الهندي، الذي كان يمثل ثورة شاملة في علم الحساب، ويتضح لنا تسهيل هذا النظام العددي للعمليات الحسابية، إذا قارنا بينه وبين النظام العددي الروماني. فنظام الأعداد الجديد الذي عرفته أوربا عن العرب، يمكن فيه أن يتغير الرقم الواحد حسب وضعه في خانة الآحاد أو العشرات أو الألوف أو الملايين، في حين أن قيمة الرقم لا تتغير في النظام الروماني بتغير خانته، فرقم (5) مثلاً لا يمكن أن يعني خمسين أو خمسمئة أو خمسة آلاف².

وهنا لا بد من الاعتراف أن الأعداد الجديدة المستعملة حالياً في الغرب، ليست من اختراع العرب، إذ من المرجح أنها هندية الأصل كما أشار العلماء العرب أنفسهم، لكن فضل العرب تجسد بأنهم أوصلوا هذه الطريقة الجديدة إلى أوربا، ورحموا الأوروبيين من تعقيد النظام العددي الروماني العقيم، وبذلك سهلوا العمليات الحسابية وساعدوا على تقدم الرياضيات³.

كما يجب أن لا ننسى في هذا المقام، أن الأرقام المستعملة اليوم في جميع أنحاء العالم مقتبسة من (حروف الغبار) التي استعملت أولاً بالأندلس قبل زحفها على سائر الأقطار، وبذلك سميت بالأرقام العربية⁴.

وفي مجال علم الجبر لا يزال محتفظاً حتى يومنا هذا باسمه العربي في كافة اللغات الأوروبية Algebra-Algebre بعد أن أخذه الأوروبيون عن العرب⁵.

¹ أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج 3 ص 270 وما بعدها.

² سعيد عاشور، المرجع السابق ص 280.

³ سعيد عاشور، المرجع السابق ص 281.

⁴ محمد السويسي، المرجع السابق ص 530-531.

⁵ سعيد عاشور، المرجع السابق ص 283.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

ولعل في مقدمة الإنجازات العربية على هذا الطريق، يتجلى بأن العرب علموا الغرب الأوربي طريقة استعمال الصفر في الأعداد منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وعرف باللفظ الأوربي Cipher وهو يعني في اللغات الأوربية (لا شيء أو عديم القيمة) فاستعمله مارتن لوثر للتعبير عن ضعف الأساقفة أمام البابا فقال، إنهم كالأصفار. وفي القرن السادس عشر، استعمل اللفظ الأوربي للصفر للدلالة على الكلمة الغامضة أو الشفرة Chaffer في حين استعمل لفظ Zero بمعنى لا شيء¹.

أما عن أثر العرب الأندلسيين في التفكير الفلسفي لأوربا، فقد كان عظيماً إلى درجة يمكن القول بشأنها، إنه كان من أغزر ما خلفه الأندلسيون العرب للفكر الأوربي. ولا بد أن سبب ذلك يعود في معظمه إلى أن الفلسفة كانت من أهم المسائل الفكرية التي شغل بها العلماء بالأندلس، الذين قاموا بنقل الفلسفة اليونانية كما عرفوها إلى الغرب، بعد أن أضافوا إليها ناحية التوفيق بين الإيمان والعقل وبين الدين والعلم².

ومن أهم فلاسفة الأندلس سليمان بن جابرول المتوفى سنة 1058م ببلنسية، وكان أول فيلسوف قام بتعليم الأفلاطونية للغرب الأوربي، وهو يشبه سلفه ابن مسرة المتوفى سنة 931م، الذي أدخل إلى الغرب نظاماً باطنياً للكتابة، حيث تتخذ الكلمات معنىً داخلياً غامضاً لا يفهمه إلا العارفون بالأسرار. وكتاب ابن جابرول الهام هو (بنبوع الحياة) وقد ترجم إلى اللاتينية سنة 1150م³.

وقد ازدهرت الفلسفة بصورة مميزة خلال القرن الثاني عشر الميلادي بالأندلس بظهور عدد من الفلاسفة الكبار، الذين أثرت فلسفتهم في الغرب الأوربي أكثر من تأثيرها في العالم

¹ سعيد عاشور، المرجع السابق ص 282.

² كان الفلاسفة يعتقدون أن فلسفة أفلاطون وأرسطو هي الحقيقة وإن القرآن هو الحقيقة أيضاً لذلك وجب التوفيق بينهما.

³ جورج حداد، المرجع السابق ص 527.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

الإسلامي. من هؤلاء الفلاسفة أبو بكر محمد بن باجة المتوفى بمدينة فاس سنة 1138م، وكان فيلسوفاً وعالمياً وطبيباً ومفسراً لفلسفة أفلاطون، وعاش بغرناطة وسرقسطة، وقد أثر في ابن رشد، وأهم كتبه الباقية (تدبير المتوحد) الذي يقول فيه، أن غرض الفلسفة هو كمال النفس البشرية التدريجي، الذي يحصل بالاتحاد مع الكائن الإلهي. وظهر تأثير فلسفة ابن باجة في الغرب الأوربي في بعض نواحي فكر توماس الأكويني والبرتوماغنون¹.

لكن الفيلسوف الأهم على صعيد التأثير الأندلسي في الغرب الأوربي في ميدان الفلسفة، هو ابن رشد الذي وصف بأنه أكبر شارح لفلسفة أرسطو، ويكفي ابن رشد فخراً واعتزازاً، أنه تجرأ على إطلاق حرية الفكر لنفسه ونادى بها للجميع، على الرغم من وجوده في عصر كان مثل هذا الفكر يجلب لصاحبه المذلة والمهانة والتحقير. وقد عانى من ذلك كثيراً لكنه مضى على طريقته الرائعة، فأعلن آراءه بصراحة وقوة حتى عدّه الأوربيون مثلاً خالداً على حرية الفكر². وقد عبّر عن أفكار أرسطو تعبيراً صادقاً بإعلانه أن العقل العام المطلق أبدى قابلاً للانفصال عن الجسم، وأنكر الخلود والبعث وقال، يجب على المرء ألا ينتظر ثواباً أو عقاباً غير ما يلقاه في الحياة الدنيا. كما تعرض للفلسفة الخلقية والاجتماعية، فأعلن كرهه للظلم والاستبداد، ورأى عدم وجود خلاف بين الرجال والنساء في الطبع إنما الاختلاف بينهما في الكم³ ولشدة ما تأثر به الأوربيون قال عنه (جيوم)، أنه ينتسب إلى أوروبا والفكر الغربي أكثر من انتسابه إلى الشرق والفكر العربي الإسلامي. وبذلك أقدم الأوربيون على دراسة فلسفة ابن رشد، ورحبوا بكتبه ترحيباً كبيراً، فأسهمت بإخراجهم من القرون المظلمة. فقد قام ريجر الباراتيني بترجمة كتاباته إلى اللاتينية على الرغم من معارضة توماس الأكويني الشديدة، وانتشرت هذه الكتابات بوجه خاص في بادوا بإيطاليا.

¹ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 185، معجم أطباء المغرب والأندلس ص 53 وما بعدها.

² ابن رشد، كتاب الكليات ص 11 وما بعدها.

³ ابن رشد، كتاب الكليات ص 12 وما بعدها.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

وتكررت طبعاتها اللاتينية في البندقية. وقد كانت الحقيقة عند ابن رشد مزدوجة، دينية وعلمية، وقد انتقلت هذه النظرة منه إلى أوروبا، ولم تتخل عنها المسيحية إلا في القرنين الأخيرين¹.

وقد أثرت فلسفة ابن رشد في الأوروبيين درجة جعلت كثيراً منهم يخرجون على تعاليم الكنيسة، وتمسكوا بمبدأ حرية الفكر وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة، التي نادى بها ابن رشد، وقد مثل هذا الخروج بشكل بارز القديس توما الأكويني (1225-1274م) الذي كتب فصولاً في العقيدة والعقل وعجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهية، وهي التي تقابل كتابات ابن رشد في باب (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة). وبلغ من تأثر توما بفكر ابن رشد أن كتاب (الخلاصة) لتوما يحوي آراء عربية إسلامية الأصل، مما يدل على أن الأثر الذي تركه ابن رشد في عقلية الغرب، لم يكن مجرد شرح لكتابات أرسطو، وإنما كان أبعد وأعمق من ذلك بكثير².

أما الفيلسوف الآخر فهو أبو بكر محمد بن الطفيل المتوفى 1185م، الذي عمل وزيراً وطبيباً لدى أبي يعقوب يوسف الموحدي. وقد اشتهر بمؤلفه (حي بن يقظان) وهو قصة فلسفية ممتعة، ومن أكثر القصص ابتكاراً في أدب العصور الوسطى. والفكرة الأساسية في هذه القصة، هي أن القدرة البشرية يمكن أن تبلغ معرفة العالم الأسمى بدون مساعدة خارجية، وأن نكتشف بالتدريج اعتمادها على الكائن الأعلى. وعلى الرغم من أهمية هذه القصة فلا يبدو تأثيرها الواضح في أوروبا العصور الوسطى، بل نرى ذلك التأثير فيما بعد، حيث قام إدوارد بوكوك بترجمتها إلى اللاتينية من سنة 1671 ونشرت في اكسفورد مع ترجمتها، كما ترجمت فيما بعد إلى لغات متعددة كالهولندية والروسية والإسبانية والإنكليزية³.

¹ موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 68، معجم أطباء المغرب والأندلس ص 100 وما بعدها. عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها مطبعة المعارف بالقاهرة 1917 ص 5-6.

² موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص 68، معجم أطباء المغرب والأندلس ص 100 وما بعدها.

³ جورج حداد، المرجع السابق ص 527، معجم أطباء المغرب والأندلس ص 178.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

من ناحية أخرى فقد استفاد الغرب الأوروبي من العرب الأندلسيين على صعيد الصناعة، ونقلت عنهم صناعات متعددة إلى أوروبا كان لها الأثر الطيب في تقدم شعوبها. ففي الأندلس ازدهرت صناعات النسيج بأنواعه، وصناعة الزجاج، وبعض الصناعات التعدينية. وإن أهم ما استفادته أوروبا كان صناعة الورق من الأندلس. وفي الواقع فإن أول إشارة إلى هذا الأمر نجدها لدى الإدريسي، الذي يذكر سنة 1150م مدينة شاطبة، حيث الورق الذي لا يوجد له مثيل في العالم المتمدن، والذي يصدر إلى الشرق والغرب، ففي القرن الثالث عشر الميلادي انتشر الورق خارج العالم العربي إلى أوروبا، وبذلك انتهى تقريباً احتكار العرب لإنتاج الورق والاتجار به، بعد أن بقي في أيديهم نحواً من 500 سنة¹.

وكانت أولى المصانع التي أقامها العرب لصناعة الورق في الأراضي الأوربية في صقلية وإسبانيا، فمن صقلية انتقلت صناعة الورق إلى إيطاليا، ومن إسبانيا انتقلت هذه الصناعة إلى غرب أوروبا، وحينما تعلم الأوروبيون صناعة الورق، استعملوه في الكتابة محل الرقائق الجلدية الباهظة الثمن. وبذلك يكون العرب قد أدوا لأوروبا برمتها خدمة جليلة، لأنهم علموا الغربيين طريقة أسهل وأفضل في الكتابة. ويشهد على أثر العرب في هذه الناحية، تعدد المصطلحات العربية المتعلقة بالورق وصناعاته، والتي ما زال بعضها مستعملاً بلفظه العربي في اللغات الأوربية مثل لفظة (رزمة)².

ونقل الغرب أيضاً عن العرب صناعة الخزف، التي انتشرت في إسبانيا منذ القرن العاشر الميلادي، وما زالت المتاحف الأوربية تحوي كثيراً من الأواني الخزفية، التي صنعت تقليداً لأواني عرب الأندلس، ويستدل على هذا التقليد مما عليها من كتابات عربية محرفة. وقد نشأ هذا التحريف من أن صانعي الخزف الأوروبيين اتخذوا من زخارف الأواني العربية نماذج يحاكونها دون فهم ما عليها من كتابات، فشوهوا الكتابات العربية لجهلهم بها، ولم ينكر

¹ انظر: تاريخ الكتاب ص 236.

² جورج يعقوب، أثر الشرق في الغرب ص 55.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

الأوروبيون إعجابهم بالصناعة العربية، وتقليدها، إذ يروى عن الكاردينال اكسيمينزا أنه قال عن الصناع العرب بالأندلس «ينقصهم إيماننا وتتقصنا صناعاتهم»¹.

كما استفاد الأوروبيون من العرب الأندلسيين على صعيد صناعي آخر، كانت وما زالت له أهميته القصوى في الحياة الاقتصادية، تمثل في صناعة السفن، فعن العرب أخذوا صناعة طراز من السفن سمي (العشاري) وهو طراز متوسط الحجم، كان يستعمل في الأنهار والبحار للرحلات الصغيرة، وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة، وسميت في إيطاليا باسمها العربي Usciare أو شيبيري وفي إسبانيا Esquire nave. ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع لعشرة أشخاص².

وللأندلسيين فضل السبق في تعليم الغربيين صناعة الزجاج والكريستال، التي ابتكرها ودل عليها العالم العربي الأندلسي عباس بن فرناس خلال القرن التاسع الميلادي، الذي أشار إلى إمكان هذه الصناعة من جراء استعمال الحجارة، إلا أن إنتاج الأوربيين من الزجاج، لم يتمكن من أن يصل إلى مستوى الإنتاج العربي³.

وقام الأندلسيون كذلك بتعليم الغرب الأوربي طريقة تبليط الدور والشوارع وإنارتها في الليل، حيث كان بمقدور السائر أن يمشي في شوارع قرطبة وأريافها في ضوء السُرُج المتصلة مسافة عشرة أميال⁴ وطريقة صناعة السكر، وطريقة استعمال الرياح وتحريك الطواحين الهوائية، التي اخترعت في آسيا الصغرى بادية ذي بدء، ونقلت إلى إسبانيا ومن هناك إلى أوروبا، وأنشئت أول طاحون منها بأوروبا سنة 1105 في مقاطعة نرمندية⁵.

¹ زكي محمد حسن، فنون الإسلام ص 665، لوبون - حضارة العرب ص 545.

² ابن الأبار، الحلة السائرة ج 1 ص 297.

³ الزبيدي، طبقات النحويين ص 268-270، زكي محمد حسن، فنون الإسلام 236.

⁴ أحمد زكي، رحلة إلى الأندلس طبعة دمشق وزارة الثقافة السورية 1990 ص 411.

⁵ عمر الإسكندري وسليم حسن، المرجع السابق ص 5-66.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

كما أسهموا في ترقية بعض الصناعات الأخرى الخفيفة، مثل استخراج القطران من شجر الصنوبر والبلوط، الذي يكثر في المنطقة وكانوا يستعملونه في قلفطة السفن. ودليل علاقة هذه الصناعة بالعرب، أنها استمرت بعدهم واضحة باستعمال أهلها لكلمة القطران العربية بدلاً من كلمة Guodran الفرنسية. كما أنهم صنعوا المؤقتات منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أيام عباس بن فرناس. وقد عثر على بعضها الفونسو السادس غازي مدينة طليطلة¹.

ولم يقصر العرب في مجال الزراعة، فعن طريق الأندلس وصقلية، تعلم الأوربيون منهم كيفية حفر الترع والقنوات، وإنشاء المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم، كما أدخلوا زراعات جديدة، لم تكن معروفة في غرب أوربا كزراعة القطن وقصب السكر والسمسم والأرز والليمون والبطيخ والثوم والبادنجان والسبانخ، وكثير من التوابل والعقاقير النباتية والأصباغ، وطوروا إلى جانب ذلك الدورات الزراعية وفن استعمال الأراضي الزراعية على الوجه الصحيح من أجل محصول وافر غزير².

وقد كان الأدب العربي بالأندلس من الآداب المهمة، التي تأثر بها الأوربيون في العصور الوسطى، واستمر ذلك إلى العصر الحديث، وكان ذلك التأثير في فروع الأدب الرئيسية، كالشعر والنثر، وسبب ذلك أن الأوربيين لم يكونوا مبدعين على هذا الصعيد فاتجهوا شطر الأدب العربي المعروف بخصوبته وإبداعه وروعته، وهذا ما صورته جب بقوله: «إن خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوربا، أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر العصور الوسطى ونثرها»³.

ومن تأثيرات العرب في الأدب الأوربي ظهور شعر التروبادور، الذي اقتبس عن الأدب العربي، الذي امتاز بالرومانتيكية البالغة في الغزل الرقيق والرثاء وغير ذلك، وقد ظهر هذا

¹ الزهري، كتاب الجغرافية ص 83 وما بعدها.

² جورج يعقوب، أثر الشرق في الغرب، ص 97، سعيد عاشور، المرجع السابق ص 262-263.

³ جب، تراث الإسلام ص 189-190.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

النوع من الشعر في الشمال الإسباني وإقليم بروفانس بجنوب فرنسا، وذلك منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وانتشر بعد ذلك في مختلف الدول الأوروبية ولا سيما في إيطاليا حتى إن العلماء أثبتوا أن غزل الفروسية، الذي انتشر بعد ذلك في ألمانيا متأثراً إلى حد بعيد بأشعار التروبادور التي تغنى بها فرسان فرنسا. وما يبرهن على أن شعر التروبادور متأثر بالشعر العربي، هو أنه يمتاز بالصقل وقوة الخيال، فضلاً على عفته إلى درجة أن مثله الأعلى في الزوجة الوفية المثالية، وهذه الأمور لم تعرفها أوربا في العصور الوسطى، التي لم تقم وزناً للمرأة والتي حالت الكنيسة دون الغزل فيها¹.

وعرفت أوربا العصور الوسطى الشعر المقفى، الذي لم تكن تعرفه قبل وصول العرب إلى إسبانيا، وأدى دخول القافية إلى الشعر الأوربي، إلى وجود موسيقا جميلة يُحسّها القارئ في شعر غوته الوجداني، وشعر بلاتن، ونثر ستفن وغيرهم من رواد الأدب الأوربي².

هذا من ناحية الشعر، أما أثر العرب الأندلسيين في النثر الأوربي فليس فيه مجال للريبة. فقد اهتم الأوربيون بالقصص العربية ذات المغزى الأخلاقي، أو تلك التي تتخذ الحيوان موضوعاً لها. وأول البوادر من هذا النوع ما نقله بطرس ألفونس من العربية إلى الإسبانية مجموعة قصص هندية، هي التي عرفت باسم (التعاليم الكنسية) وفي سنة 1251م ترجمت من العربية إلى الإسبانية أيضاً مجموعة من القصص الهندية³ المعروفة باسم (كليلة ودمنة) ثم ترجمت إلى الفرنسية في سنة 1313م. وكذلك ترجمت إلى اللاتينية وعنها إلى لغات أخرى أوربية، ولاقت قبولاً شعبياً منقطع النظير، حتى أن بيوروباسكوال أسقف مدينة جيان الغيور على المعتقد الكاثوليكي، حارب هذه

¹ أحمد أمين، ظهر الإسلام ج 3، ص 3087، جب، تراث الإسلام ص 160 وما بعدها. ومن الجدير ذكره أن هذا الأدب انتقل إلى أوروبا من خلال الإسبان الذين استعربوا وخضعوا للعرب، وقاموا بنقل بذور الثقافة العربية إلى البلاد المجاورة لإسبانيا.

² جورج يعقوب، المرجع السابق ص 84.

³ بعضهم يقول أن أصل هذا القصص فارسي.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

القصة لأنه رأى منها خطراً يهدد سلامة العقيدة الكاثوليكية¹.

وكانت قصة (السندباد) من القصص التي وصلت إلى الغرب الأوربي وهي هندية الأصل، وقد ترجمت إلى الإسبانية سنة 1253م بتوجيه من الأمير فادريكي أخي ألفونسو الحكيم. ثم ظهرت بعدئذ في آداب أوربا قصص منسوجة على شاكلتها دون الإشارة إليها، مثل قصص بوكاشيو الإيطالي بعنوان (الليالي العشر) لكنها اختلفت من حيث مغزاها وطبيعتها وهدفها، ففي حين كان طابع قصص سندباد نمطياً وأخلاقياً، كان طابع بوكاشيو إباحياً.

وربما كان أهم مجالات التأثير العربي في فكرة الكوميديا الإلهية لدانتي، الذي لم يكشف أمره إلا في مطلع القرن العشرين، حينما ظهرت نظرية آئين بلاثيوس القائلة، بأن الكوميديا الإلهية مقتبسة من الأدب العربي الإسلامي بفروعه الدينية والصوفية والأدبية². وقد تأثر دانتي في هذا الميدان بقصة المعراج الواردة في (الفتوحات المكية) لابن عربي.

وهكذا استطاع الأدب العربي الأندلسي، أن يؤثر تأثيراً واضحاً في القصص الأوربي في الوسيط والحديث على حدٍ سواء، وأدى ذلك إلى ظهور القصة الحديثة في الأدب الأوربي. يتجلى تأثير الأدب العربي في أوربا في وجه آخر، هو أن اللغة الإسبانية والبرتغالية تحتويان على ألفاظ جمة من أصل عربي وكذلك الأمر كان بالنسبة للغة الفرنسية، ولا سيما في الجهات الجنوبية. أما اللغة الإنكليزية ففيها وحدها ما يقرب من ألف كلمة مشتقة من أصل عربي³.

وهكذا فقد كان تأثير العرب هائلاً في نواحي العلم المختلفة، من طب وصيدلة ورياضيات وفلك وفلسفة، والأدب من قصة وشعر ورواية، وأيضاً في الصناعة والزراعة، وكان تأثيرهم ضعيفاً جداً في ناحيتي اللغة والفن، ومعدوماً في مجال الدين. وأدى ذلك التأثير الإيجابي للعرب إلى توسيع مدارك الأوربيين وأخذهم بأسباب النهضة في مطلع العصور الحديثة، التي

¹ محمود مكي، - مقال في كتاب أثر العرب والإسلام في الحضارة الأوربية ص 70 وما بعدها.

² أحمد بدر، تاريخ الأندلس ص 416 وما بعدها.

³ لوبون، حضارة العرب ص 466 وانظر كذلك: Walt Taylor-Arabic words in English p.56.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

أُنبعت وأثمرت ثمرًا طيباً، تجسد بما يشهده العالم المتقدم من إنجازات حضارية، لم تعرف البشرية نظيراً لها، وما زالت تتقدم بسرعة مذهلة، على حين تقهقر العرب إلى آخر الدرك الحضاري، فأصبحوا على هامش الشعوب المتحضرة.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلّة، مطبعة السعادة القاهرة 1956.
- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس مطبعة أولى الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة 1963.
- كتاب المعجم، أصحاب القاضي أبي علي الصد في مجريط 1885.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ مطبعة صادر بيروت 1965 و 1966.
- ابن الأحمر الغرناطي، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري تحقيق محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة بيروت 1976.
- الأدريسي، صفة المغرب وأرض مصر الأندلس مطبعة بريل ليدن 1964.
- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء الطبعة الأولى، المطبعة البهية 1882 والطبعة الثانية بيروت 1982.
- ابن أبي الصلت (أمية) الرسالة المصرية طبعة ثانية مصر 1972.
- ابن بطوطة، مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، طبعة دار صادر بيروت 1964.
- البكري، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك تحقيق عبد الرحمن علي الحجي - الطبعة الأولى دار الإرشاد بيروت 1953.
- بلا نثيا (أنجل جنثال) تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس الطبعة الأولى مكتبة النهضة القاهرة 1955.
- ابن جبير (محمد بن أحمد) الرحلة طبعة دار الصادر بيروت 1959.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم) الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار العلم للطباعة بيروت 1975.
- ابن حوقل (محمد الموصلي) صورة الأرض طبعة ليدن 1938.
- الخشني (محمد بن حارث) قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966.
- ابن الخطيب (لسان الدين) الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي القاهرة 1955.
- أعمال الأعلام تحقيق أحمد العبادي ومحمد الكتاني - دار الكتاب الدار البيضاء 1964.
- ابن خلكان (أحمد الإربلي) وفيات الأعيان - تحقيق إحسان عباس طبعة دار صادر بيروت 1970 و 1971.
- ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن) كتاب العبر والمبتدأ والخبر طبعة بيروت بدون تاريخ.

..... أمجاد ومؤثرات الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس

- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً تحقيق محمد بن تاوويت الطنجي طبعة القاهرة 1951.
- ابن الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ماضور، الطبعة الثانية مكتبة الخانجي القاهرة 1972.
- ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق مصطفى عوض الكريم، الطبعة الأولى جامعة الخرطوم 1954.
- سعد زغول، تاريخ المغرب العربي طبعة القاهرة 1965.
- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، المكتب التجاري القاهرة 1964.
- كتاب الجغرافية تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1970.
- شكيب أرسلان، تاريخ غزوات المغرب طبعة مصر 1952.
- الصفدي (صلاح بن أيك) الوافي بالوفيات طبعة استانبول 1959 طبعة دمشق 1959 وطبعة بيروت 1969 و1983.
- الضبي (أحمد بن يحيى) بغية المتلمس دار الكتاب العربي القاهرة 1967.
- الطرطوشي (محمد بن الوليد) سراج الملوك المطبعة الوطنية الإسكندرية 1289 هـ.
- الطليطلي (صاعد بن أحمد) طبقات الأمم مطبعة السعادة طبعة القاهرة بدون تاريخ.
- عاشور (سعيد عبد الفتاح) العصر المماليكي في مصر والشام الطبعة الأولى القاهرة 1965.
- العبادي (أحمد مختار) في تاريخ المغرب والأندلس، طبعة دار المعارف.
- (عبد العزيز سالم) تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام جامعة بيروت العربية 1972.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق س. كولان وليفي بروفنسال وإحسان عباس طبعة ليدن 1948 وبيروت 1967.
- عمر فروخ، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط طبعة ثانية بيروت، دار الكتاب العربي 1981.
- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية طبعة رابعة دار العلم للملايين بيروت 1979.
- عنان (محمد بن عبد الله) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس طبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة 1964.
- الغبريني (أحمد بن أحمد) عنوان الدراية تحقيق راجح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1970.
- ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف طبعة القاهرة 1985.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- القاضي عياض، - ترتيب المدارك وتقريب المسالك تحقيق أحمد بكير محمود دار مكتبة الحياة بيروت 1967.
- القفطي (علي بن يوسف) إخبار العلماء بأخبار الحكماء عني بنشره محمد أمين الخانجي مطبعة السعادة 1326 هـ.
- ابن القوطية (محمد بن عمر) تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع بيروت 1957.
- ابن الكردبوس، كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء طبعة جديدة 1965 قام بنشرها أحمد مختار العبادي.
- ليفي بروفنسال، تاريخ الإسلام في المغرب والأندلس ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة بدون تاريخ.
- المراكشي (عبد الواحد) المعجب في تلخيص أخبار المغرب طبعة القاهرة 1963.
- المراكشي (محمد بن عبد الملك) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق إحسان عباس طبعة دار الثقافة بيروت 1965.
- المقرئ التلمساني (أحمد بن محمد) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب تحقيق إحسان عباس طبعة دار صادر بيروت 1968.
- مؤلف مجهول، الأخبار المجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم طبعة مدريد 1967.
- مؤنس (حسين) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس منشورات معهد الدراسات الإسلامية طبعة مدريد 1967.
- يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر طبعة أولى دار الجيل بيروت 1993.

المصادر الأجنبية

- CF. Edward Gibbon-the decline and fall of the Roman empire-London 1902.
- Jan Read. the moors in Spain and Portugal.
- F.W. Robins-The story of water supply Oxford University Press 1946.
- Montgomery Watt-a history of Islam Spain.
- H. Haskin . studies in the history of medieval science.
- Vasiliev-history of the Byzantine empire.
- Walt Taylor - Arabic words in English.

عرض للكتب

الفكر الاقتصادي عند ابن أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

أ. تيسير عبد الله ناعس
كلية الشريعة – جامعة دمشق

1. مقدمة

تأتي أهمية البحث من كونه يقدم دراسة فكرية اقتصادية لأقدم مؤلف في الفكر السياسي العربي الإسلامي وصلنا من العصور الوسطى، وهو كتاب "سلوك المالك ... لابن أبي الربيع، وهذا الأمر يجعل الكتاب من أهم مصادر التاريخ الاقتصادي العربي؛ نظراً لغزارة الأفكار الاقتصادية التي أشار إليها، وأسبغيتها على الأفكار الاقتصادية التي أشارت إليها مؤلفات الفكر السياسي التي جاءت بعده.

2. التعريف بابن أبي الربيع، وكتاب "سلوك المالك (...)"

1.2. التعريف بابن أبي الربيع:

هو أحمد بن محمد بن أبي الربيع، شهاب الدين البغدادي. من أرباب الحكمة والسياسة، ومن رجال الخليفة المعتصم بالله العباسي⁽¹⁾. وقد اختلف حول زمن تأليف الكتاب إلى فريقين: الفريق الأول، يرى أن تأليف الكتاب يعود للقرن الثالث الهجري، وأن أحمد ابن أبي الربيع

¹ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج 2، ص 1000؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت، 1980، ج 2، ص 164؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1958، ج 4، ص 111.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

قد كتبه للخليفة المعتصم، الذي وُلِّي الخلافة (218-227هـ/833-842م)، كما تقدّم.

الفريق الثاني، ذهب إلى أن زمن الكتاب يعود للقرن السابع الهجري، وأن شهاب الدّين قد كتبه للخليفة المستعصم، الذي وُلِّي الخلافة (640-656هـ/1242-1258م).

وقد استند الفريقان فيما ذهبا إليه إلى تعدد نسخ مخطوطة الكتاب، حيث ورد في بعضها أن أحمد ابن أبي الربيع ألفه للمعتصم، وورد في بعضها الآخر أنه كتبه للمستعصم¹.

وبكل الأحوال، فإن ما ذكره الزركلي وكحّالة عن تاريخ ولادة ووفاة أحمد ابن أبي الربيع (218-272هـ/833-885م) لا يتناسب مع ما ذكر أنه أهداه للخليفة المعتصم، إذ كيف يكون من رجاله، ويؤلف كتاباً في السياسة، وهو لم يبلغ مبلغ الرجال بعد؟! يدعو الأخذ أو ترجيح القول الأول إلى إعادة النظر في زمان ولادة المؤلّف من جديد.

2.2. التعريف بكتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

ذكر شهاب الدّين في مقدمة الكتاب سببين لتأليفه:

الأول: أنه وقف على كتاب مختصر في حفظ صحة البدن، لأن حفظ النفس أولى، فمراعاتها وتركيتها بالعلم والعمل أخرى بالتقديم عند ذوي الألباب.

الثاني: استجابة لأمر السلطان.

فتأمل ما وجد من الكتب في هذا الموضوع (علم السياسة والاجتماع والفلسفة والرياضيات والموسيقى)، وانتزع منها ما كان قابلاً للتشجير والتقسيم، بعد الإيجاز والاختصار.

وجمع فيه بين كلام الحكماء المتقدمين، والعلماء المتأخرين، وجاء الكتاب في أربعة فصول:

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك، دار الأندلس، ط 3، بيروت 1983، ص 7؛ سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، تحقيق: عارف عبد الغني، سلسلة كتب التراث (7)، دار كنان، دمشق 1995، ص 7-10.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

- الفصل الأول: في مقدمة هذا الكتاب.
- الفصل الثاني: في أحكام الأخلاق وأقسامها.
- الفصل الثالث: في أصناف السيرة العقلية وانتظامها.
- الفصل الرابع: في أقسام السياسات وأحكامها¹.

«وكل من هذه الفصول مقسم إلى أبواب، ترتبت فيها الأفكار أو الأحكام بشكل جداول أو مشجرات في غاية الدقة»².

وللكتاب عدة طبعات محققة:

الأولى: للدكتور ناجي التكريتي، ونشرت طبعته الأولى دار عويدات ببيروت، سنة 1978، في 183 صحيفة. واعتمد الباحث في الدراسة الاقتصادية لهذا الكتاب على الطبعة الثالثة التي نشرتها دار الأندلس ببيروت سنة 1983، وصدر الكتاب بعنوان: "الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك"، وتقع هذه الطبعة في 252 صحيفة.

الثانية: للدكتور حامد عبد الله ربيع، وهي من نشر دار الشعب في جزأين بالقاهرة: الجزء الأول سنة 1980، وعدد صفحاته 217 صحيفة. والجزء الثاني سنة 1983، وعدد صفحاته 233 صحيفة.

الثالثة: للباحث عارف أحمد عبد الغني، ونشرتها دار كنان بدمشق سنة 1995، ضمن سلسلة كتب التراث، في 172 صحيفة.

الرابعة: للأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز، صدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة

¹ سلوك المالك في تدبير الممالك، مرجع سابق، ص 35-36؛ عادل ثابت، الفكر السياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، القاهرة 2002، ص 15، 94.

² جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف، طبع بمطابع مؤسسة دار الهلال، القاهرة د. ت، ج 2، ص 221.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

2010م، ونشرتها دار العاذرية بالرياض، وتقع في 207 صحيفة.
الخامسة: لأسعد السحمراني وأحمد راتب عرموش، ونشرتها دار النفائس ببيروت، سنة 2011، وعدد صفحاتها 173 صحيفة.

وكانت أول طبعة صدرت للكتاب سنة 1968 على الحجر بالقاهرة، في 152 صحيفة من القطع الكبير؛ ليتمكن تصوير تلك المشجرات¹.

3. إسهامات ابن أبي الربيع في المشكلة الاقتصادية

منذ أن وطأت قدم أول إنسان الأرض وهو يواجه مشكلة تزامن الرغبات المتعددة والمتنوعة والمتزايدة أمام إمكانيات محدودة وغير كافية لتحقيق رغباته، وهذه هي المشكلة الاقتصادية².

عرض ابن أبي الربيع لركني المشكلة الاقتصادية:

أ. **الحاجات الاقتصادية:** وهي الحاجات التي يجري إشباعها بالموارد الاقتصادية، مثل إشباع حاجة الجوع بالغذاء، وإشباع حاجة البرد أو الحر باللباس³.
ذكر ابن أبي الربيع عدداً من الحاجات الاقتصادية، مثل: الطعام والشراب، واللباس، والمسكن، والطب (العلاج)، والنكاح (الزواج)⁴.

كما أشار ابن أبي الربيع إلى أهم خصائصها، وهي التجدد والتكرار، فبعض الحاجات التي يجري إشباعها في وقت معين تعود للإلحاح مرة أخرى بعد مدة زمنية معينة، فالحاجة إلى الطعام تتجدد مرتين أو ثلاث مرات في اليوم، كما أنها تتجدد كل يوم، فقال: «لما كان الإنسان

¹ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ج2، ص 221.

² عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 2004، ص 69.

³ عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص72؛ يعقوب سليمان وآخرون، مبادئ الاقتصاد الجزئي، دار المسيرة، ط 1، عمان 1999، ص 41.

⁴ ناجي النكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149، 174-175.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

منتقصةً دائماً التحلل، احتاج إلى أن يستمد من الغذاء مكان ما يتحلل منه بالحركة»¹. وأكد ابن أبي الربيع نسبية الحاجات الاقتصادية، وأنها تعبر عن الحالة الاجتماعية، وتخضع لظروف الزمان والمكان ونحو ذلك، فحذر من "البذخ" في إنفاق المال وهو أن يتعدى المرء ما يتخذه أهل طبقته مباحة²، وأوجب على الإنسان في ماله أن لا يتعدى ما يفعله أهل طبقته³، وجعل "الشرة" من جملة الرذائل؛ وهو الاستكثار من المطاعم والمشارب والمناكح⁴، ثم قال في موضع آخر: «إن زاد كسبه، فليكثر من التجلُّ وزينة البيت»⁵.

وما ذكره ابن أبي الربيع من الحاجات الاقتصادية يمكن إعادة تصنيفه إلى قسمين:

1. حاجات اقتصادية دورية: وهي الحاجات التي تتجدد بانتظام من وقت لآخر، مثل: حاجة الغذاء.

2. حاجات اقتصادية غير دورية: وهي الحاجات التي تظهر بشكل متقطع وغير منتظم، مثل: حاجة العلاج.

ويقابل الحاجات الاقتصادية الحاجات غير الاقتصادية، وهي الحاجات التي يتم إشباعها بالموارد الحرة، مثل: إشباع حاجة التنفس بالهواء⁶.

ذكر ابن أبي الربيع عدداً من الحاجات غير الاقتصادية، مثل: الهواء، والحركة والسكون، والنوم واليقظة، والاستفراغ.

فالإنسان مضطر للحركة والسكون ليتصرف في ضرورياته ويستريح وقت حاجته،

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 122.

⁵ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 162.

⁶ عبد الستار سلمي، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص 72؛ يعقوب سليمان وآخرون، مبادئ الاقتصاد الجزئي، مرجع سابق، ص 41، مرجع سابق.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ومضطر للنوم واليقظة لاستراحة القوى النفسية وتنميط الأفعال الطبيعية، ومضطر للاستقراغ لإخراج مالا حاجة إليه من فضول البد¹.

ب. **الموارد الطبيعية:** هي كل ما يشبع حاجات الإنسان من وسائل سواء كانت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة².

أشار ابن أبي الربيع إلى نوعي الموارد على النحو الآتي:

- الموارد الحرة الطبيعية: وهي الموارد التي لا تتصف بالمحدودية، مثل: الهواء³.
- الموارد الاقتصادية الطبيعية: وهي الموارد التي تتصف بالمحدودية النسبية، مثل: الغذاء والعلاج⁴.

يحتاج الوفاء بالموارد الاقتصادية إلى مجموعة من العناصر:

1. **الاجتماع والتعاون (الألفة):** تدفع الحاجة إلى الصنائع والعلوم التي تُعمل بها هذه الأشياء الناس إلى الاجتماع، فافتقر بعض الناس لبعض في الحرف، كما تفتقر بعض أجزاء السلسلة إلى بعض؛ لأن الإنسان وحده لا يمكنه أن يعمل الصنائع كلها، فاضطروا إلى الاجتماع في مكان واحد، واتخاذ المدن والقرى؛ لينال بعضهم من بعض المنافع من قرب⁵.

وقدّم ابن أبي الربيع مثلاً على التعاون بالأسرة، فالرجل مضطر للخروج من البيت، فاحتاج إلى من يحفظه له ويدبر له ما فيه، وليس يمكن أن يبلغ أحد من العناية بشيء غيره ما

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149.

² (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة - مورد).

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149، مصطفى الكفري، الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية، جامعة دمشق: كلية الاقتصاد، د. ت، ص 46.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 149، 174-175؛ مصطفى الكفري، الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 46.

⁵ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150، 175.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي تدبير الممالك"

يبلغه بشيء نفسه. فلما كان الأمر كذلك، كان أصلح الأشياء للرجل أن يكون في منزله شريك يملكه كملكه، حتى يعنى كعنايته، ويكون تدبيره كتدبيره¹.

2. **تقسيم العمل:** يفرض تعدد الحاجات الاقتصادية والافتقار إلى معاونين إلى تقسيم العمل، فيسند إلى كل فرد جزء من العمل الإنتاجي يتولى القيام به متعاوناً مع غيره، إذ لا يكتفي الواحد من الناس بنفسه في الأشياء كلها².

وقد مرت ظاهرة التخصص بأطوار عديدة، بدأت مع التقسيم الحرفي في العصور القديمة، ثم التقسيم الفني الذي هو سمة الحياة الاقتصادية المعاصرة.

عرض ابن أبي الربيع لنوعي التخصص:

- **التخصص الحرفي:** وهو أقدم أشكال تقسيم العمل، ويعني التخصص في مهنة معينة، مثل: الحدّاد أو النجّار.

- **التخصص الفني:** ويعني التخصص القائم داخل كل حرفة، مثل: صناعة الغذاء، فهي تحتاج إلى صناعات أخرى كثيرة³.

وربط ابن أبي الربيع بين الحاجة لتقسيم العمل والتّمدن، على أساس ترابط الصناعات وحاجة بعضها إلى بعض⁴.

3. **قانون يدبر أمورهم، ويمنع عنهم التّظالم والتّعدي (علاقة علم الاقتصاد بعلوم القانون والسياسة):** حتى يقصد كل أحد منهم للصناعة التي ينتحلها لمصلحة نفسه ومصلحة غيره ممن يحتاج إليها ولا يعوقه عنها عائق، فيتم بذلك تعاوضهم وتعاونهم على مصالح عيشهم

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 153.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 175.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150، صالح حميد العلي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة، دار اليمامة، ط1، دمشق 2000، ص 242-244.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

واستقامة أمورهم.

ويحتاج القانون لوجود رئيس واحد من أفاضلهم يحملهم على تطبيقه، فالناس مضطرون في صلاح معاشهم إلى تدبير وسياسة وأمر ونهي¹.

فعلم الاقتصاد يتأثر ويؤثر بغيره من العلوم، وخاصة العلوم الاجتماعية كعلم القانون، فعلى الإنسان أن يقوم بنشاطه الاقتصادي في دائرة القانون، ويجب عليه أن لا يتجاوز نصوصه. ومن جانب آخر ينظم القانون شروط العقد، ولكنه يترك للمتعاقدین أمر تقدير الثمن. ومثل علم القانون علم السياسة².

ج. دور الأخلاق في المشكلة الاقتصادية: يساعد الالتزام ببعض القيم والفضائل في تقليص الفجوة بين الحاجات الاقتصادية غير المحدودة والموارد الاقتصادية المحدودة، مثل قيم: العفة، والإيثار، والسماحة، والمواساة.

فالالتزام بخلق العفة يضبط النفس عن الشهوات القبيحة، واجتناب الترف. والإيثار يكف الإنسان عن بعض حوائجه وبذلها لمستحقيها. والسماحة تدعو الإنسان إلى ترك بعض ما لا يجب تركه عند الحاجة أو الضرورة. ومواساة أهل الحاجة بالمال، والبر بهم ومراعاتهم³.

يسهم التعامل مع المشكلة الاقتصادية - في دائرة القيم الإسلامية - إلى التخفيف من حدتها وخطورتها على مستوى الحاجات المتعددة والموارد الاقتصادية، فتكون الحاجات المطلوب إشباعها مقتصرة على الحاجات الطيبة والمشروعة، ويدفع الالتزام بهذه القيم إلى مزيد من العمل والتضحية للاستفادة من الموارد⁴.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 175-176.

² عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص 67.

³ عبد الستار سلمى، محاضرات في الاقتصاد السياسي، مرجع سابق، ص 120-121.

⁴ كمال توفيق الحطاب، نظرات جديدة في المشكلة الاقتصادية من منظور إسلامي، مؤتة للبحوث والدراسات.

المجلد السابع عشر - العدد الثالث 2002، ص 59.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

4. إسهامات ابن أبي الربيع في الإنتاج

أقام ابن أبي الربيع نظريته في الإنتاج بناء على نظريته السابقة للمشكلة الاقتصادية، فالندرة النسبية للموارد الاقتصادية تدفع الإنسان لدوام السعي في سبيل إيجاد المزيد منها، أو تنمية منفعة الموجود منها¹.

وأراد ابن أبي الربيع بمصطلح "المراعاة" ما يقرب من معنى مصطلح "الإنتاج" في الدراسات الاقتصادية المعاصرة².

وأشار ابن أبي الربيع إلى عنصر رأس المال السلعي والعمل عندما تحدث عن صناعة الغذاء، فرأس المال السلعي في هذه الصناعة هو الحيوان أو النبات، ويحتاج الحيوان إلى أعمال التغذية والحفظ، والنبات إلى الزرع والتنمية والخدمة³.

ووضع قاعدة للإنتاج والاستهلاك، وأسماها: "التدبير"؛ وهي في الإنتاج: إجراء الأمور على الصواب، وفي الاستهلاك: أن يعرف مقادير النفقة، فلا ينفق في غير ضرورة، أو يتعدى أهل طبقته، أو يهمل المهم من أموره كقوت العيال⁴. وهذه القاعدة تقوم عليها إحدى الفروض الأساسية لعلم الاقتصاد وهي "التعظيم"؛ أي: أن يهدف المنتج والمستهلك من القيام بالتبادل إلى تحقيق أعلى عائد ممكن.

كما وضع ابن أبي الربيع ضوابط أخلاقية للعمل والكسب، وهي تجنب النقائص الآتية: الجور، والعار، والدناءة.

ونذكر صوراً لكل واحدة:

1 صالح حميد العلي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة، مرجع سابق، ص 100.

2 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

3 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150.

4 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 150، 152.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

- فمن الجور: البخس في الوزن، والتطيف في الكيل، وجحود الحق، والمغالطة في الحساب.
- ومن العار: احتمال الشتم أو الصفع أو الإهانة طلباً للكسب.
- ومن الدناءة: ترك صناعة آبائه من غير عجز، أو الانتقال عن تلك الصناعة إلى أدون منها¹.

ومالم يتجنب ذلك، كان ظالماً لنفسه؛ لأنه توصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي².
ووجه ابن أبي الربيع العامل إلى اختيار ما كان من الحرف أعم نفعاً وأشرف عند الخاصة والعامة، وإلى الاجتهاد في الإحاطة بجزئيات صنعته وكلّياتها؛ لينتقم فيها ويبلغ غايته³.
وأوجب على العامل أن يتعهد المعيشة والحرفة التي يحترف بها؛ ليتوفر كسبه، وينمو ماله، ويحسن حاله وينظم⁴.
وجعل من وظائف الدولة مؤاخذة الرعية على التقصير في الاكتساب، ومكافحة التبطّل والتكاسل⁵.

كما تحدث ابن أبي الربيع عن الادخار، وبيّن أن أفضل الأموال المتخذة لهذا الغرض الضياع والعقار، ويراعى عند الشراء ما قرّب من العمران وبعد من جور المتغلبين⁶.

ووضع ابن أبي الربيع قاعدتين لإمكان الادخار:

- الأولى: أن لا يكون ما ينفق أكثر مما يكسب.

1 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 151.

2 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 113.

3 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 161.

4 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 272.

5 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 203.

6 ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 161-162.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

- والثانية: أن لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكسب¹.

فإذا زاد عائد الكسب عن حجم الإنفاق، حصل الادخار.

وطالب ابن أبي الربيع طبقة التجار بجمع المال من أحسن وجوهه، والاكتساب الدائم المعتدل، وإظهار العدل في المعاملات، والإنصاف من أنفسهم، وإظهار السيرة الحسنة، ومعاونة الأصحاب².

5. إسهامات ابن أبي الربيع في النقود

تعارف الفقهاء الإسلاميون وعلماء الاقتصاد تعريف النقود نظراً لوظائفها الاقتصادية، فهي ما يستعمله الناس مقياساً للقيم ووسيطاً في التبادل.

وأشار ابن أبي الربيع في هذا المجال لدواعي التحول من المعاملة الطبيعية (المقايضة: سلعة مقابل سلعة) إلى المعاملة الوضعية (المعاوضة: سلعة مقابل نقد)، وهي:

1. صعوبة توافق رغبات المتبادلين في الزمان أو السلع.

2. صعوبة وجود مقياس مشترك لقيم السلع.

أدت هذه الصعوبات في المقايضة إلى الانتقال لتوسيط الدنانير والدراهم في التبادل؛ لما تتمتع به من خصائص وميزات تتجاوز الصعوبات السابقة، وتسهل التبادل أكثر من قبل³.

وصار من يملك الذهب والفضة كأن السلع التي يحتاج إليها حصلت في يده⁴.

وأوماً إلى عدم صلاحية الذهب والفضة للاستعمال السلعي، مثل الشرب في أواني الذهب

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 151.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 161.

³ يوسف كمال محمد، فقه الاقتصاد النقدي، دار الهداية ودار الصابوني، القاهرة 1993، ص 34-35.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 151-152.

والفضة. أو إخراجهما عن وظيفة التَّمنِّيَّة التي خُلِّقا من أجلها، مثل التَّخَمُّ بالذهب للرجال¹.
فنتطابق رؤية ابن أبي الربيع لوظائف النقود مع أصحاب النظرية الكمية (الكلاسيكية أو التقليدية) في أن النقود لا تصلح أداة للادخار أو مستودعاً للقيمة، فالنقود لا تُطلب لذاتها، والطلب عليها طلب مشتق، وهي مجرد عربة لنقل القيم، ولا تأثير لها في النشاط الاقتصادي (دور حيادي)².

6. إسهامات ابن أبي الربيع في التوزيع الشخصي

وهو التوزيع المبني على معياري الحاجة أو الصَّلَّة، ويستند إلى دوافع دينية أو خلقية أو اجتماعية³.

1. استعمل ابن أبي الربيع مصطلح "أبواب الجميل" بدل "التوزيع الشخصي" في التوزيع القائم على معيار الحاجة.

فمما أوجب ابن أبي الربيع على الإنسان في ماله:

- أنْ يعرف أبواب الجميل، ويرغب فيها ويبتغيها، ويستميل إليها.

- وأنْ يعرف الحق اللازم، ويوجبه على نفسه⁴.

وحذر من "اللؤم" في إنفاق المال؛ وهو الإمساك عن الإنفاق في أبواب الجميل⁵.

وهناك مفاهيم أخرى تدل على التوزيع الشخصي، مثل: الإيثار، والسخاء، والمواساة

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 211.

² رفيق يونس المصري، هل تُطلب النقود لذاتها؟ جامعة الملك عبد العزيز: كلية الاقتصاد والإدارة، 2005، ص 3.

³ محمد أنس الزرقاء، نظم التوزيع الإسلامية، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، م 2 ع 2، 1984، ص 6-11.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

⁵ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 152.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

بالمال، والسماحة، والمسامحة¹. فهي تتضمن معنى انتقال المال دون عوض لمن هم أكثر حاجة له.

وأوجب ابن أبي الربيع موساة الفقراء الصادقين فيما يظهرونه، فقال: «يجب أن يواسيهم بما يقدر عليه ويتهياً له، ولا يجبهم»².

2. كما استعمل ابن أبي الربيع مصطلح "المكافأة" بدل "التوزيع الشخصي" في التوزيع القائم على معيار الصلة.

وأراد بالمكافأة: مقابلة الإحسان بمثله، والزيادة عليه بما يجب³.

ومما يدخل في إعادة التوزيع أيضاً، إنفاق الدولة على قضاء الديون، وفك الأسرى، والفقراء⁴.

7. إسهامات ابن أبي الربيع في الوظائف الاقتصادية للدولة

اهتمت كتب الفكر السياسي الإسلامي، ومنها كتابنا، بواجبات الدولة، ومنها واجباتها الاقتصادية:

1. فعدد ابن أبي الربيع وظائف الدولة الأساسية، ومنها الوظائف الاقتصادية، بالآتي:

- النفقة وبسط الخير على الرعية.
- معرفة أخلاق الرعية؛ ليؤهل كلُّ لما يصلح له من الولايات، واستعمالهم في صناعتهم، حتى لا يجدوا فراغاً لفكر في مفسدة.
- شحن الثغور بالرجال، وتعهّد الجنود بالجوائز.
- سماع قول القائل والمقول فيه، ثم معاقبة الباغي، وإنصاف المظلوم من الظالم، حتى لا

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 120-121.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 170.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 112.

⁴ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 203.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

يجتمع المحسن والمسيء بمنزلة واحدة، فيزهد أهل الإحسان.

- يجب أن يتفقد عمارات بلده، وأحوال أقواتهم.

- حسم أسباب النزاع.

- وليحرسهم من قطاع الطرق، وليؤمّنهم من اللصوص في منازلهم¹.

ونتخلص هذه الوظائف في: الدفاع، والقضاء، والأمن، والمالية، والرقابة والإشراف. وذكر ابن أبي الربيع أن السياسة تقوم على أربعة قواعد: حراسة الرعية، وعمارة البلدان، وتدبير الجند وتقدير الأموال².

2. وقسم ابن أبي الربيع البلدان إلى مزارع، وأمصار:

أ. /المزارع: وهي أصول المواد التي بها يقوم عيش الخلق، ويلزم الإمام فيها حقوق ثلاثة:

الأول: القيام بمصالح المياه؛ لينتفع بها القريب والبعيد.

الثاني: كف الأذى عنهم؛ لنلّا يشتغلوا بغير الزراعة.

الثالث: تقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع والعدل؛ حتى لا ينالهم خوف ولا عسف.

فإن حيف عليهم في شيء من ذلك أو عسف بهم، انعكس الصلاح إلى ضده.

ب. /الأمصار: وهي الأوطان الجامعة، والمقصود بها خمسة أمور:

أحدها: أن يستوطنها أهلها، طلباً للدعة والسكون.

الثاني: حفظ الأموال فيها من الاستهلاك.

الثالث: صيانة الحرم والخدم فيها من الانتهاك.

الرابع: التماس ما تدعو الحاجة إليه من متاع وغيره.

الخامس: لا يتعرض السلطان للكسب وطلب المادة.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 180-181، 185-187.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

فإنَّ عَدَمَ فيها أحد هذه الأمور فليست من مواطن الاستقرار¹.

يظهر من هذه الشروط أن دور الدولة مركزي أساسي في التخطيط للمدينة وحمايتها وضمان استمرار الاقتصاد فيها، وهو تخطيط عمراني مادي، وتخطيط اجتماعي، وتخطيط أمني، وتخطيط اقتصادي، وتخطيط بيئي. والمدينة التي لا تحظى بهذا التنظيم والرعاية تكون عرضة لمطامع الأعداء وهجران الأهل².

3. وحدد ابن أبي الربيع لاختيار مواقع المدن ستة شروط:

أحدها: سعة المياه المستعذبة.

الثاني: إمكان الميرة المستمدة.

الثالث: اعتدال المكان وجودة الهواء.

الرابع: القرب من المراعي والاحتطاب.

الخامس: تحصين منازلها من الأعداء والزُّعَّار.

السادس: أن يحيط بها سواد يعين أهلها³.

4. ثم ذكر ابن أبي الربيع شروط تخطيط مواضع المدن، وهي:

أحدها: أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب، حتى يمكن تناوله من غير عسف.

الثاني: أن يقدَّر طرقها وشوارعها، حتى تتناسب ولا تضيق.

الثالث: أن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها، ليقرب على جميع أهلها.

الرابع: أن يقدَّر أسواقها بحسب كفايتها، لينال سكانها حوائجهم من قرب.

الخامس: أن يميز قبائل ساكنيها، بأن لا يجمع أضعافاً مختلفة متباينة.

السادس: إن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفاً له من سائر جهاته.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189-190.

² خليف غرابية، منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً)، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 8 العدد 1، 2015، ص 193.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189-190.

السابع: أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء؛ لأنها بجملتها دار واحدة.
الثامن: أن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها، حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها¹.

يُعدُّ ابن أبي الربيع أول من تحدث عن منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة، وهذه المنهجية استمدت عناصرها من مصادر التشريع الإسلامي، وقيم الفكر الإسلامي؛ لأنها تعبر عن الحياة اليومية للمجتمع الذي دخل فيه الإسلام إلى حياة الناس المادية والروحية بكل تفاصيلها، فهناك ترابط منسجم بين المضمون الإسلامي لسكان المدينة وملامحها العمرانية.

كشفت الشروط التي أشار إليها ابن أبي الربيع حول اختيار مواقع المدن وتخطيطها عن رؤية تخطيطية عملية للمدينة الإسلامية، وهذه الرؤية تقوم على مراعاة الجوانب الوظيفية والاجتماعية والسياسية لقاطنيها، وهو ما يؤكد أصالة هذه المدينة، وعمق الفكر الإسلامي ورؤيته السليمة في تخطيط المدن².

5. كما عرض ابن أبي الربيع لبعض موضوعات الموازنة العامة، مثل: قواعد تقدير النفقات (الخرج) والواردات (الدخل)، وحالات الموازنة العامة.

فبيّن أن الدخل مقدّر بالشرع أو بالاجتهاد، ونص الشرع لا يجوز أن يُخالف، واجتهاد ولاية العدل لا يسوغ أن يُنقض.

كما بيّن أن الخرج مقدّر بالحاجة والمُكَنَّة، والتقدير بالحاجة فيما كانت أسبابه لازمة أو مباحة، والتقدير بالإمكانية حتى لا يعجز عنها دخل، ولا يتكلف معها عسف³.

ثم ذكر حالات الموازنة العامة من فائض أو توازن أو عجز، فقال: «ولا يخلو حال الدخل

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 192.

² خليف غرابية، منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً)، مرجع سابق، ص 195.

³ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 191.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالكي في تدبير الممالك"

إذا قوبل بالخرج من أحوال ثلاثة:

الأولى: أن يُفضّل الدخل على الخرج، وذلك هو الملك المستقيم والتدبير القويم، ليكون فاضل الدخل لوجوه النوائب معداً.

الثانية: أن يُقصر الدخل عن الخرج، وذلك هو الملك المختل والتدبير المعتل، فتدعوه الحاجة إلى العدول عن لوازم الشرع ويؤول إلى العطب.

الثالثة: أن يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل، وذلك يكون في زمن السلامة مستقلاً، وعند الحوادث معتزلاً. فإن تحركت به النوائب كدّه الاجتهاد وتلمه الأعوان¹.

يلاحظ أن ابن أبي الربيع دافع عن فائض بيت المال (الادخار)، دافعاً به رأي من يقول بنزف بيت المال.

8. إسهامات ابن أبي الربيع في التربية الاقتصادية للطفل

ذكر ابن أبي الربيع العديد من النشاطات والتوجيهات الاقتصادية التربوية التي يجب أن يؤخذ بها الطفل حال صغره، وهي تدخل في موضوع التربية الاقتصادية.

فأوجب على المربي أخذ الطفل بالآتي: أن يُصغر الطعام في عينه، ويُبجّ لديه الشره والنهم، ويأمره بالأكل بين يديه خاصة، ولا ينظر إلى من حوله، ويُعوّده القناعة بأدّون الأطعمة، ويأمره بخدمة الناس، ويجعل طعامه وقت الفراغ من وظائف الاشتغال، ويجعل عاداته السخاء والخدمة، ويمنع التكاسل، ويحث على النشاط، ويُبغض إليه الذهب والفضة، ويعاقب على الكذب، ويؤذن له في اللعب اليسير الخالي عن السفه².

9. إسهامات ابن أبي الربيع في قواعد الإدارة الاقتصادية

تسهم الإدارة الاقتصادية في المساعدة على الوصول للاستعمال الأمثل لموارد الدولة عن

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 191-192.

² ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 175.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

طريق الوظائف الأساسية للإدارة (التخطيط، والتنظيم، والتوظيف، والتوجيه، والرقابة)؛ لتحقيق أعظم الفوائد والفوائد الاقتصادية.

اجتهد ابن أبي الربيع في وضع معايير وأسس لاختيار القائمين بالشؤون المالية العامة؛ ليكون جمع المال وحفظه وإنفاقه جارياً على أتم حال وأكمل وجه من قواعد العدل.

والقائم على تدبير أموال الدولة هو ديوان الخراج، فيقوم بأعمال التحصيل للموارد، وتعيين وجوها في مصارفها العامة، ونظراً لأهمية ودور هذا الديوان وضع ابن أبي الربيع معايير ملزمة لاختيار الموظفين النافذين فيه، ومنهم كاتب الخراج، وكان مما وضعه من قواعد في اختياره:

أ. أن يكون خبيراً بحفر الأنهار ومجاري المياه.

ب. وأن يكون عارفاً بالمساحات وتخمين الغلات.

ج. وأن يكون عالماً بفصول السنة ومجاري الشمس.

د. وأن يكون بصيراً بالحساب وكسوره وترتيبه.

هـ. وأن يكون له دربة بعقد الجسور والقناطر والمصالح.

و. وأن يكون له خبرة بما يدفع من الزرع في الأراضي.

ز. وأن يكون بصيراً بأوقات الزرع وأحوال الأسعار.

ح. وأن يكون عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له¹.

ومثل كاتب الخراج العامل المتولّي جباية الأموال وجمعها، ومما يراعى فيه:

أ. أن يكون عاقلاً عارفاً عالماً بأمور السواد.

ب. وأن يكون ناصحاً في جمع الأموال، عاملاً بالعدل.

ج. وأن يكون فيه إنصاف وانتصاف وعمارة ونزاهة.

د. وأن يكون قصده إدرار أموال الرعية وتوفير مال السلطان¹.

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 189.

10. الخاتمة

وتتضمن الاستنتاجات الآتية:

أ. تشكل الأمثلة التي ذكرها ابن الربيع عن أنواع الحاجات والموارد الطبيعية أساساً لتصنيفها في الدراسات الاقتصادية المعاصرة.

ب. أقام ابن أبي الربيع أساس التمدن الإنساني على تفسيرات اقتصادية، إذ تدفع الندرة النسبية للموارد الاقتصادية إلى السعي لتميتها وتطويرها بالإنتاج، والإنتاج يتوقف على تقسيم العمل، وتقسيم العمل يتوقف على التمدن الذي يفرضه تعدد الحاجات الاقتصادية وعجز الفرد وحده عن سدّها بنفسه، فيضطر للاجتماع والتعاون كسبيل وحيد لقضاء حاجاته الاقتصادية المتعددة.

ج. يساعد التمسك بالقيم الأخلاقية في التقريب بين الحاجات الاقتصادية المتعددة والموارد الاقتصادية المحدودة نسبياً.

د. أرجع ابن أبي الربيع رأس المال السلعي المستعمل في العملية الإنتاجية إلى النبات أو الحيوان فقط.

هـ. أشار ابن أبي الربيع إلى القاعدة التي يقوم عليها سلوك المنتج والمستهلك في النشاط الاقتصادي، وهي قاعدة التعظيم.

و. لا يكون الادخار منتجاً عند ابن أبي الربيع إلّا في الأشياء التي لها قيمة استعمالية.

ز. التوزيع الشخصي عند ابن أبي الربيع قد يكون نتيجة تصرفات طوعية للأفراد أو نتيجة سياسات مالية واجتماعية تتخذها الدولة، وقد يكون إلزامياً أو طوعياً.

ح. يرى ابن أبي الربيع أن وظائف الدولة لا تقتصر على العدالة والأمن والدفاع، فدور الدولة الاقتصادي تدخلي، والموازنة العامة يمكن أن تكون بحالة عجز أو توازن أو فائض.

ط. تعد القيم الاجتماعية وشكل النظام السياسي عند ابن أبي الربيع من أهم المصادر المؤثرة

¹ ناجي التكريتي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع، مرجع سابق، ص 202.

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

في منهجية تخطيط المدن في الفكر الإسلامي.

ي. وضع ابن أبي الربيع مجموعة من المبادئ التربوية الاقتصادية التي تهدف إلى إعداد وتأهيل الطفل ليكون راشداً في معاملاته عندما يقارب البلوغ.

ك. وضع ابن أبي الربيع مجموعة من المبادئ التربوية الاقتصادية التي تهدف إلى إعداد وتأهيل الطفل ليكون راشداً في معاملاته عندما يقارب البلوغ.

ل. دعا ابن أبي الربيع إلى تطبيق قواعد علم الإدارة العامة في اختيار القائمين على شؤون القطاع المالي للدولة.

..... الفكر الاقتصادي عند أبي الربيع في كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"

المصادر والمراجع

- جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية. طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: شوقي ضيف. طبع بمطابع مؤسسة دار الهلال، القاهرة د. ت.
 - حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار الكتب العلمية، بيروت 1992.
 - خليف غرايبة. منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع أنموذجاً). المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد (8) العدد (1) 2015.
 - خير الدين الزركلي. الأعلام. دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1980.
 - رفيق يونس المصري. هل تُطلب النقود لذاتها؟ جامعة الملك عبد العزيز: كلية الاقتصاد والإدارة، 2005.
 - سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع. تحقيق: عارف عبد الغني. سلسلة كتب التراث (7). دار كنان، دمشق 1995.
 - صالح حميد العلي. عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة. دار اليمامة، ط1، دمشق 2000.
 - عادل ثابت. الفكر السياسي الإسلامي. دار الجامعة الجديدة، القاهرة 2002.
 - عبد الستار سلمى. محاضرات في الاقتصاد السياسي. دار النهضة العربية، القاهرة 2004.
 - عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين. دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1958.
 - كمال توفيق الحطاب. نظرات جديدة في المشكلة الاقتصادية من منظور إسلامي. مؤنة للبحوث والدراسات. المجلد السابع عشر - العدد الثالث 2002.
 - محمد أنس الزرقا. نظم التوزيع الإسلامية. مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، م 2 ع 3، 1984.
 - مصطفى الكفري. الاقتصاد السياسي مقدمة في العلوم الاجتماعية. جامعة دمشق: كلية الاقتصاد، د. ت.
 - ناجي النكريتي. الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك. دار الأندلس، ط 3، بيروت 1983.
 - يعقوب سليمان وآخرون. مبادئ الاقتصاد الجزئي. دار المسيرة، ط1، عمان 1999.
 - يوسف كمال محمد. فقه الاقتصاد النقدي. دار الهداية ودار الصابوني، القاهرة 1993.
- مراجع من الشبكة (الإنترنت):**
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (استهلاك - مورد):

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

"تعريب العلوم والتقنيات"

للدكتور أحمد فؤاد باشا

د. علي القاسمي

الرباط - المملكة المغربية

1. تمهيد

صدر هذا العام 2016 كتابٌ جديدٌ للدكتور أحمد فؤاد باشا بعنوان "تعريب العلوم والتقنيات: دراسة تحليلية في النظرية والمنهاج والتطبيق"، عن الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية في القاهرة. ويقع الكتاب في أربعة فصول تستغرق 228 صفحة من القطع الكبير (24×17سم)، بطباعة متقنة تخلو من الأخطاء المطبعية تقريباً، وعلى ورق أبيض صقيل. وفيما يلي قراءة في بعض محاور الكتاب.

2. المؤلف

الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد علي باشا، صاحب "نظرية العلم الإسلامية"، في طليعة العلماء العرب المعاصرين. وهو عالم مشارك (موسوعي) متضلّع في العلوم البحتة الحديثة، خاصة الفيزياء، و متمكّن من اللغة العربية وأسرارها، ومتفقه في الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

ولد هذا العالم الجليل سنة 1942 بقرية كفر أبو عالي في محافظة الشرقية (عاصمتها الزقازيق)، وهي المحافظة التي أنجبت عدداً كبيراً من علماء مصر الحديثة ومبدعيها المشهورين مثل العالم الجيولوجي الدكتور فاروق الباز، والشاعر صلاح عبد الصبور، والمطرب عبد الحليم حافظ.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

حصل أحمد فؤاد باشا على البكالوريوس والماجستير في العلوم من جامعة القاهرة وحاز الدكتوراه في الفيزياء من جامعة موسكو. والتحق بهيئة التدريس في جامعة القاهرة وترقى في المناصب الأكاديمية حتى تولى عمادة كلية العلوم، ثم شغل منصب نائب رئيس جامعة القاهرة. وأثناء مسيرته العلمية أغنى المكتبة العربية بما يربو على 40 كتاباً مؤلفاً أو مترجماً أو محققاً، وأنتج أكثر من أربعين بحثاً منشوراً* في المجالات المتخصصة باللغة الإنجليزية.

من كتبه التعليمية في الفيزياء التي ألفها بالاشتراك: "البصريات"، و"فيزياء الجوامد"، و"الفيزياء الحيوية"، و"أساسيات العلوم الفيزيائية". ومن الكتب التي ترجمها إلى العربية ونشرتها سلسلة عالم المعرفة بالكويت: "العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية"، و"من الذرة إلى الكوارك"، و"فلسفة الكوانتيم".

للدكتور أحمد فؤاد باشا نشاط أكاديمي وعلمي واسع، فقد انتُخب سنة 2004 عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو كذلك عضو في المجمع العلمي المصري، وعضو في الجمعية المصرية الفيزيائية، وعضو في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ورئيس جمعية التراث العلمي للحضارة الإسلامية، وغير ذلك كثير. وتقديراً لجهوده العلمية المتميزة نال عدداً من الجوائز العلمية العالمية.

يرى الدكتور أحمد فؤاد باشا أن الهوية العربية تتألف من ثلاثة عناصر هي: العقيدة الإسلامية، واللغة العربية، والرصيد الحضاري القائم على العلم والعمران. وهذا الرأي هو أحد منطلقات نظرية العلم الإسلامية التي وضعها. ويبدو أن العالم العربي بحاجة دوماً إلى من يذكره بهويته وخصائصها الرئيسية.

3. العلم في الإسلام

يرى المؤلف أن المفاهيم التي تدل عليها كثيرٌ من المصطلحات، تتطور وتتغير عبر

* ويجوز: منشوراً.

..... "تعريب العلوم والتقنيات" للدكتور أحمد فؤاد باشا

الزمن. وبعض المصطلحات لم يكتسب دلالاته المتداولة الآن إلا منذ عهد قريب. فمصطلح "العلم" Science في الغرب، مثلاً، استُعمل بمعناه التجريبي الراهن بعد أن أُنشئت أكاديمية العلوم الفرنسية سنة 1666، ليخالف الفلسفة موضوعاً ومنهجاً. وانتقل لفظ "العلم" إلى اللغة الإنجليزية بعد أن استعملته الجمعية البريطانية لتقدم العلوم التي أُنشئت سنة 1831. وكانت الدوائر العلمية البريطانية تستعمل قبل ذلك مصطلح "المعرفة الطبيعية" Natural Knowledge ليبدل على العلوم التي تعتمد مناهج البحث التجريبي.

وينبّه المؤلف الفاضل على أن الأصل في معنى مصطلح "العلم" عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء، فهو نقيض "الجهل". ويُطلق على كل نشاط إنساني: عقلي أو عملي، حين يُستعمل بشكل منهجي من أجل تفسير موضوع ما وفهمه، فيقال "علم اللغة" أو "علم التاريخ" أو "علم الفلك". فالعلوم في الإسلام تتناول كل مظاهر الوجود. أما تصنيف هذه العلوم إلى عقلية وعقلية، أو دينية وطبيعية، أو إنسانية وكونية، أو غير ذلك، فيعتمد على موضوع العلم، أو مصادره، أو مناهجه.

ومن خصائص العلم في الإسلام:

أ. الشمولية، أي أنه يتناول جميع مظاهر الوجود، فكل ما يوجد يجب أن يُعلم. فأفضل عبادة لله أن يعرف الإنسان حقائق الوجود في نفسه وفيمن حوله وفيما حوله. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر: 28).

ب. النفعية: والمقصود بالنفعية هو مصلحة مجموع الأمة وإقامة أمر الدين الذي من مقاصده حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. فالعلم ينبغي أن يكون نافعا، وقد ورد في دعاء الرسول (ص): "اللهم إني أعوذ بك من أربع: من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع" (رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي). وقال بعض أئمة المسلمين: "العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر".

ج. الوجوب: بمعنى أن "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة". وإذا كان المؤلف الفاضل لم يورد هذا الحديث لأن كتب الحديث تعدّه ضعيفاً، فإنه يقول: "فإذا كان علماء الدين

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

يصنّفون العلوم الكونية، النظرية والتجريبية، ضمن الفروض الكفائية، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم بل في وجود العدد الكافي للاستجابة للاحتياجات اللازمة للأمة، وتعطيل أداء هذه الفريضة على الوجه الأكمل يؤدي إلى الإخلال بالواجب الأعظم، وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته في الأرض ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها﴾ (سورة النحل: 93).

وإذا كانت كتب الحديث تعدّ ذلك الحديث ضعيفاً فإن السيرة النبوية الشريفة بمجملها تدلّنا على حث الرسول (ص) جميع المسلمين والمسلمات على التعلّم وتحصيل المعرفة.

ومن الناحية اللغوية، "العلم" غير "المعرفة". فالعلم نقيضه "الجهل"، أما "المعرفة" فنقيضها "النكرة". ويتعدى "العلم" إلى مفعولين أما المعرفة فتتعدى إلى مفعول واحد. ويشترط في المعرفة أن يسبقها جهل، أما العلم فلا يشترط فيه أن يسبقه جهل. ولهذا لا يوصف الله جل جلاله بالمعرفة لسبقها بالجهل، بل يوصف بالعلم، فنقول عِلِمَ الله وهو عالم وعليم ولا نقول عرف الله.

والعلم ينبغي أن يكون مطابقاً للمعلوم في الواقع. أما إذا كان العلم غير جازم المطابقة، فهو الشك إذا تساوى طرفاه، وإذا رجح أحدهما على الآخر فالراجح هو الظن، والمرجوح هو الوهم، فالجهل.

4. مفهوم "التقنية"

"التقنية" مصطلح محدث يفيد معنى التكنولوجيا، ويدلّ على "العلم التطبيقي" الذي يرمي إلى توفير كلّ ما هو ضروري لترقية حياة الإنسان ورفاهيته، وتطوير ظروف معيشته.

ويصحّ المؤلّف الفاضل الخطأ الشائع القائل إن "التقنية" تدلّ على ثمار الثورة الصناعية والثورة المعلوماتية من مخترعات حديثة راقية، على حين أن المصطلح هو الجديد أما مفهومه فقديم قدم الإنسان نفسه. فجميع الأدوات التي صنعها الإنسان قديماً كالقأس والعجلة والورق

..... "تعريب العلوم والتقنيات" للدكتور أحمد فؤاد باشا

البردي هي من التقنيات، ولا تقل أهمية عن اختراع الطائرة والحاسوب ، بل مهّدت لهما وساعدت على إيجادهما. ومن خطل القول إن التقنية إبداع غربي فقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية تقنيات عديدة شملت الآلات والتجهيزات الميكانيكية التي تعتمد على حركة الهواء، أو حركة السوائل واتزانها، والأنظمة التي تعمل عن بُعد بطريقة التحكم الآلي، وتقنيات استخراج المياه الجوفية، وغيرها كثير. وقد أثّرت التقنيات الإسلامية في دفع مسيرة التقدم الحضاري للإنسانية.

ويربط المؤلف الفاضل ذلك كلّ بنظرية الاستخلاف، إذ إن الله تعالى ائتمن الإنسان بعمارة الأرض وخلافته فيها، وسخر له الكون في المجالين وأقدره على النشاطين: النظري التأملي والعمل التطبيقي، ليستعملهما في ما يعود عليه بالخير والسعادة ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ (سورة لقمان: 20). وهذا يعني أن جميع طاقات الكون مهيأة للإنسان الذي يتمكن من استغلالها عندما يُعمل فكره في إدراكها ويكشف عن أسرارها.

وبشكل العلم والتقنية ثنائية واحدة مرتبطة برفاهية المجتمع الإنساني وقضاياها المصيرية. وهذه الثنائية من النشاطات الإنسانية التي لا تزدهر إلا إذا حظيت بالرعاية والعناية والأولوية والمتابعة. فكل إنجاز تقني يمرّ بعمليات تطوير متلاحقة تزيد من منفعته وتوسّع من استعماله. فالحاسوب مثلاً كان في جيله الأول منحصر الاستعمال في المختبرات العلمية، ثم تعاقبت أجياله المحسّنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة، حتى أصبح اليوم من الأدوات الشائعة الاستعمال في جميع الأنشطة البشرية كالتعليم والطب وهندسة الفضاء وغيرها. ولا تؤثر الاكتشافات العلمية المهمة في فهم الإنسان للكون فحسب، بل تؤدي كذلك إلى كشف مناطق جديدة من المعلومات والاحتمالات التطبيقية التي سرعان ما تتحوّل إلى أدوات تقنية للإنتاج والخدمات. ولهذا كله فإن ثنائية العلم والتقنية هي محرك ضروري للتنمية البشرية ورفاهية الإنسان. ولا بدّ للعرب من إعطائها الأولوية في سعيهم الراهن إلى التنمية والتقدم.

5. التعريب لغة واصطلاحاً وفكراً

يوضع اللفظ أول الأمر ليدل على معنى واحد، ولكنه سرعان ما يُستعمل مجازاً أو اصطلاحاً للدلالة على معانٍ أخرى، وذلك لأن الحروف والألفاظ محدودة متناهية، والمعاني والمفاهيم لا محدودة وغير متناهية. فلفظ "التعريب"، لغةً، هو مصدر الفعل "عَرَّبَ" فيقال: عَرَّبَ الكلام: أوضحه وبيّنه. ولكن هذا اللفظ يُستعمل في دلالات كثيرة يوردها المؤلف الفاضل باختصار، مثل:

- عَرَّبَ اللفظ الأجنبي، وأعربه: نطق به على منهاج العرب.
- عَرَّبَ النصَّ أو الكتاب أو الدواوين: نقلها إلى اللغة العربية.
- عَرَّبَ الأفراد أو القبائل: جعلها تتكلم العربية.
- عَرَّبَ الإدارة أو التعليم: جعلهما باللغة العربية.

ولما كان موضوع الكتاب هو تعريب التعليم العلمي والتقني في بلادنا العربية، فإن المؤلف الفاضل، وهو الخبير الجهد في هذا الميدان، يقول إن المقصود به التحول عن تعليم المواد التي يدرسها الطلاب باللغات الأجنبية إلى تعريبها باللغة العربية. والغاية من ذلك تيسير استيعاب الطلاب للعلوم والتقنيات، وتمكينهم من الإبداع فيها. ويضيف: "وقد دلت الدراسات الميدانية الحديثة على أن أصلح لغة للتعليم هي اللغة الأم أو لغة الأم، التي يفكر بها الطلاب، وهذا الأمر دفع اليونسكو إلى تبني قرارات توجب استعمال اللغة الأم في التعليم، مع تعلّم لغة حية أخرى تعين الدارس على الاطلاع المستمر والتواصل مع ثقافات العالم."

وتعريب العلوم والتقنيات ضرورة ملحة من أجل توطئها وترسيخ جذورها في البيئة العربية باستعمال جميع الوسائل التي تنقلها إلى مختلف القطاعات الحياتية، بحيث تغدو اللغة العلمية والتقنية جزءاً من الثقافة العربية العامة في البيت والمدرسة والمصنع ومختلف المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية والإعلامية، وبهذا نستطيع إيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية في بلادنا.

..... "تعريب العلوم والتقنيات" للدكتور أحمد فؤاد باشا

وإذا كان التعريب بهذا المفهوم هو ضرورة ملحة وواجبة من ضرورات التجدد الحضاري وآلياته، فإنه في الوقت نفسه يصون الهوية العربية، ويقاوم التعريب، ولا يضير اللغة العربية أن نترجم إليها العلوم والتقنيات، ولا يضعفها، بل على العكس يقويها ويدعمها، فالافتراض اللغوي، والترجمة عموماً، تُغني اللغة المستقبلية وتتمّي مفرداتها وتراكيبها. واللغة العالمية هي ليست تلك اللغة التي يتكلمها أكبر عدد من الأفراد، بل هي تلك اللغة التي يُترجم إليها أكبر عدد من العلوم والفنون من أكبر عدد من اللغات.

بيد أن المؤلف الفاضل لا ينظر إلى التعريب في مفهومه الضيق المقتصر على تعريب لغة التدريس بل يربط بين التعريب والتفكير والتعبير، وينادي بضرورة تعريب الفكر، بحيث تكون العربية لغة للفكر والتفكير، لأن الإنسان يكون أقدر على التعبير باللغة التي يفكر فيها، وهذا يحتاج إلى مخزون عقلي واسع من هذه اللغة.

6. مراحل تعريب العلوم والتقنيات في الحضارة الإسلامية

يتتبع المؤلف الفاضل تجربة الحضارة العربية الإسلامية في تعريب العلوم، ويدقق النظر في مراحلها، وأهداف كل مرحلة وثمارها:

أ. المرحلة الأولى: مرحلة تعريب الدواوين: عندما بزغت شمس الإسلام على العرب، كان العراق تحت الحكم الفارسي، وكانت الشام تحت الحكم البيزنطي. وكانت الدواوين (دوائر الدولة) وسجلاتها باللغة الفارسية في العراق والبيزنطية في الشام. وكانت العملة المتداولة فارسية أو بيزنطية حسب المستعمر. فاضطلعت الفتوحات الأولى بتحرير العراق والشام ونشر الإسلام. وما إن تولى خامس الخلفاء الأمويين، عبد الملك بن مروان (ت 86هـ/705م) الخلافة، حتى قرر تعريب الدواوين وصك الدنانير بالعربية.

وقد قفز هذا التعريب باللغة العربية والثقافة العامة قفزة هائلة، إذ أقبل جميع الموظفين على تعلّم العربية لئلا يفقدوا وظائفهم، وأصبحت العربية لغة الدولة إضافةً إلى أنها لغة القرآن الكريم.

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

ب. المرحلة الثانية: مرحلة النقل والترجمة: وسرعان ما أصبحت الترجمة وسيلة لتحصيل العلم النافع الموجود لدى الأمم الأخرى بحيث ساعدت على تطور النهضة الحضارية العربية الإسلامية. ومعروف أن الترجمة وسيلة أساسية من وسائل قيام النهضة الحضارية الكبرى في التاريخ، كالنهضة العربية بعد ترجمة فلسفة الإغريق وعلوم الهند وآداب الفرس إلى العربية، خاصة في أواخر الدولة الأموية وأوائل العصر العباسي؛ والنهضة الأوربية التي اعتمدت ترجمة علوم العرب إلى اللاتينية خلال القرون الوسطى بعد احتكاك الأوربيين بالعرب في الأندلس وخلال الحروب الصليبية؛ والنهضة السوفيتية أوائل القرن العشرين الميلادي حيث ترجمت الدولة آلاف الكتب إلى اللغة الروسية.

وكانت الحضارة الإسلامية، بتبنيها الترجمة وسيلة لتحصيل العلم النافع، سبّاقة إلى تحقيق العلاقة السويّة بين الثقافات على أساس التفاعل الثقافي من جهة، مع الاحتفاظ بالثوابت والخصوصيات والتمايز من جهة أخرى.

ومرّت الترجمة العربية في عدّة مراحل قبل أن يصبح العلم عربياً: فهماً وتفكيراً وإبداعاً. وأهم هذه المراحل هي:

1. النقل إلى العربية: عندما استقر العرب في مصر وفارس، استرعت أنظارهم حركات علمية في الإسكندرية وجنديسابور وحرّان، فأقبلوا على نقل الكتب العلمية إلى العربية. فولع الأمير خالد بن يزيد الأموي (ت 85هـ/704م) بالكيمياء والطب والنجوم، وطلب من بعض الرهبان المصريين في مدرسة الإسكندرية أن ينقلوا بعض الكتب العلمية إلى اللغة العربية. وطلب الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ/717م) من طبيب يهوديّ الدين، سورياني اللغة، بصريّ الدار أن ينقل إلى العربية كُنْاشاً (دفترأً أو كتاباً) في الطب.

وفي العصر العباسي الأول، أصبح النقل في رعاية الدولة ابتداء من خلافة باني بغداد، أبي جعفر المنصور (ت 158هـ/775م)، الذي أنشأ في دار الخلافة "بيت الحكمة" بمنزلة جامعة ومجمعاً علمياً ومكتبة. وازدهرت هذه المؤسسة العلمية في عهد الخليفة هارون الرشيد

..... "تعريب العلوم والتقنيات" للدكتور أحمد فؤاد باشا

(ت 194هـ/809م)، وبلغت أوج عظمتها زمن الخليفة المأمون (ت 218هـ/833م) الذي عهد إلى فيلسوف العرب الكندي (ت 256هـ/873م) بالإشراف عليها، وعمل فيها عدد كبير من الباحثين والعلماء منهم عالم الرياضيات الشهير الخوارزمي (ت بعد 232هـ/847م).

وإذا كانت الترجمة في بداية عهدها أقرب إلى النقل الحرفي، فإن المترجمين سرعان ما اكتسبوا خبرة ودراية في مهنتهم، وأصبحت لهم مدارس ومنهجيات مختلفة في الترجمة. وهذا يفسر إعادة ترجمة بعض أمهات الكتب عدة مرات، مثل كتاب "المجسطي" في الفلك لبطليموس الذي تُرجم من اليونانية إلى العربية أربع مرات خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

2. **الشروح والمختصرات:** تأتي هذه المرحلة لتعميق العلم وتفريعه وتطويره وتعليقه وتحليل أصوله وتمكين الطلاب من استيعابه وتمثله. فقد تصدى عدد من العلماء لأمهات الكتب المترجمة بالشرح لتيسيرها لطلابهم، وقام غيرهم بتلخيص هذه الشروح أو التعليق عليها أو إضافة الاستدراكات عليها.

3. **مرحلة الشكوك:** وتعني الشكوك نقد إنتاج العلماء السابقين الذين ترجمت علومهم إلى العربية، وتصحيح أخطائهم. ومن أمثلة ذلك مقالة أبي بكر الرازي (ت 320هـ/932م) وعنوانها "الشكوك على جالينوس"، ومقالة الحسن بن الهيثم (ت 431هـ/1039م) "الشكوك على بطليموس".

4. **النظم العلمي والتقني:** النظم التعليمي ليؤدي دور تيسير حفظ العلوم والمعارف بوجه عام، إذ إن الشعر يجعل من العلوم أكثر قابلية للحفظ والتذكر، ويصونها عن الزلل والتحريف والخطأ، بفضل أوزان الشعر وقوافيه. ومن أمثلة النظم التعليمي قصيدة الرئيس ابن سينا المشهورة "أرجوزة في الطب" التي تشتمل على 1326 بيتاً ومطلعها:

الطَّبُّ حَفْظُ صَحَّةٍ بُرءُ مَرَضٍ من سببٍ في بدنٍ عنه عَرَضُ

وهناك منظومات كثيرة في علم الجبر والمقابلة، وفي وحدات قياس الأطوال والعلاقة بينها، وفي مجالات علوم الفلك والأرصاد، وفي جميع العلوم التي برع فيها العرب، وشيدت

التعريب العدد الثالث والخمسون . كانون الأول (ديسمبر) 2017م

دعائم الحضارة العربية والإنسانية.

ج. مرحلة التأليف بالعربية في العلوم والتقنيات: سرعان ما انتقلت الحركة العلمية من طور النقل والاستيعاب إلى طور تمثّل العلوم والابتكار والإبداع فيها. ويصنّف المؤلّف التأليف بالعربية إلى نوعين:

الأول: التأليف الشارح، الذي يعتمد فيه المؤلّف على كتاب سابق، ويتّخذ منه موضوعاً للشرح، أو التفتيح، أو التلخيص أو التهذيب، أو التذييل، أو الاستدراك، أو النقد. ويكشف التأليف الشارح عن تطوّر معرفي ومنهجي في العلوم.

الثاني: التأليف الإبداعي، غير المسبوق، الذي يبدأ من مقدّمات خاصة وعامة تؤدي إلى أفكار أصيلة، يُبنى عليها ويتولّد منها معارف جديدة. ومن أمثلة هذه الكتب "كتاب الجبر والمقابلة" للخوارزمي، و"كتاب المناظر" للحسن بن الهيثم، و"كتاب الحيل" لبني موسى بن شاكر.

وفي الفصل الثالث من الكتاب، يقدّم المؤلّف الفاضل تحليلاً لغوياً لنصوص من الحضارة العربية الإسلامية، علمية وتقنية معرّبة نقلاً وتأليفاً، مثل كتاب "طباع الحيوان" لأرسطو وكتاب "الحيوان" للجاحظ؛ ولنصوص علمية وتقنية تعليمية وتثقيفية، مثل لغة الأرقام في علم الحساب، ولغة العلوم الطبية وتقنياتها؛ ولنصوص علمية وتقنية إبداعية بحثاً وتأليفاً، مثل البصريّات وفلسفة المكان والميكانيكا.

7. الخلاصة

يؤكد المؤلّف الفاضل أن الأمة لا تتقدّم ولا تحقق التنمية البشرية ما لم يوجد مجتمع المعرفة الذي يستطيع النفاذ إلى مصادر المعلومات واستيعابها وتمثلها بسهولة وسرعة لتصبح جزءاً من منظومته المفاهيمية، بحيث يتمكن من التفكير والإبداع فيها وتداولها بين جميع أفرادها، وهذا لا يتأتى ببسر إلا إذا كان المجتمع يمتلك وسيلة مشتركة للتفكير وتداول المعلومات، وهذه الوسيلة الفذة هي اللغة الوطنية الفصيحة المشتركة. أما إذا كان تدريس

..... "تعريب العلوم والتقنيات" للدكتور أحمد فؤاد باشا

العلوم والتقنيات يجري بلغة أجنبية فإن العلم يبقى محصوراً في فئة قليلة من الأساتذة والطلاب والمهنيين المتخصصين. وما تقدّمت أمة بلغة غيرها. ولهذا إذا نظرنا في سلم التنمية البشرية الذي يصدره البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة سنوياً نجد أن جميع الدول ذات التنمية العالية تستعمل لغتها الوطنية في التعليم في جميع مراحلها ومختلف تخصصاته. وحتى الدول التي كانت متخلفة وحقت تقدماً هائلاً خلال الخمسين سنة الأخيرة مثل اليابان وفنلندا وماليزيا وكوريا والبرازيل والصين وتركيا وإيران وغيرها، فإنها تعتمد لغتها الوطنية وتستعين بالترجمة وسيلة لدعمها بما يستجد من علوم وتقنيات لدى الآخر. ويرى خبراء التنمية أن أحد أسباب تخلف البلدان العربية والإفريقية وشبه القارة الهندية وبقائها في الدرجات الدنيا من سلم التنمية المذكور هو اعتمادها لغة المستعمر القديم (الإنجليزية أو الفرنسية) في تعليم العلوم والتقنيات، وفي المؤسسات المالية والاقتصادية كالبنوك والشركات وغيرها.

الكتاب دعوة صريحة موجهة إلى عالمنا العربي لتوطين العلم والتقنيات عن طريق تعريب التعليم العالي والحياة العامة. وهذه الدعوة صادرة من عالم كبير تجمعت له خبرة جامعية ومجمعية معمّقة وحصيلة راقية من البحث والتأليف. وهو يدعم دعوته النبيلة هذه باستلهام تجربة الحضارة العربية الإسلامية في نقل علوم الأمم التي سبقتنا. ولكن هدفه ليس الماضي الذي يستلهمه، بل الحاضر الذي يعيشه، ولهذا فإنه يقدّم في الفصل الرابع من الكتاب، وهو أطول الفصول وأهمها، منهجية علمية لتعريب العلوم المعاصرة إلى اللغة العربية. وهي المنهجية التي تعتمد على المجامع العربية والمؤسسات المعنية بتنمية اللغة العربية وإمدادها بالمصطلحات والألفاظ والتراكيب الجديدة، والتي ساهم فيها المؤلف الفاضل مساهمة فاعلة خلال العقود الخمسة الأخيرة من السنين. ومن ثمار هذه المنهجية توفّر اللغة العربية اليوم على ثروة مصطلحية هائلة تكفي لتعريب التعليم العالي بكماله. أما التلكؤ في التعريب تذرّعاً بحجج مستهلكة مفادها عدم صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم، فهو ناتج عن الرغبة في تجهيل الشعوب العربية وتركها مستعمرة باللغة الأجنبية التي تسودها.

ويلخص المؤلف الفاضل وجهة نظره بقوله: "إن التعريب بعامة، وتعريب العلوم والتقنيات

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

بخاصة، فكرياً ومنهجية وتطبيقاً، ضرورة ملزمة لإتقان الهوية، ومطلب ملح وعاجل لدفع حركة النهضة العلمية والتنمية المنشودة، ولتحقيق التنمية اللغوية المستدامة، فضلاً على أنه خير ضمان لاستمرار التواصل الإيجابي مع الفكر الحضاري المتجدد".

**من أنشطة المركز
خلال النصف الثاني من عام 2017**

التعريب العدد الثالث والخمسون - كانون الأول (ديسمبر) 2017م

من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2017

تابع المركز في النصف الثاني من عام 2017، تنفيذ أنشطته المقررة للدورة المالية 2017-2018 على النحو التالي:

– تم إصدار الكتب التالية:

- التحليل الاقتصادي الجزئي في التطبيق العملي
- طاقة الرياح – العنفات الريحية
- جرى إنجاز وتسليم ترجمة كتاب لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

– كتب في قيد الإصدار:

- مدخل إلى الكيمياء الدوائية
- كتاب الاستخدام الآمن للمياه العادمة في الزراعة بطلب من إدارة العلوم والبحث العلمي في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- زود المركز بعض الجامعات بإصداراته في إطار نشاط دعم الجامعات والمؤسسات العلمية.
- شارك المركز بالمعارض العربية والدولية التالية:
- معرض الشارقة الدولي للكتاب من 1-11 نوفمبر 2017
- معرض الكويت الدولي للكتاب من 15-25 نوفمبر 2017
- معرض الدوحة الدولي للكتاب من 29 نوفمبر وحتى 5 ديسمبر 2017

للإطلاع على إصدارات المركز كاملة
يرجى زيارة موقعنا على الروابط التالية

الموقع على الشبكة (الإنترنت) : www.acatap.org

الصفحة على موقع التواصل الإجتماعي (فيسبوك):

<https://www.facebook.com/Acatap.Damascus>

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة: E-mail: acatap2@gmail.com